

الْفَقْرُ

مَوْعِدٌ لِّسَيِّدِ الْفُقَرَاءِ الْفَقِيرِ الْفَقِيرِ

مِفْقَرُ الْفَقْرِ

الْمَجْلَدُ الْخَامِسُ

خُطْبَتُهُ فِي الْمَسْجِدِ

الْقِسْمُ الرَّابِعُ

أَيْدِي اللَّهِ الْعِظَمَى

أَلْفَاظُ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ الْحَمِيدِيِّ الشَّيْخِ الرَّزِيِّ

أَعْلَى الشَّرَفِ



مِفْقِدُ السَّامِعِ

المجلد الرابع

خُطْبَتُهَا ﷺ فِي أَلَمِ الْجَدِّ

القسم الثالث

الْفَقِيرُ

مَوْسُوْعَةُ اسْتِزَادَاتٍ فِي الْفَقْرِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ

مِفْقَرُ الْإِسْلَامِ

لِلْمَجْلَدِ الرَّابِعِ

خُطْبَتُهُا عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فِي الْمَسْجِدِ

الْقِسْمُ الثَّالِثُ

آيَةُ اللَّهِ الْعَظِيمَةِ

الْإِيمَانِ السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ الْحَبِيبِ الشَّيْرِازِيِّ

أَعْلَى اللَّهِ دَرَجَاتِهِ

باهتمام
الحسينية الكربلائية - اصفهان

اسم الكتاب: من فقه الزهراء عليها السلام (ج/ ٤)

المؤلف: آية الله العظمى الامام السيد محمد الحسيني الشيرازي قدس سره

الناشر: رشيد

الطبعة: الاولى

سنة الطبع: ١٣٨٦ هـ ش / ١٤٢٨ هـ ق

عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة

ليتوغرافي: آل البيت عليهم السلام

المطبعة: شريعت

ردمك الدورة: ٧-٢٦-٩٩٣٧-٩٦٤-٩٧٨

ردمك الجزء الرابع: ٣-٢٤-٩٩٣٧-٩٦٤-٩٧٨



طبع هذا الكتاب لثواب روح المرحوم المغفور له

آية الله الحاج السيد احمد الامامي عليه السلام

في ايام ولادت فاطمة الزهراء عليها السلام

جمادى الثاني / ١٤٢٨

بأهتمام

الحسينية الكربلائية - اصفهان

كلمة الناشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين ، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين .
تنبع عظمة الصديقة فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) من تلك الخصائص النادرة التي حباها الله بها فميزها عن غيرها ، فكانت بحق سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين .

مضافاً إلى كونها ورثة سيد المرسلين وزوجة أمير المؤمنين وأم الشبلين الحسن والحسين (صلوات الله عليهم أجمعين) ، فقد ورثت من أبيها البلاغة والفصاحة ، ومن زوجها الجهاد والشجاعة .

وقد نهضت بالأمر يوم رأت إلى الحق لا يعمل به ، وإلى الباطل لا يتناهى عنه ، على ما ورد بها من علل وأسقام افترستها بعد وفاة أبيها رسول الله ﷺ ،

فأعلنتها صرخة مدوية في المسجد، صكت بها أسماع القوم لما غصبوا حق أمير المؤمنين عليه السلام في الخلافة ومنعوها نحلة أبيها وبلغة بنيتها، فكشفت بذلك عن سرائر النفوس وما انطوت عليه وما أضمرت، وكأنها تفرغ عن منطق أبيها (سلام الله عليها).

وهكذا فقد أغمض حق الزهراء عليها السلام جهاراً بحجة واهية وحديث مختلق (نحن معاشر الأنبياء لا نورث وما تركناه صدقة) ورد شهادة من شهد لها رسول الله ﷺ بالجنة وكذلك شهادة زوجها وبنيتها عليها السلام، مضافاً إلى ما صنعوا بها من الضرب واللطم وكسر الضلع وإسقاط الجنين، و... فيا لله وما تأمر به النفس الأمارة.

ولكن أنى للحق أن يموت ما دام وراءه مطالب، فقد عرفت الأجيال أن الحق كان مع الزهراء (سلام الله عليها) وصدق دعواها وهي الصديقة الصادقة كما عرفوا أحقية أمير المؤمنين علي عليه السلام بالخلافة.

وهذا الكتاب، مضافاً إلى كونه شرحاً قيماً على تلك الخطبة المباركة التي ألقتها فاطمة الزهراء عليها السلام في المسجد، يمتاز بالصيغة الفقهية، فإن سماحة الإمام الراحل آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي (أعلى الله مقامه) استنبط من تلك الخطبة الشريفة المئات من المسائل الشرعية الفقهية، فكان أول من كتب - بتوفيق من الله - في فقه الزهراء (سلام الله عليها) حيث ألف سبعة مجلدات بدءاً من حديث الكساء ثم الخطبة الشريفة في المسجد ثم خطبتها في البيت، إلى الأحاديث المروية عنها (صلوات الله عليها)، وقد بلغ مجموع ما استنبطه من فقهها (عليها السلام) أكثر من ألفي مسألة.

ويعد هذه الاستنباطات من تلك الابتكارات العلمية التي يسجلها التاريخ

باسمه الشريف.

وقد قال أحد كبار العلماء في قم المقدسة: إن السيد الشيرازي لو لم يكن له سوى (من فقه الزهراء عليها السلام) لكفاه فخراً.

كما رؤي الإمام الشيرازي رحمته الله في المنام^(١) جالساً ومؤلفاته إلى جانبه، وكان فوق رأسه عدد من كتبه المختارة وكان النور ساطعاً من تلك الكتب على السيد الراحل، وبعد الدقة لوحظ أن تلك الكتب التي يسطع منها النور هي (من فقه الزهراء عليها السلام).

نعم كان الإمام الراحل من جملة العلماء الذين انبروا للدفاع عن ولاية أهل البيت وعن جدته الزهراء عليها السلام وظل هكذا إلى آخر حياته حيث أسلم روحه الطاهرة ليلة عبد الفطر من عام ١٤٢٢ هـ وهو يكتب كتاباً عن سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين.

إن مؤسسة المجتبى تشرف بإصدار هذا الجزء في الذكرى السنوية الأولى لرحيل الإمام الشيرازي (رضوان الله عليه) سائلة المولى أن ينفع به كما نفع بغيره وأن يمن على سماحة الإمام المؤلف بالمغفرة والرضوان وعلو الدرجات وأن يحشره مع جدته الزهراء (سلام الله عليهما)، والحمد لله أولاً وأخيراً.

مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر

بيروت لبنان ص ب ٥٩٥٥ / ١٣ شوران

البريد الإلكتروني: almojtaba@alshirazi.com

(١) قد رأى هذه الرؤيا أكثر من شخص وفي فترات مختلفة بعد رحيل الإمام الشيرازي (رضوان الله تعالى عليه).

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين.

أما بعد: فهذا الجزء الرابع من كتاب (من فقه الزهراء) صلوات الله وسلامه عليها، أسأل الله عز وجل التوفيق والقبول، إنه ولي ذلك.

قم المقدسة
محمد الشيرازي

لماذا الاستنصار؟

مسألة: قد يُتساءل أن فاطمة الزهراء عليها السلام لماذا استنصرت القوم مع علمها بعدم النصرة؟

والجواب: إن (الاستنصار) هنا راجح وقد يكون واجباً حتى مع اليأس من النصرة، إذ لا ينحصر الغرض منه في النصرة بل منه إتمام الحجة، قال تعالى: ﴿لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾^(١).

ومنه: إرشاد الجاهل وتنبيه الغافل في ذلك الزمن وللأجيال الآتية.

ومنه: الردع عن الظلم الأكثر، إلى غيرها.

ومن هنا استنصر أمير المؤمنين عليه السلام في أمر الخلافة، فلما لم يجد ناصراً صبر كما وصاه رسول الله ﷺ، ففي الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام حينما سُئل: فما منعك يا بن أبي طالب حين بويع فلان وفلان أن تضرب بسيفك؟

وقال آخر: يا أمير المؤمنين لِمَ لَمْ تضرب بسيفك وتأخذ بحقك وأنت لم تخطب خطبة إلا وقلت فيها: «إني لأولى الناس بالناس ولا زلتُ مظلوماً منذ قبض رسول الله ﷺ» فما منعك أن تضرب بسيفك دون مظلمتك؟

قال علي عليه السلام: «اسمع يا فلان، فإنه لم يمنعني من ذلك الجبر ولا كراهية الباري تعالى^(٢) وإنني لأعلم أن ما عند الله تبارك وتعالى خير لي من الدنيا

(١) سورة النساء: ١٦٥.

(٢) أي كراهية أن أقتل وألقى الباري تعالى.

والبقاء فيها ، ولكن يمنعني من ذلك أمر رسول الله ﷺ ونهيه إياي وعهده إليّ ،
فقد أخبرني رسول الله ﷺ ما الأمة صانعة بعده ولم أكن حين عايته أعلم به
ولا أشد استيقاناً به مني قبل ذلك ، بل أنا بقول رسول الله ﷺ أشد يقيناً مني بما
عايته وشهدته ، فقلت : يا رسول الله وما تعهد إليّ إذا كان ذلك ، فقال ﷺ :
إن وجدت أعواناً فانتدب إليهم وجاهدهم ، وإن لم تجد أعواناً فكف يدك
وأحقن دمك حتى تجد على إقامة كتاب الله وسنتي أعواناً ، وأخبرني أنه
سيخذلني الناس ويباعون غيري وأخبرني أني منه بمنزلة هارون من موسى ، وأن
الأمة من بعدي سيصبرون بمنزلة هارون ومن تبعه والعجل ومن تبعه ، إذ قال له :
﴿ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿١﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٢﴾ ۖ قَالَ يَا
ابْنَ أُمِّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي
إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ (١).

يعني إن موسى عليه السلام أمره حين استخلفه عليهم إن ضلوا فوجدت أعواناً
عليهم فجاهدهم وإن لم تجد أعواناً فكف يدك وأحقن دمك ولا تفرق بينهم ،
وإني خشيتُ أن يقول ذلك أخي رسول الله ﷺ ويقول : لم فرقت بين الأمة ولم
ترقب قولي وقد عهدتُ إليك إن لم تجد أعواناً أن تكف يدك وتحقن دمك ودماء
أهل بيتك وشيعتك.

فلما قبض رسول الله ﷺ مال الناس إلى أبي بكر فباعوه واستنصرت
الناس فلم ينصروني غير أربعة : سلمان وأبوذر والمقداد والزبير بن العوام ،

ولم يكن أحد من أهل بيتي أصول به وأتقوى به ، أما حمزة فقتل يوم أحد ، وأما جعفر قتل يوم موقعة... الحديث^(١) .

ومن هذا الباب أيضا كان استنصار فاطمة الزهراء ﷺ .

نصرة المظلوم واجب عقلي

مسألة: نصره المظلوم واجب عقلي ، فلا ينحصر وجوب الانتصار له في المسلم أو المؤمن ، بل يجب على كل إنسان ذلك بحكم العقل والفطرة والوجدان.

وأما توجيهها ﷺ الخطاب للمسلمين فلأنهم المخاطبون بالدرجة الأولى ، ولتحملهم ضعفي^(٢) المسؤولية ، سواء في قضية فداك أو غضب حق الإمام ﷺ .

(١) انظر إرشاد القلوب : ج ٢ ص ٣٩٤ - ٣٩٥ خبر وفاة أبي بكر ومعاذ بن جبل .

(٢) لتكليفهم عقلاً وشرعاً ولائهم على ذلك ، قال رسول الله ﷺ في الحديث المتواتر عند الفريقين : «إني تارك فيكم ثقلين كتاب الله وعترتي» . وفي بعض الروايات : «إني تارك فيكم خليفين كتاب الله وعترتي» .

انظر حديث الثقلين في صحيح الترمذي : ج ٥ ص ٣٢٨ ح ٣٨٧٤ و ح ٣٨٧٦ ط دار الفكر بيروت ، وج ١٣ ص ١٩٩ و ٢٠٠ ط مكتبة الصاوي مصر ، وج ٢ ص ٣٠٨ ط بولاق مصر . مسند أحمد : ج ٣ ص ١٧ و ٢٦ و ٥٩ ، وج ٤ ص ٣٦٦ و ٣٧١ ، وج ٥ ص ١٨١ ط الميمنية بمصر . وصحيح مسلم ، كتاب الفضائل باب فضائل علي بن أبي طالب : ج ٢ ص ٣٦٢ ط عيسى الحلبي ، وج ٧ ص ١٢٢ ط صحيح ، وج ١٥ ص ١٧٩ ط مصر بشرح النووي . ونظم درر السمطين للزرندي الحنفي ص ٢٣١ و ٢٣٢ ط مطبعة القضاء النجف . ونبايح المودة للقندوزي الحنفي : ص ٢٩ و ٣٠ و ٣١ و ٣٦ و ٣٨ و ٤١ و ١٨٣ و ١٩١ و ٢٩٦ و ٣٧٠ ط إسلامبول . وتفسير ابن كثير : ج ٤ ص ١١٣ ط دار إحياء الكتب العربية مصر . ومصابيح السنة للبغوي : ص ٢٠٣ و ٢٠٦ ط القاهرة . وج ٢ ص ٢٧٨ ط صحيح ، وجامع الأصول لابن

→ الأثير: ج ١ ص ١٨٧ ح ٦٥ و ٦٦ ط مصر. والمعجم الكبير للطبراني: ص ١٣٧. ومشكاة المصابيح: ج ٣ ص ٢٥٥ و ٢٥٨ ط دمشق. وإحياء الميت للسيوطي بهامش الإنحاف: ص ١١١ و ١١٤ و ١١٦ ط الحلبي. والفتح الكبير للنبهاني: ج ١ ص ٢٥٢ و ٤٥١ و ٥٠٣ وج ٣ ص ٣٨٥ ط دار الكتب العربية بمصر. والشرف المؤيد للنبهاني: ص ١٨ ط مصر. وأرجح المطالب: ص ٢٣٦ أو ٣٣٦ ط لاهور. ورفع اللبس والشبهات للإدرسي: ص ١١ و ١٥ ط مصر. والسيف اليماني المسلول: ص ١٠ ط الترقى بدمشق. والدر المنثور للسيوطي: ج ٢ ص ٦٠، وج ٦ ص ٧ و ٣٠٦. وذخائر العقبى ص ١٦. والصواعق المحرقة: ص ١٤٧ و ٢٢٦ ط المحمدية، وص ٨٩ ط الميمنية مصر. المعجم الصغير للطبراني: ج ١ ص ١٣٥. أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير الشافعي: ج ٢ ص ١٢. وتفسير الخازن: ج ١ ص ٤. علم الكتاب للسيد خواجة الحنفي: ص ٢٦٤ ط دهلي. منتخب تاريخ ابن عساكر: ج ٥ ص ٤٣٦ ط دمشق. مشكاة المصابيح للعمري: ج ٣ ص ٢٥٨. وتيسير الوصول لابن البديع: ج ١ ص ١٦ ط نور كشور. والتاج الجامع للأصول: ج ٣ ص ٣٠٨ ط القاهرة. مجمع الزوائد للهيتمي: ج ٩ ص ١٦٢ و ١٦٣. الجامع الصغير للسيوطي: ج ١ ص ٣٥٣ ط مصر. وأرجح المطالب للآمرتسري الحنفي: ص ٣٣٥ ط لاهور. ومناقب علي بن أبي طالب عليه السلام لابن المغازلي الشافعي ص ٢٣٤ ح ٢٨١ وص ٢٣٥ ح ٢٨٣ ط طهران. والمناقب للخوارزمي الحنفي: ص ٢٢٣. وفرائد السمطين للحموي الشافعي: ج ٢ ص ١٤٣ ب ٣٣. وإسعاف الراغبين للصبان الشافعي بهامش نور الأبصار: ص ١٠٨ ط السعيدية، السيرة النبوية لزين دحلان المطبوع بهامش السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٣٣٠ و ٣٣١ ط البهية مصر. الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ٢ ص ١٩٤ دار صادر بيروت. المواهب اللدنية: ج ٧ ص ٧ ط مصر. راموز الأحاديث للشيخ أحمد الحنفي: ص ١٤٤ ط آستانة. الأنوار المحمدية للنهاني: ص ٤٣٥ ط الأدبية لبنان. فرائد السمطين: ج ٢ ص ٢٧٢ ح ٥٣٨. وتاريخ دمشق لابن عساكر: ج ٢ ص ٣٦ ح ٥٣٤ و ٥٤٥. وأنساب الأشراف للبلاذري: ج ٢ ص ١١٠. وحلية الأولياء: ج ١ ص ٣٥٥. وكنز العمال: ج ١ ص ١٥٨ ح ٨٩٩ و ٩٤٣-٩٤٧ و ٩٥٠-٩٥٣ و ٩٥٨ و ١٦٥١ و ١٦٥٨ و ١٦٦٨. وكفاية الطالب للكنجي الشافعي: ص ٥٣ ط الحيدرية، و...

أما الحديث في مصادر الشيعة فأكثر من ذلك، راجع مثلاً: عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢ ص ٦٢ ح ٢٥٩ ب ٣١ وفيه: (قال النبي ﷺ: إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ولن يفرقا حتى يرثي عليّ الحوض). ومستدرک الوسائل: ج ١١ ص ٣٧٤ ب ٤٩ ح ١٣٢٩٤.

وانظر حديث الخليفين في مسند أحمد بن حنبل: ج ٥ ص ١٨١ ح ٢١٦١٨ ط مؤسسة قرطبة بمصر. ومجمع الزوائد لأبي بكر الهيتمي: ج ٩ ص ١٦٢ ط دار الريان للتراث، القاهرة. وفضائل الصحابة، ←

في الخلافة، أو الاعتداء على الإمام ﷺ أو عليها ﷺ بالضرب وعلى دارها بالإحراق أو غير ذلك من كسر الضلع وإسقاط الجنين.

ومن ذلك يتضح أن الحكام من بني أمية وبني العباس والعثمانيين كلهم شركاء في استمرار هذه المظالم حيث كان بمقدورهم رد فدك وإرجاع الخلافة لأهلها.

ومن ذلك يتضح أيضاً أن الدول المعاصرة والأمم المتحدة ومنظمات حقوق الإنسان أيضاً مسؤولة عن إرجاع فدك لأحفادها (صلوات الله عليها) إذ الحق لا يبطل بالتقادم وهذه ظلامة كبرى على مر التاريخ.

قال أمير المؤمنين ﷺ: «أحسن العدل نصرة المظلوم»^(١).

وعن البراء بن عازب قال: (أمرنا رسول الله ﷺ بسبع ونهاها عن سبع، أمرنا بعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإفشاء السلام، وإجابة الداعي، وتسميت العاطس، ونصرة المظلوم، وبر القسم...) الحديث^(٢).

وعن أبي عبد الله ﷺ قال: «قال رسول الله ﷺ لرجل أتاه: ألا أدلك على أمر يدخلك الله به الجنة؟ قال: بلى يا رسول الله، قال: أنل مما أنالك

→ لابن حنبل: ج ٢ ص ٦٠٣ ط مؤسسة الرسالة بيروت. وأيضاً في مسند أحمد بن حنبل: ج ٥ ص ١٨٩ ح ٢١٦٩٧ ط مؤسسة قرطبة بمصر. وأيضاً في مجمع الزوائد لأبي بكر الهيثمي: ج ٩ ص ١٦٢ ط دار الريان للتراث، القاهرة.

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٤٦ ق ٦ ب ٤ ف ٥ ح ١٠٢١٠.

(٢) معدن الجواهر: ص ٥٨-٥٩ باب ذكر ما جاء في سبعة، ومثله في الخصال: ج ٢ ص ٣٤٠-٣٤١ باب السبعة.

الله، قال: فإن كنت أحوج ممن أنيله، قال: فانصر المظلوم..»^(١).
وقال أمير المؤمنين (ع): «من لم ينصف المظلوم من الظالم عظمت
آثامه»^(٢).

وقال (ع): «من لم ينصف المظلوم من الظالم سلبه الله قدرته»^(٣).
وقال (ع): «لا ينتصر المظلوم بلا ناصر»^(٤).

(١) انظر تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ٢ ص ١٨٩.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٤١ ق ٤ ب ٢ ف ٣ ح ٧٨٠٤.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٤١ ق ٤ ب ٢ ف ٣ ح ٧٨٠٥.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٨٣ ق ٦ ب ٦ ح ١١١٤٤.

أغلب على إرثيه

التعجب الاستنكاري

قولها ﷺ: (أغلب على إرثيه) ورد في مقام التعجب المضمّن معنى الاستنكار، أي كيف أُمْنَع من إرث أبي على خلاف كتاب الله؟! والهاء للسكت، أي أنها علامة السكوت في آخر الكلام، والتي تلحق ببيان حركة أو حرف، ولذا يسكت بها في الوقف دون الوصل، وإن قرئ بإثباتها في الوصل أيضاً، مثل قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهٗ * وَلَمْ أَدْرِمَا حِسَابِيَهٗ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهٗ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهٗ﴾^(١).

أو إشارة إلى قطع الاستمرار في الكلام إلى هنا، وذلك لتلهف المتكلم بما لا يتمكن من بيانه بالكلام، أو بما لا يسمح له المقام به، فأريد بذلك نحو من انطباق الكلام مع الواقع، كما في قوله عز وجل: ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ﴾^(٢) بحذف الياء حيث أريد حكايتها^(٣) للكلام، فإنه من شدة الشوق لم يتكلم بتمام الكلام، كما أن من الوارد أحياناً أن لا يتم الكلام لشدة الخوف أو الحزن أو غير ذلك من الحالات النفسية الطارئة.

(١) سورة الحاقة: ٢٥ - ٢٩.

(٢) سورة الكهف: ٦٤.

(٣) أي الآية أو الكلمة (نبغ).

وفي المقام قد يكون وقفها (عليه) على (إرثيه) لغلبة الآلام عليها مما لاقته من القوم، كما يتوقف المتكلم عند انقطاع نفسه - لإرهاق أو تحرك زائد أو غير ذلك - إذ أنها (صلوات الله عليها) جاءت إلى المسجد متحاملة على نفسها، تعاني من جراحها وكسر ضلعها وسقط جنينها، وتتجلد رغم آلامها، فلعن الله ظالميهها وغاصبي حقوقها وعذبهم عذاباً أليماً.

فقد روي: «أنها (عليها) ما زالت بعد أبيها معصبة الرأس، تأحله الجسم، منهدة الركن، باكية العين، محترقة القلب، يُغشى عليها ساعة بعد ساعة»^(١).

ولعل المراد بالإرث هنا: الأعم من النحلة والإرث المصطلح، وقد سبق أن فذك كانت نحلة نحلها رسول الله ﷺ للزهراء (عليها) في حياته، كما هو ثابت في التواريخ، وكما استدلت هي أيضاً بذلك في موطن آخر.

وأما إذا أريد بالإرث: خصوص الإرث بالمعنى المشهور، فهو - كما سبق - من باب التسليم لإثبات الحق بما يعترف به الخصم، فإن الإنسان إن كان محقاً ولا يصل إلى حقه إلا بالطريق الذي يلزم الخصم، أي بما يراه الخصم صحيحاً وإن كان الصحيح عنده غيره، صح سلوك ذلك الطريق، وهذا قد يكون من مصاديق «إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم»^(٢) ومن باب

(١) بحار الأنوار: ج ٤٣ ص ١٨١ ب ٧ ح ١٦.

(٢) بحار الأنوار: ج ١ ص ٨٥ ب ١ ضمن ح ٧، ومن أمثله الجواب الذي ذكره الإمام السجاد (عليه) على السؤال التالي: (لأي علة حجب الله عز وجل الخلق عن نفسه؟) فقال (عليه): (لأن الله تبارك وتعالى بناهم بنية على الجهل، فلو أنهم كانوا ينظرون الله عز وجل لما كانوا بالذي يهابونه ولا يعظمونه، نظير ذلك أحدكم فإذا نظر إلى بيت الله الحرام أول مرة عظمه إذا أتت عليه أيام وهو يراه لا يكاد أن ينظر إليه إذا مر به ولا يعظمه ذلك التعظيم). علل الشرائع: ج ١ ص ١١٩ ب ٩٨ ح ٢.

(إن سلمنا) كما في كلمات العلماء ، ومثل قول النبي إبراهيم عليه السلام «هذا ربي» ، قال تعالى : ﴿فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي﴾^(١).

قال الإمام الرضا عليه السلام : «إن إبراهيم عليه السلام وقع على ثلاثة أصناف ، صنف يعبد الزهرة وصنف يعبد القمر وصنف يعبد الشمس ، وذلك حين خرج من السرب الذي أخفى فيه ، ﴿فلما جن عليه الليل رأى﴾ الزهرة قال : ﴿هذا ربي﴾ على الإنكار والاستخبار.. ﴿فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي﴾^(٢) على الإنكار والاستخبار... ﴿فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر﴾^(٣) من الزهرة والقمر على الإنكار والاستخبار لا على سبيل الإخبار والإقرار»^(٤).

قولها عليه السلام قبل ذلك : «بلى قد تجلى لكم كالشمس الضاحية». الضاحية بمعنى : الظاهرة البينة ، لأن في وقت الضحى تكون الشمس أظهر شيء ، والضحى وقت بين الصبح والظهر حين تقترب الشمس من نصف النهار. وقولها عليه السلام : «أني ابنته» فإنها (صلوات الله عليها) ذكرت انطباق الكبرى الكلية للإرث على الصغرى الشخصية والتي هي عبارة عن : أنها ابنة رسول الله ﷺ.

(١) سورة الأنعام : ٧٦.

(٢) سورة الأنعام : ٧٧.

(٣) سورة الأنعام : ٧٨.

(٤) الاحتجاج : ج ٢ ص ٤٢٧ احتجاج الرضا عليه السلام على أهل الكتاب وغيرهم.

يا بن أبي قحافة

مواجهة الحاكم

مسألة: توجيهها (ع) الخطاب لابن أبي قحافة مباشرة يفيد رجحان أو وجوب التوجه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نحو العقل المخطط والعامل الأول والسبب الرئيسي في الظلم، ومحاولة ردعه مباشرة، فإنه المعني بالأمر والنهي أولاً وبالذات.

قال تعالى: ﴿اذهبا إلى فرعون إنه طغى﴾^(١).

وقال الإمام الحسين (ع): «نحن أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة، ويزيد فاسق شارب الخمر وقاتل النفس، ومثلي لا يبايع مثله ولكن نصبح وتصبحون أينما أحق بالخلافة والبيعة»^(٢).

ويرفع اليد عن هذا فيما لو كان التوجه لغيره أجدي وأنفع، أو كان التوجه له ذا خطر مرفوع بقاعدة (لا ضرر) أو ما أشبهه، فإنه حينئذ يرفع اليد عن التوجه للعامل الأساسي إلا إذا كان له - رغم الخطر - مصلحة ملزمة أكبر أو أهم. والمصلحة والمفسدة تلاحظ بالقياس إلى الشخص الأمر وإلى أتباعه وإلى لوازم الأمر والنهي وإلى الآثار المستقبلية على الأجيال القادمة، وبالقياس إلى نوع المأمور به والمنهي عنه، وإلى المصالح العليا والعامة وما أشبهه.

(١) سورة طه: ٤٣.

(٢) راجع مثير الأحزان: ص ٢٤ المقصد الأول، أخبار الحسين (ع) بموت معاوية ومناحه، وراجع اللهوف:

ص ٢٣ المسلك الأول في الأمور المتقدمة على القتال.

وذلك كله يعرف من الشرع ومن الذين عدهم الشرع مرجعاً في الحوادث الواقعة، فلو أراد ظالم غصب مال شخصٍ فإن نهيهِ عن المنكر واجب لو لم يستلزم ضرر الناهي بما لا يجوز تحمله كالقتل مثلاً.

لكن لو استلزم ذلك سجن الناهي لشهر مثلاً فهل يجب النهي عندئذ؟ المرجع في بعض الصغريات إلى الفقهاء، وفي بعضها إلى أهل الخبرة، وفي بعضها إليهما معاً، وفي بعضها إلى العرف، وفي بعضها إلى الشخص نفسه على تفصيل ذكرناه في الفقه.

وفي المقام كان فضح الظلم والعدوان في أقصى درجات الأهمية، لذلك وجهت الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء ﷺ الخطاب للأول مباشرة، ولم يكن ليحل محله توجيه الخطاب لشخص آخر ابتداءً، فالخطر في مثل هذا الموقف كان مما لا يلغي وجوب الاقتحام، إضافة إلى أنه قد يقال بأنهم كانوا يتخوفون من إيذائها ﷺ أكثر مما سبق منهم من الإيذاء العظيم، خوفاً من ردود الفعل الجماهيرية أو مزيد من فقدان الشرعية وإن آذوها ﷺ قبل ذلك بضربها ولطمها وكسر ضلعها وإسقاط جنينها وغيرها، لأن خطبتها الفدكية كانت بعد قصة الدار، كما يظهر من التواريخ.

أفي كتاب الله ترث أباك ولا أرث أبي؟

الاستدلال المنطقي

مسألة: ينبغي أن يتطبع الإنسان - إن لم يكن طبعاً له - على الاستدلال المنطقي المعقول، خاصة على الخصم، أي «بالحكمة والموعظة الحسنة»^(١) والمجادلة «بالتّي هي أحسن»^(٢). وهذا ما يشاهد بوضوح في احتجاجات رسول الله ﷺ والأئمة الطاهرين عليهم السلام^(٣).

وقد يجب مثل هذا الأسلوب حسب المتعلق، فإذا كان المتعلق واجباً وجب، وإذا كان المتعلق مستحباً استحب.

وليس المراد بالمنطقي: البرهان فقط، بل يشمل الصناعات الخمس التي ذكرها المنطقيون في المنطق، فإن من الشعر والخطابة والجدل ما يكون في مورده استدلالاً منطقياً بالمعنى الأعم أيضاً.

قال الله تبارك وتعالى في كتابه مخاطباً لنبيه ﷺ: «وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ»^(٤).

وقال عز من قائل: «وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ»^(٥).

(١) سورة النحل: ١٢٥.

(٢) سورة النحل: ١٢٥.

(٣) راجع كتاب (الاحتجاج) للشيخ الطبرسي رحمته الله.

(٤) سورة النحل: ١٢٥.

(٥) سورة العنكبوت: ٤٦.

وقال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ﴾ الآية^(١).

وقال تعالى حكاية عن إبراهيم ﷺ أيضا لما احتج على عبدة الكوكب المعروف بالزهرة وعبدة الشمس والقمر جميعا بزوالها وانتقالها وطلوعها وأفولها وعلى حدوثها وإثبات محدث لها وفاطر إياها: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ إلى قوله تعالى ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾^(٢) وغير ذلك من الآيات التي فيها الأمر بالاحتجاج.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «نحن المجادلون في دين الله على لسان سبعين نبيا»^(٣).

كما ورد العديد من الروايات في بيان فضل مجادلة أهل الباطل والدفاع عن الحق، فعن أبي محمد الحسن بن علي العسكري ﷺ قال: قال الحسن بن علي ﷺ: «فضل كافل يتيم آل محمد ﷺ المنقطع عن مواليه الناشب في رتبة الجهل يخرج من جهله ويوضح له ما اشتبه عليه على فضل كافل يتيم يطعمه ويسقيه كفضل الشمس على السها»^(٤).

وقال جعفر بن محمد الصادق ﷺ: «علماء شيعتنا مرابطون في الثغر الذي يلي إبليس وعفاريته، يمنعوهم عن الخروج على ضعفاء شيعتنا، وعن أن

(١) سورة البقرة: ٢٥٨.

(٢) سورة الأنعام: ٧٥-٨٣.

(٣) الاحتجاج: ج ١ ص ١٥ في ذكر طرف مما أمر الله في كتابه من الحجاج والجدال بالتتي هي أحسن.

(٤) مستدرك الوسائل: ج ١٧ ص ٣١٨ ب ١١ ح ٢١٤٦١.

يتسلط عليهم إبليس وشيعته والنواصب، ألا فمن انتصب لذلك من شيعتنا كان أفضل ممن جاهد الروم والترك والخزر ألف ألف مرة، لأنه يدفع عن أديان محبينا وذلك يدفع عن أبدانهم»^(١).

وقال موسى بن جعفر (عليه السلام): «فقيه واحد ينقذ يتيما واحداً من أيتامنا المنقطعين عنا وعن مشاهدتنا بتعليم ما هو محتاج إليه أشد على إبليس من ألف عابد، لأن العابد همه ذات نفسه فقط، وهذا همه مع ذات نفسه ذوات عباد الله وإمائه ينقذهم من يد إبليس ومردته فلذلك هو أفضل عند الله من ألف ألف عابد وألف ألف عابدة»^(٢).

وقال علي بن محمد (عليه السلام): «لولا من يبقى بعد غيبة قائمكم (عليه السلام) من العلماء الداعين إليه والدالين عليه والذابين عن دينه بحجج الله والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومردته ومن فخاخ النواصب لما بقي أحد إلا ارتد عن دين الله ولكنهم الذين يمسون أزمة قلوب ضعفاء الشيعة كما يمسك صاحب السفينة سكانها أولئك هم الأفضلون عند الله عز وجل»^(٣).

وقال أبو محمد الحسن بن علي العسكري (عليه السلام): قال علي بن أبي طالب (عليه السلام): «من قوى مسكينا في دينه ضعيفا في معرفته على ناصب مخالف فأفحمه، لقنه الله تعالى يوم يدلى في قبره أن يقول: الله ربي، ومحمد نبيي، وعلي وليي، والكعبة قبلتي، والقرآن بهجتي وعدتي، والمؤمنون إخواني،

(١) الاحتجاج: ج ١ ص ١٧ في ذكر طرف مما أمر الله في كتابه من الحجاج والجدال بالتي هي أحسن.

(٢) غوالي اللآلي: ج ١ ص ١٨-١٩ ف ٢ ح ٦.

(٣) تفسير الإمام العسكري (عليه السلام): ص ٣٤٤-٣٤٥ في أن اليتيم الحقيقي هو المنقطع عن الإمام (عليه السلام).

فيقول الله : أدليت بالحجة فوجبت لك أعالي درجات الجنة ، فعند ذلك يتحول عليه قبره أنزه رياض الجنة»^(١).

وقال أبو محمد ﷺ قالت فاطمة رضي الله عنها وقد اختصم إليها امرأتان فتنازعتا في شيء من أمر الدين ، إحداهما معاندة والأخرى مؤمنة ، ففتحت على المؤمنة حجتها فاستظهرت على المعاندة ففرحت فرحا شديدا ، فقالت فاطمة رضي الله عنها : إن فرح الملائكة باستظهارك عليها أشد من فرحك ، وإن حزن الشيطان ومردته بحزنها عنك أشد من حزنها ، وإن الله عز وجل قال للملائكة : أوجبوا لفاطمة بما فتحت على هذه المسكينة الأسيرة من الجنان ألف ألف ضعف مما كنت أعددت لها ، واجعلوا هذه سنة في كل من يفتح على أسير مسكين فيغلب معانداً مثل ألف ألف ما كان له معداً من الجنان»^(٢).

وقال أبو محمد العسكري رضي الله عنه لبعض تلامذته لما اجتمع قوم من الموالي والمحبين لآل رسول الله ﷺ بحضرته ، وقالوا : يا ابن رسول الله ، إن لنا جاراً من النصاب يؤذينا ويحتج علينا في تفضيل الأول والثاني والثالث على أمير المؤمنين رضي الله عنه ويورد علينا حججاً لا ندري كيف الجواب عنها والخروج منها ، قال : «مر بهؤلاء إذا كانوا مجتمعين يتكلمون فتسمع عليهم فيستدعون منك الكلام فتكلم وأفحم صاحبهم واكسر غرته وفل حده ولا تبق له باقية».

فذهب الرجل وحضر الموضع ، وحضروا وكلم الرجل فأفحمه وصيره

(١) الاحتجاج : ج ١ ص ١٨ في ذكر طرف مما أمر الله في كتابه من الحجاج والجدال بالتالي هي أحسن.

(٢) الاحتجاج : ج ١ ص ١٨ في ذكر طرف مما أمر الله في كتابه من الحجاج والجدال بالتالي هي أحسن.

لا يدري في السماء هو أو في الأرض.

قالوا: فوق علينا من الفرح والسرور ما لا يعلمه إلا الله تعالى، وعلى الرجل والمتعصبين له من الحزن والغم مثل ما لحقنا من السرور، فلما رجعنا إلى الإمام عليه السلام قال لنا: «إن الذي في السماوات من الفرح والطرب بكسر هذا العدو لله كان أكثر مما كان بحضرتكم، والذي كان بحضرة إبليس وعتاة مردته من الشياطين من الحزن والغم أشد مما كان بحضرتهم؛ ولقد صلى على هذا الكاسر له ملائكة السماء والحجب والكرسي وقابلها الله بالإجابة فأكرم إياه وعظم ثوابه ولقد لعنت تلك الملائكة عدو الله المكسور وقابلها الله بالإجابة فشدد حسابه وأطال عذابه»^(١).

(١) راجع بحار الأنوار: ج ٢ ص ١١ ب ٨ ح ٢٣.

الأصل هو المساواة

مسألة: ربما يفهم من كلامها ﷺ أن الأصل الأولي هو المساواة في الحقوق والأحكام بين كافة أفراد المكلفين ، ومن المصاديق الرجال والنساء ، لذلك احتيج إلى الدليل على التفاوت والتبعيض والفرقة.

وهذا المستفاد هو مقتضى القاعدة ، فإن الأصل - كما ذكرناه في الفقه - هو المساواة بين الرجال والنساء في جميع الأحكام إلا ما خرج بالدليل ، وليس أصل المقام مما خرج بالدليل ، فكما يرث الرجل ترث المرأة أيضاً وإن اختلف المقدار ، والتنظير بلحاظ أصل الإرث لا الخصوصية كما هو واضح.

قال سبحانه: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٢).

(١) سورة التوبة : ٧١.

(٢) سورة الأحزاب : ٣٥.

وقال عز وجل: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾^(١).

وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾^(٢).

بين الحاكم والرعية

مسألة: يستفاد من كلامها (ع) أيضاً: أن المساواة هي الأصل المحكم بين من بيده السلطة ومن لا سلطة له، وأن الحاكم يجب أن يخضع لكتاب الله، فقد قال عز وجل في القرآن الحكيم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٣).

وقال رسول الله (ص): «الناس كأسنان المشط سواء»^(٤).

وقال (ص): «المؤمنون كأسنان المشط يتساوون في الحقوق بينهم، ويتفاضلون بأعمالهم»^(٥).

قولها (ع): «يا ابن أبي قحافة أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا ارث أبي»،

(١) سورة التوبة: ٧٢.

(٢) سورة الأحزاب: ٥٨.

(٣) سورة الحجرات: ١٣.

(٤) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٣٧٩ باب النوادر ح ٥٧٩٨.

(٥) مستدرک الوسائل: ج ٨ ص ٣٢٧ ب ١٠ ضمن ح ٩٥٦٨.

أي: كيف يمكن التفرقة بين المسلمين حتى أن بعضهم يرث أباه وبعضهم لا يرثه.

ومؤدى كلامها ﷺ أنه هل يوجد في كتاب الله كبرى كلية تقتضي - عند تطبيقها على المصداق - أن ترث أنت أباك، ومخصص لتلك الكبرى^(١) أو كبرى أخرى^(٢) تقتضي عدم إرثي من أبي؟

(١) وهي ما أشارت إليه ﷺ فيما بعد بـ (أفخصكم الله بآيه أخرج منها أبي).

(٢) وهي ما أشارت إليه ﷺ فيما بعد بـ (أم هل تقولون أهل ملتين لا يتوارثان).

لقد جئت شيئاً فرياً!

الافتراء على الله

مسألة: قولها (عليها السلام): «لقد جئت شيئاً فرياً»، شهادة منها (عليها السلام) بارتكاب ابن أبي قحافة كبيرة من أكبر الكبائر وهي الافتراء على الله تعالى.

وشهادتها (صلوات الله عليها) حجة بلا شك، وذلك من جهات عديدة، منها: أنها (عليها السلام) من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً^(١)، فإن اتهام الآخرين بما لم يفعلوه رجس ومناف للتطهير، وفي الحديث الشريف: «من شهد شهادة زور على أحد من الناس علق بلسانه مع المنافقين في الدرك الأسفل من النار»^(٢)، فشهادتها (عليها السلام) صادقة بدليل الكتاب الحكيم.

كما أن تعبيرها (عليها السلام) بـ (لقد جئت) و(فرياً) دليل على أنه كان عالماً عامداً بمعصيته، إذ ظاهر إطلاق (الفرية) هو ذلك، كما أن ظاهر (جئت) باعتباره فعلاً مسنداً للفاعل هو القصد والاختيار.

(١) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٢) انظر من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ١٥ باب ذكر جمل من مناهي النبي (ص)، ضمن ح ٤٩٦٨.

شهادة المعصوم

مسألة: من المحرم عدم الاعتناء بشهادة المعصوم ﷺ أو عدم قبولها، ولو رجع ذلك إلى إنكار الرسالة كان كفراً.

ومن البديهي أن الرسول ﷺ إذا اعتبر شهادة (خزيمة بن ثابت) بمنزلة شهادتين وسماء ذا الشهادتين في قصة مشهورة^(١)، فإن شهادة بضعته ﷺ التي قال عنها: (إن الله تعالى يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها)^(٢)، وهي ﷺ من آية التطهير^(٣)، أقوى وأتم وأحرى بالقبول، فإن الإعراب عن شهادتها إغضاب لها والله عز وجل بنص الحديث، ولا يعقل أن يغضب الله تعالى لباطل، بالإضافة إلى أنه تكذيب لقوله عز وجل في آية التطهير كما لا يخفى.

وفي الكافي عن معاوية بن وهب قال: كان البلاط حيث يصلى على الجنائز سوقاً على عهد رسول الله ﷺ يسمى البطحاء يباع فيها الحليب والسمن والأقط وإن أعرابياً أتى بفرس له فأوثقه فاشتراه منه رسول الله ﷺ ثم دخل ليأتيه بالثمن، فقام ناس من المنافقين فقالوا: بكم بعت فرسك؟ قال: بكذا وكذا.

قالوا: بئس ما بعت، فرسك خير من ذلك.

(١) يأتي ذكرها في نهاية هذا البحث.

(٢) عيون أخبار الرضا ﷺ: ج ٢ ص ٤٦-٤٧ ب ٣١ ح ١٧٦.

(٣) سورة الأحزاب: ٣٣.

وإن رسول الله ﷺ خرج إليه بالثمن وافياً طيباً، فقال الأعرابي: ما بعثك والله.

فقال رسول الله ﷺ: سبحان الله، بلى والله لقد بعثني.
وارتفعت الأصوات فقال الناس: رسول الله يقاوم الأعرابي، فاجتمع
ناس كثير، فقال أبو عبد الله (عليه السلام): ومع النبي ﷺ أصحابه إذ أقبل خزيمة بن ثابت
الأنصاري، ففرج الناس بيده حتى انتهى إلى النبي ﷺ فقال: أشهد يا رسول
الله لقد اشتريته منه.

فقال الأعرابي: أتشهد ولم تحضرنا؟
وقال له النبي ﷺ: أشهدتنا؟
فقال له: لا يا رسول الله ولكني علمت أنك قد اشتريت، أفأصدقك بما
جئت به من عند الله ولا أصدقك على هذا الأعرابي الخبيث. قال فعجب له
رسول الله ﷺ وقال: يا خزيمة شهادتك شهادة رجلين»^(١).

(١) الكافي: ج ٧ ص ٤٠٠-٤٠١ باب النوادر ح ١.

حرمة الافتراء والكذب مطلقاً^(١)

مسألة: يحرم الافتراء على الله والقرآن، بل مطلق الكذب، فقد قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٣).

وقال سبحانه: ﴿انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا﴾^(٤).

وقال عز وجل: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾^(٥).

وإذا اجتمع لفظ الافتراء والكذب كان معنى الافتراء: القطع، كما يقطع اللحم، فكأنه يقطع عرى الإيمان أو يقطع جبل المودة أو ﴿يَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾^(٦) أو بلحاظ الاقتطاع من شخصية المفتري عليه، فكما أن

(١) أي على الله عز وجل أو على القرآن أو على غيرهما.

(٢) سورة النحل: ١٠٥.

(٣) سورة آل عمران: ٩٤.

(٤) سورة النساء: ٥٠.

(٥) سورة الأنعام: ٢١.

(٦) سورة البقرة: ٢٧، وسورة الرعد: ٢٥.

السكين تقطع لحمه مادياً كذلك الفرية سكين تقطع شخصيته المعنوية.
قال أمير المؤمنين (ع): «هلك من ادعى وخاب من افترى»^(١).
وفي زيارة أمير المؤمنين (ع): «ولعن الله من افترى عليك»^(٢).
وقال أبو جعفر (ع): «يا أبا النعمان لا تكذب علينا كذبة فتسلب الحنيفية،
ولا تطلبن أن تكون رأساً فتكون ذنباً، ولا تستأكل الناس بنا فتفتقر، فإنك
موقوف لا محالة ومستول فإن صدقت صدقناك وإن كذبت كذبتناك»^(٣).
وعن أبي جعفر (ع) قال: «إن الكذب هو خراب الإيمان»^(٤).
وعن أبي عبد الله (ع) قال: «إن الكذاب يهلك بالبينات ويهلك أتباعه
بالشبهات»^(٥).
وفي الحديث: «ذكر الحائك لأبي عبد الله (ع) أنه ملعون، فقال: إنما ذلك
الذي يحوك الكذب على الله وعلى رسوله (ص)»^(٦).
وقال أمير المؤمنين (ع): «ولا سوءاً أسوأ من الكذب»^(٧).
وقال (ع): «إياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور والفجور
يهدي إلى النار»^(٨).

(١) الكافي: ج ٨ ص ٦٧-٦٨ خطبة لأمر المؤمنين (ع)، ضمن ح ٢٣.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٥٨٩ زيارة قبر أمير المؤمنين (ع) ضمن ح ٣١٩٧.

(٣) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٢٤٧-٢٤٨ ب ١٣٩ ح ١٦٢١٩.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٣٣٩ باب الكذب ح ٤.

(٥) بحار الأنوار: ج ٦٩ ص ٢٤٨ ب ١١٤ ح ١٠.

(٦) الكافي: ج ٢ ص ٣٤٠ باب الكذب ح ١٠.

(٧) مستدرک الوسائل: ج ٩ ص ٨٨ ب ١٢٠ ح ١٠٢٩٧.

(٨) جامع الأخبار: ص ١٤٨ الفصل الحادي عشر والمائة في الصدق والكذب.

وعن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: «أربع من كن فيه فهو منافق، وإن كانت فيه واحدة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، من إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»^(١).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «الكذب على الله وعلى رسوله ﷺ من الكبائر»^(٢).

وعن الإمام الرضا عليه السلام قال: «سُئِلَ رسول الله ﷺ يكون المؤمن جباناً؟ قال: نعم، قيل: ويكون بخيلاً، قال: نعم، قيل: ويكون كذاباً، قال: لا»^(٣).

وقال النبي ﷺ: «أرْبَى الرِّبَا الكَذِبُ»^(٤).

وقال رجل للنبي ﷺ: المؤمن يزني؟

قال ﷺ: «قد يكون ذلك».

قال: المؤمن يسرق؟

قال ﷺ: «قد يكون ذلك».

قال: يا رسول الله المؤمن يكذب؟

قال: «لا، قال الله تعالى:

﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾»^(٥)»^(٦).

(١) الخصال: ج ١ ص ٢٥٤ باب الأربعة ح ١٢٩.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٣٣٩ باب الكذب ح ٥.

(٣) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٢٤٥-٢٤٦ ب ١٣٨ ح ١٦٢١٤.

(٤) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٣٧٧ باب النوادر ح ٥٧٨٠.

(٥) سورة النحل: ١٠٥.

(٦) مستدرک الوسائل: ج ٩ ص ٨٦ ب ١٢٠ ح ١٠٢٨٩.

مما يجب إعلام الناس به

مسألة: يستحب أو يجب إعلام الناس بأن الذي سُمي بالخليفة! قد خالف كتاب الله وجاء بشيء فري (افتراء وكذب)، كما صرحت (سلام الله عليها) بذلك، فإنه قد يستحب بيان ذلك وقد يجب، كل في محله، حسب القوانين العامة الأولية.

قولها (عليها السلام): (لقد جئت شيئاً فرياً)، أي: أمراً عظيماً منكراً، ولعله اقتباس من قوله سبحانه حيث حكى قصة قوم عيسى (عليه السلام) لمريم (عليها السلام): ﴿لقد جئت شيئاً فرياً﴾^(١).

أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم

التعمد في الأمر

مسألة: إن ترك القوم لكتاب الله ونبذه وراء ظهورهم كان عن عمد وعلم وينبغي بيان ذلك، فإن عدل الاستفهام في قولها ﷺ: (أفعلى عمد تركتم) محذوف^(١)، لأن المقصود هو أنهم فعلوا ذلك عمداً، فحذف العدل لإفادة أن هذا العدل المذكور هو الواقع وهو المراد والمقصود دون غيره.

ومن البلاغة حذف العدل، مثل قوله سبحانه وتعالى: ﴿أمن هو قانت آناء الليل﴾^(٢)، وما أشبه مما ذكره في باب الاستفهام^(٣).

والنبذ وراء الظهر: كناية عن عدم العمل.

وقد وردت روايات في ذم من نسي سورة فكيف بمن ترك العمل بالقرآن.

عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليه السلام في حديث المناهي: أن رسول الله ﷺ قال: «ألا ومن تعلم القرآن ثم نسيه لقي الله يوم القيامة مغلولاً يسلط الله عليه بكل آية منها حية تكون قرينه إلى النار إلا أن يغفر له»^(٤).

(١) أي أعلى عمد تركتم أم عن سهو وجهل؟

(٢) سورة الزمر: ٩.

(٣) راجع كتاب (البلاغة) للإمام المؤلف (قدس سره).

(٤) وسائل الشيعة: ج ٦ ص ١٩٦ ب ١٢ ح ٧٧١٥.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «من تعلم القرآن ثم نسيه لقي الله تعالى وهو أجذم»^(١).

وعن يعقوب الأحمر قال: قلت لأبي عبد الله (ع): جعلت فداك، إني كنت قرأت القرآن ففلت مني فادع الله عزوجل أن يعلمنيه، قال: فكأنه فزع لذلك فقال: «علمك الله هو وإيانا جميعا» قال: ونحن نحو من عشرة ثم قال: «السورة تكون مع الرجل قد قرأها ثم تركها فتأتيه يوم القيامة في أحسن صورة وتسلم عليه، فيقول: من أنت فتقول أنا سورة كذا وكذا فلو أنك تمسكت بي وأخذت بي لأنزلتك هذه الدرجة، فعليكم بالقرآن»^(٢).

وفي رواية أخرى عن يعقوب الأحمر قال: قلت لأبي عبد الله (ع): إن عليّ ديناً كثيراً وقد دخلني ما كاد القرآن يتفلّت مني، فقال أبو عبد الله (ع): «القرآن القرآن إن الآية من القرآن والسورة لتجيء يوم القيامة حتى تصعد ألف درجة يعني في الجنة فتقول: لو حفظتني لبلغت بك هاهنا»^(٣).

وعن ابن أبي يعفور قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: إن الرجل إذا كان يعلم السورة ثم نسيها أو تركها ودخل الجنة أشرفت عليه من فوق في أحسن صورة فتقول: تعرفني، فيقول: لا، فتقول: أنا سورة كذا وكذا لم تعمل بي وتركتني أما والله لو عملت بي لبلغت بك هذه الدرجة وأشارت بيدها إلى

(١) مستدرک الوسائل: ج ٤ ص ٢٦٣ ب ١١ ح ٤٦٥٣.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٦٠٧ باب من حفظ القرآن ثم نسيه، ضمن ح ١.

(٣) وسائل الشيعة: ج ٦ ص ١٩٤ ب ١٢ ح ٧٧١٠.

فوقها»^(١).

وعن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله ﷺ «من نسي سورة من القرآن مثلت له في صورة حسنة ودرجة رفيعة في الجنة فإذا رآها قال: ما أنت ما أحسنك ليتك لي، فتقول: أما تعرفني، أنا سورة كذا وكذا لو لم تنسني لرفعتك إلى هذا المكان»^(٢).

الساكت على الظلم

مسألة: يستفاد من كلامها ﷺ أن الساكت في المقام تارك لكتاب الله أيضاً، فالذي يسكت عن جور الجائر وظلمه وتخطيه أوامر القرآن ونواهيه، هو من مصاديق التارك للعمل بالكتاب، بل من مصاديق الضارب به عرض الحائط والنابذ له وراء ظهره، وذلك بدليل توجيهها الخطاب للجميع: (أفعلى عمد تركتم) رغم أن الغاصب المباشر كان الخليفة ومن مثله، والأكثر ربما لم يشاركوا بقول أو فعل، بل بمجرد السكوت وعدم الردع.

بل خطابها ﷺ قد يشمل حتى من شارك في النهي عن هذا المنكر قولاً أو عملاً لكنه ليس بالقدر الواجب، إذ النهي القولي والعملي على درجات - شدة وضعفاً - وله زيادة ونقصان كما.

(١) الكافي: ج ٢ ص ٦٠٨ باب من حفظ القرآن ثم نسيه ح ٤.

(٢) المحاسن: ج ١ ص ٩٦ ب ٢٢ ح ٥٧.

قال تعالى: ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾^(١).

وقال سبحانه: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾^(٢).

وقال عز وجل: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾^(٣).

وقال أبو عبد الله (عليه السلام) في حديث: «وليفعل الخير ما استطاع»^(٤).

وفي عهد أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى محمد بن أبي بكر: «أمره بتقوى الله...

وبالإنصاف للمظلوم وبالشدة على الظالم»^(٥).

(١) سورة الأنفال: ٦٠.

(٢) سورة التغابن: ١٦.

(٣) سورة البقرة: ٢٨٦.

(٤) راجع الكافي: ج ٣ ص ٤١٧ باب التزُّين يوم الجمعة، ضمن ح ١.

(٥) بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٥٤٠ ب ٣٠ ح ٧٢٠.

إذ يقول: ﴿وورث سليمان داود﴾^(١)، وقال فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريا، إذ قال: ﴿فهب لي من لدنك ولياً﴾ يرثني ويرث من آل يعقوب^(٢) وقال: ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾^(٣)، وقال: ﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين﴾^(٤) وقال: ﴿إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين﴾^(٥).

تراكم الأدلة

مسألة: من مصاديق الحكمة: استخدام أسلوب (تراكم الأدلة) والالتجاء إلى عدد منها بل إلى الكثير منها، كما صنعت (سلام الله عليها)، ولذلك ولغيره فإن من المستحب ذكر عدة أدلة والاستناد إلى آيات مختلفة لإثبات الحق كما ذكرت ﷺ خمساً من الآيات في هذا المقطع من الخطبة الشريفة. وذلك لسد ذريعة المبطل.

إذ من الممكن أن يناقش البعض في بعض الأدلة، فإذا كانت هنالك أدلة كثيرة فإنه لا يمكن عادة المناقشة في جميعها، إضافة إلى أن غير المعاند أيضاً قد لا يقنعه دليل واحد قناعة تامة فيعضده الدليل الآخر.

(١) سورة النمل: ١٦.

(٢) سورة مريم: ٦٠-٥.

(٣) سورة الأنفال: ٧٥، وسورة الأحزاب: ٦.

(٤) سورة النساء: ١١.

(٥) سورة البقرة: ١٨٠.

ثم إن تعدد الأدلة نافع من الناحية الكيفية أيضاً بلحاظ كون الإيمان والعلم على المراتب والدرجات كما لا يخفى.
وقد يكون ذلك واجباً إذا توقف بيان الحق الواجب عليه^(١).

عند نقل الآيات الشريفة

مسألة: يجوز عند نقل مقاطع من آيات القرآن الحكيم، إسناد القول إلى الله تعالى وإسناده إلى القائل - فيما كان قولاً لقائل - إلا إذا كان موهماً^(٢) أو إهانة عرفاً أو ما أشبهه.

والأرجح أن يسند القول لقائله بعد إسناده لله تعالى كما فعلت (صلوات الله عليها)، فإنه وإن كان من الصحيح أن تقول: «وقال» بدون إضافة «فيما اقتصر من خبر يحيى»، إلا أن كون الآيات نقلاً، يجعل الأفضل ذكر أنه قول لقائل، لا أنه كلام ابتدائي من الله كما في مثل ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾^(٣) وما أشبهه، وهذا نوع من البلاغة الرفيعة حيث إنها تقتضي أنواعاً من التفنن في الكلام مضافاً إلى دقة المعنى.

(١) انظر نماذج من ذلك في كتاب (الاحتجاج) للشيخ الطبرسي ﷺ.

(٢) فلا يصح مثلاً أن يقول: (قال الله تعالى ﴿هؤلاء بناتي﴾) (١).

(٣) سورة النمل: ١٦.

فلسفة الإرث

مسألة: تدل هذه الآيات الكريمة على مجموعة من الأحكام في الأحوال الشخصية وغيرها، ومنها أن الأنبياء ﷺ يورثون، وهي تكشف عن جوانب تاريخية أيضاً.

كما أن استدلالها بالآيات الكريمة يتضمن الإشارة إلى فلسفة تشريع الإرث، وإرثها هي ﷺ من رسول الله ﷺ، إذ ﴿أولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾^(١)، فكما أن هنالك أولوية تكوينية بينهم، كذلك كان التشريع، ولذلك قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا﴾^(٢).

وقال سبحانه: ﴿وانذر عشيرتك الأقربين﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿وبالوالدين إحسانا﴾^(٤).

و...

فكان الكتاب التشريعي مطابقاً مع الكتاب التكويني، فهو إذن ينبع عن مصلحة واقعية نفس أمرية^(٥) فلم يكن إرثها ﷺ من رسول الله ﷺ محاباة أو

(١) سورة الأنفال: ٧٥.

(٢) سورة التحريم: ٦.

(٣) سورة الشعراء: ٢١٤.

(٤) سورة النساء: ٣٦.

(٥) وستأتي إضافة توضيحية من الإمام المؤلف (قدس سره) لفلسفة الإرث بعد قليل.

استثناء، بل هو مقتضى التشريع ومقتضى التكوين وهو مقتضى الوصية الإلهية: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾^(١).

فمطالبتها بالإرث إذن ليست مطالبة مادية فحسب، بل هي امثال لوصية الله جل وعلا، وهي مطابقة مع سنة الأنبياء (عليهم السلام) ومع دعواتهم ربهم، إذ يقول يحيى (عليه السلام): ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾^(٢).

والظاهر أن المراد بقوله: ﴿وَأَلِ يَعْقُوبَ﴾ يعقوب وآله، كما هو متعارف في التعبير، مثل قوله تعالى: ﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾^(٣) وقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ﴾^(٤) حيث المراد فرعون وآله، وكقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ﴾^(٥) حيث يراد إبراهيم وآله، وعمران وآله (عليهم السلام) إلى غير ذلك، نعم إذا كانت هنالك قرينة أو اجتماعاً معاً يكون الآل غير ذي الآل مثل قولنا: (اللهم صل على محمد وآل محمد) وما أشبه ذلك.

قولها (عليه السلام): «إذ يقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾»^(٦)، فإن ظاهر الإرث هو المادي لا المعنوي، فلا يصح القول بأن المراد: أن سليمان (عليه السلام) ورث داود (عليه السلام) النبوة من دون قرينة، فإن الإرث المعنوي مجاز يحتاج للقرينة، ثم إنه غير تام في

(١) سورة النساء: ١١.

(٢) سورة مريم: ٦٠.

(٣) سورة البقرة: ٥٠.

(٤) سورة القمر: ٤١.

(٥) سورة آل عمران: ٣٣.

(٦) سورة النمل: ١٦.

المقام إذ كان سليمان عليه السلام نبياً زمن داود عليه السلام، قال تعالى: ﴿فَفْهَمْنَاهَا سُلَيْمَانُ وَكَلَّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾^(١).

وحيث كان من المحتمل أن يستشكل البعض بذلك بالنسبة إلى هذه الآية المباركة جاءت (عليها الصلاة والسلام) بآيات أخر تأكيداً لدفع الشبهة، وإن كانت تلك الآية بمفردها كافية إذ الشبهة واهية إلى أقصى درجة.

قولها عليه السلام: «وقال - فيما اقتص من خبر زكريا - إذ قال: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ * يرثني ويرث من آل يعقوب»^(٢) فإن المراد إرث الأموال دون النبوة، لأن النبوة لا تورث، مضافاً إلى أن الاستعمال الحقيقي للإرث هو في المال وما عداه مجاز وهو بحاجة إلى الدليل، هذا بالإضافة إلى استشهادها عليه السلام بالآية المباركة في خصوص إرث الأموال وهي الصديقة المعصومة وكلامها حجة.

عن أبي جعفر عليه السلام قال: «لم يكن لزكريا يومئذ ولد يقوم مقامه ويرثه وكانت هدايا بني إسرائيل ونذورهم للأحبار وكان زكريا رئيساً للأحبار وكانت امرأة زكريا أخت مريم بنت عمران بن ماثان، وبنو ماثان إذا ذاك رؤساء بني إسرائيل وبنو ملوكهم وهم من ولد سليمان بن داود فقال زكريا: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ * يرثني ويرث من آل يعقوب»^(٣)»^(٤).

(١) سورة الأنبياء: ٧٩.

(٢) سورة مريم: ٦٠.

(٣) سورة مريم: ٦٠.

(٤) تفسير القمي: ج ٢ ص ٤٨ سورة مريم.

شبهة وإجابة

لا يقال: أية فضيلة لأن يطلب الإنسان من الله سبحانه وتعالى وارثاً في الماديات، فاللزام أن يراد بهذه الآية المعنويات؟
لأنه يقال:

أولاً: إن المقام من السالبة بانتفاء الموضوع.

وثانياً: الفضيلة هي امتداد ذرية الإنسان فلا يكون أبتر، والتناسل هو مما تدعو إليه الفطرة والعقل والشرع، وبه حفظ النوع وقوامه، إضافة إلى أن (الإرث) من أهم عوامل دوام وتماسك وتفاعل (الأسرة)، و(الأسرة) هي اللبنة الأساسية الأولى في تكوين المجتمعات الإنسانية، وبتحطمها أو ضعفها تتحطم أو تضعف المجتمعات وتتفكك الأسر، وهو من أهم أمراض الغرب كما تنبه إلى ذلك علماءهم^(١).

وعلى هذا فالإرث أيضاً فضيلة فإنه نابع عن مصلحة واقعية، وهو بعض جزاء الإنسان وهو نتيجة سعيه كما أوضحنا ذلك في (الفقه: الاقتصاد)^(٢) عند البحث عن الآية الشريفة ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾^(٣) بعقديها السلبي والإيجابي، وهو أيضاً من عوامل تداوم وتكامل العائلة، ولعل لذلك كان طلب

(١) راجع كتاب (الغرب يتغير) و(الفقه: العولة) للإمام المؤلف رحمته الله.

(٢) راجع موسوعة الفقه: ج ١٠٧ وج ١٠٨ كتاب الاقتصاد.

(٣) سورة النجم: ٣٩.

زكريا عليه السلام - وهو نبي في أقصى درجة من الحكمة والعلم - «فهب لي من لدنك ولياً ✽ يرثني ويرث من آل يعقوب» ^(١).

قولها عليها السلام: «وقال: **«واولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله»** ^(٢)» فإنها عليها السلام لما استدلت بالآيتين السابقتين في خصوص الأنبياء عليهم السلام، أخذت تستدل بالآيات العامة حيث تشملها (عليها الصلاة والسلام) أيضاً بعمومها. والاستدلال بآيتي سليمان عليه السلام وزكريا عليه السلام أفاد أيضاً الرد على ما زعموه من الحديث المجعول: (نحن نعاشر الأنبياء لا نورث وما تركناه صدقة) فهو معارض للقرآن بصراحة.

وقد قال رسول الله ﷺ: «إن على كل حق حقيقة وعلى كل صواب نوراً، فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه» ^(٣). وعن الإمام الصادق عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال: «قرأت في كتاب علي عليه السلام أن رسول الله ﷺ قال: سيُكذب عليّ كما كذب علي من كان قبلي، فما جاءكم عني من حديث وافق كتاب الله فهو حديثي، وأما ما خالف كتاب الله فليس من حديثي» ^(٤).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا ورد عليكم حديثان مختلفان فاعرضوهما على كتاب الله فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله

(١) سورة مريم: ٦٠-٥.

(٢) سورة الأنفال: ٧٥.

(٣) الكافي: ج ١ ص ٦٩ باب الأخذ بالسنة وشواهد الكتاب ح ١.

(٤) بحار الأنوار: ج ٢ ص ٢٢٧ ب ٢٩ ح ٥.

فردّوه»^(١).

قولها (عليها السلام): «وقال: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾^(٢)»، هذا في الأولاد وإلا فإن الأنثى قد ترث أكثر من الذكر، وقد ترث مساوياً للذكر، وقد ترث أقل من الذكر، والحكم في الآية عن الأولاد حيث قال سبحانه: ﴿فِي أَوْلَادِكُمْ﴾^(٣) ومعهم ترث الأنثى نصف ما يرثه الذكر.

ولا بأس بالإشارة هنا إلى عموم القاعدة في الرجل والمرأة، فإن الأحكام والتكاليف الإسلامية عامة للجميع، وبالتساوي - كما سبق - إلا في موارد الاستثناء، مثل: كون إرثها نصف الإرث في الجملة، وديتها نصف الدية كذلك، وشهادتها نصف الشهادة في بعض الموارد، وإلا فقد ذكرنا في «الفقه»: إن إرثها أحياناً أكثر من إرث الرجل، وديتها أكثر من دية الرجل، كما في قتل الرجل الذمي على المشهور في ديته، وشهادتها أكثر من شهادة الرجل كما في الوصية حيث إن الشاهدة الواحدة توجب ربع الوصية، وليس كذلك الرجل، على المشهور.

قولها (عليها السلام): «وقال: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ الآية^(٤)»، المراد بالخير: (المال) كما في التفاسير وغيرها^(٥)، فإنه خير ومن هنا وردت روايات تدل على استحباب

(١) وسائل الشيعة: ج ٢٧ ص ١١٨ ب ٩ ح ٣٣٣٦٢.

(٢) سورة النساء: ١١.

(٣) سورة النساء: ١١.

(٤) سورة البقرة: ١٨٠.

(٥) انظر بحار الأنوار: ج ٦٩ ص ٣٢ ب ٩٤.

الغنى وكراهة الفقر.

قال رسول الله ﷺ: «نعم العون على تقوى الله الغنى»^(١).

وقال ﷺ: «نعم المال الصالح للعبد الصالح ونعم العون الدنيا على الآخرة»^(٢).

وفي الحديث عن الإمام الصادق ﷺ: «مات عقبة بن عامر الجهني وترك خيراً كثيراً من أموال ومواش وعبيد...»^(٣).

وفي الحديث: عن شعيب العرقوفي قال قلت لأبي عبد الله ﷺ شيء يروى عن أبي ذر رضي الله عنه أنه كان يقول: ثلاثة يبغضها الناس وأنا أحبها، أحب الموت وأحب الفقر وأحب البلاء، فقال ﷺ: «إن هذا ليس على ما يرون إنما عنى الموت في طاعة الله أحب إليّ من الحياة في معصية الله، والفقر في طاعة الله أحب إليّ من الغنى في معصية الله، والبلاء في طاعة الله أحب إليّ من الصحة في معصية الله»^(٤) ومن هذا الحديث يعرف وجه الجمع بين روايات مدح الفقر وذمه.

أما حديث «أكثر أهل الجنة الفقراء» فقالوا هذا إخبار عن الواقع كما يقال أكثر أهل الدين الفقراء.

قال ﷺ: «الفقر هو الموت الأكبر»^(٥).

(١) من لا يحضره الفقيه: ج ٣ ص ١٥٦ باب المعاش والمكاسب ح ٣٥٧٠.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧٠ ص ٦٢ ب ١٢٢ ح ٣٠.

(٣) بحار الأنوار: ج ١٠١ ص ٣١٩ ب ٣ ح ٣٠.

(٤) معاني الأخبار: ص ١٦٥ باب معنى قول أبي ذر (رحمة الله عليه) ... ح ١.

(٥) الاختصاص: ص ٢٢٦ حديث في زيارة المؤمن لله.

وفي وصية لقمان لابنه: «... ذقت المرات كلها فلم أذق شيئاً أمر من الفقر»^(١).

وقال (عليه السلام): «ما أقبح الفقر بعد الغنى»^(٢).

وقال (عليه السلام): «كاد الفقر أن يكون كفراً»^(٣).

وفي الدعاء عن الإمام الصادق (عليه السلام): «وأعوذ بك من الفقر والوقر»^(٤).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «القبر خير من الفقر»^(٥).

قوله تعالى: ﴿حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾^(٦) أي: حق على المؤمنين الذين

يخافون الله ويعملون بأوامره أن يوصوا بتنفيذ أوامر الله سبحانه في الإرث بالنسبة إلى الوالدين والأقربين، كما قال تعالى في المطلقات: ﴿وَلِلْمُطَلَّقاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾^(١).

و﴿الأقربين﴾ وإن كان شاملاً للوالدين أيضاً، إلا أن ذكرهم من باب

الأهمية في الآية المباركة ذكراً للعام بعد الخاص.

ولا يخفى أنه يستفاد من هذا المقطع من كلامها (عليها السلام) واستدلالاتها أحكام

(١) الأُمالي للصدوق: ص ٦٦٨-٦٦٩ المجلس الخامس والتسعون ضمن ح ٥.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٨٤ باب العبادة ضمن ح ٦.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٣٠٧ باب الحسد ضمن ح ٤.

(٤) مكارم الأخلاق: ص ٢٨٠ ب ١٠ ف ٢ دعاء في كل صباح ومساء.

(٥) مستدرک الوسائل: ج ١٣ ص ٢٠ ب ٦ ح ١٤٦١٧.

(٦) سورة البقرة: ١٨٠.

عديدة قد أشرنا إلى بعضها :

الأول : حرمة اتباع أحكام الجاهلية ، قال تعالى : ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾^(١).

الثاني : حرمة التفرقة بين مسلم ومسلم ممن يجعلهم الله سبحانه وتعالى تحت حكم عام ، قال ﷺ : «الناس إلى آدم شرع سواء»^(٢).

الثالث : حرمة عدم العمل بأحكام القرآن حيث قالت ﷺ : (أفعلى عمد... الخ ، قال سبحانه : ﴿ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾^(٣).

الرابع : وجوب العمل بموازين الإرث كما قرره الله سبحانه وتعالى .
إلى غيرها من الأحكام.

(١) سورة المائدة : ٥٠ .

(٢) أمالي الشيخ الصدوق : ص ٢٤٠ المجلس ٤٢ ضمن ح ٩ ، وتحف العقول : ص ٢١٧ باب ما روي عن أمير المؤمنين ﷺ .

(٣) سورة المائدة : ٤٧ .

وزعمتم: أن لا حظوة^(١) لي، ولا أرث من أبي^(٢).

المطالبة بالإرث

مسائل: يجوز للمرأة المطالبة بإرثها، ويجوز لها ﴿الجهر بالسوء من القول﴾^(٣) على من غصبها أرثها، لقوله تعالى: ﴿إلا من ظلم﴾^(٤). ويجوز لها تشكيل تجمع وقوى ضغط لاستحصال إرثها. ويجوز لها كل ذلك دفاعاً عن غيرها ممن حرمن من الميراث. والجواز هنا بالمعنى الأعم، إذ قد يجب ذلك إذا توقف حق واجب عليه، أو إذا كانت المعارضة مع محاولة إلغاء الحكم الإلهي بحقها في الإرث. والوجوب في مورده، ليس خاصاً بالنساء، بل الرجال أيضاً كذلك، فإنه قسم من المطالبة بالحق الواجب، إرثاً أو غير إرث، امرأة أو رجلاً. وفي الحديث: سئل (عليه السلام) عن رجل قبض صداق بنته من زوجها ثم مات، هل لها أن تطالب زوجها بصداقها، أو قبض أبيها قبضها؟ فقال (عليه السلام): «إن كانت وكلته بقبض صداقها من زوجها فليس لها أن تطالبه، وإن لم تكن وكلته فلها ذلك، ويرجع الزوج على ورثة أبيها بذلك، إلا

(١) وفي بعض النسخ: (لا حظوة لي) أي المكانة والمنزلة، يقال حظيت المرأة عند زوجها: إذا دنت من

قلبه، وفي بعض النسخ: (لاحظ لي).

(٢) وفي بعض النسخ: أبيه، والهاء للسكت.

(٣) سورة النساء: ١٤٨.

(٤) سورة النساء: ١٤٨.

أن تكون صبية في حجره فيجوز لأبيها أن يقبض عنها»^(١).

حرمة القول بالباطل

مسألة: يحرم القول بعدم الحظوة لها (صلوات الله عليها).

كما يحرم مطلق القول بالباطل ، والمقام من مصاديق ذلك وإن كانت الحرمة أشد فيه ، قال ﷺ : «فأما الحكم بالباطل فهو كفر»^(٢).
وقال ﷺ : «لا خير في الصمت عن الحكمة ، كما أنه لا خير في القول بالباطل»^(٣).

ولعل ذكرها (الحظوة) حتى تشمل (النحلة) أيضاً كما أشرنا إلى ذلك فيما سبق.

ثم إن الحق والصواب هو في مدرسة أهل البيت ﷺ والباطل في غيرهم.
عن بدر بن الوليد الخثعمي قال : دخل يحيى بن سabor على أبي عبد الله ﷺ ليودعه فقال له أبو عبد الله ﷺ : «أما والله أنكم لعلى الحق ، وإن من خالفكم لعلى غير الحق ، والله ما أشك لكم في الجنة ، وإنني لأرجو أن يقر الله لأعينكم عن قريب»^(٤).

(١) فقه القرآن : ج ١ ص ٣٩٠ باب الوكالة.

(٢) دعائم الإسلام : ج ٢ ص ٥٣٢ كتاب آداب القضاة ضمن ح ١٨٩١.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم : ص ٦٠ ف ٦ متفرقات ح ٦٤٣.

(٤) الكافي : ج ٨ ص ١٤٥ حديث محاسبة النفس ح ١١٩.

وعن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: «أما إنه ليس عند أحد من الناس حق ولا صواب إلا شيء أخذوه منا أهل البيت، ولا أحد من الناس يقضي بحق وعدل إلا ومفتاح ذلك القضاء وبابه وأوله وسننه أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام فإذا اشتبهت عليهم الأمور كان الخطأ من قبلهم إذا أخطئوا والصواب من قبل علي بن أبي طالب عليه السلام إذا أصابوا»^(١).

حرمة القول بعدم إرثها عليها السلام

مسألة: يحرم القول بعدم إرثها (صلوات الله عليها) من رسول الله ﷺ، فإنه خلاف الكتاب والسنة والإجماع والعقل، نعم لا إجماع من العامة على ذلك، وإنما الإجماع من الشيعة، وهو كاف من جهة الكاشفية عن رأي المعصوم عليه السلام، ولطابقته الكتاب والسنة والعقل، ولاحتفاهه بالقرائن القطعية.

كما أن الأدلة الأربعة تدل على حرمة إبقاء فذك في أيدي غير المستحقين لها، وعلى ذلك فيلزم السعي لاستنقاذه منهم، إحقاقاً للحق وإرجاعاً له إلى أهله، وهو واجب كفائي، نعم ترك أمير المؤمنين عليه السلام فذك لما ولي الناس لأمر أهم، مضافاً إلى كونه عليه السلام صاحب الحق وله ذلك، ففي الحديث عن محمد بن أبي عمير عن إبراهيم الكرخي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام فقلت له: لأي علة ترك علي بن أبي طالب عليه السلام فذك لما ولي الناس؟

فقال عليه السلام: «للاقتداء برسول الله ﷺ لما فتح مكة» حيث لم يسترجع

(١) مستدرک الوسائل: ج ١٧ ص ٢٨٣ ب ٧ ح ٢١٣٥٤.

داره، وقال ﷺ: «إنا أهل بيت لا نسترجع شيئاً يؤخذ منا ظلماً، فلذلك لم يسترجع فذك لما ولي»^(١).

وفي حديث آخر: عن علي بن الحسن بن علي بن فضال عن أبيه، عن أبي الحسن ﷺ قال: سألته عن أمير المؤمنين لم لم يسترجع فذكاً لما ولي الناس؟ فقال: «لأننا أهل بيت لا نأخذ حقوقنا ممن ظلمنا إلا هو»^(٢) ونحن أولياء المؤمنين إنما نحكم لهم ونأخذ حقوقهم ممن ظلمهم ولا نأخذ لأنفسنا»^(٣).

وفي شرح النهج: «قلت لتكلم من متكلمي الإمامية.. وهل كانت فذك إلا نخلأ يسيراً وعقاراً ليس بذلك الخطير؟ فقال لي: ليس الأمر كذلك، بل كانت جليلة جداً، وكان فيها من النخل نحو ما بالكوفة الآن من النخل، وما قصد أبو بكر وعمر بمنع فاطمة عنها إلا ألا يتقوى علي ﷺ بحاصلها وغلتها على المنازعة في الخلافة، ولهذا اتبعنا ذلك بمنع فاطمة وعلي ﷺ وسائر بني هاشم وبني المطلب حقهم في الخمس فإن الفقير الذي لا مال له تضعف همته»^(٤).

(١) راجع علل الشرائع: ج ١ ص ١٥٥ ب ١٢٤ ضمن ح ٢.

(٢) أي الله عز وجل، وفي بعض النسخ: لا يأخذ حقوقنا...

(٣) علل الشرائع: ج ١ ص ١٥٥ ب ١٢٤ ح ٣.

(٤) شرح نهج البلاغة: ج ١٦ ص ٢٣٦-٢٣٧.

منع النساء من الإرث

مسألة: يحرم منع البنت من الإرث بل منع كل أنثى من حقها فيه ، بل من حقها مطلقاً ، وكذلك منع كل أحد من إرثه ومن حقه مطلقاً قال عليه السلام : «لثلاث يتوى حق امرئ مسلم»^(١).

وقال عليه السلام : «لا يصلح ذهاب حق امرئ مسلم»^(٢).

وقال عليه السلام : «لا يبطل حق امرئ مسلم»^(٣).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال : «اليمين الغموس التي توجب النار : الرجل يحلف على حق امرئ مسلم على حبس ماله»^(٤).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال : «من حبس حق امرئ مسلم وهو يقدر على أن يعطيه إياه ، مخافة من أنه إن خرج ذلك الحق من يده أن يفقر كان الله عز وجل أقدر على أن يفقره منه على أن يغني نفسه بحبسه ذلك الحق»^(٥).

وعن جابر بن يزيد الجعفي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله ﷺ : «من كتم شهادة أو شهد بها ليهدر بها دم امرئ مسلم أو ليزوي مال امرئ مسلم أتى يوم القيامة ولوجهه ظلمة مد البصر ، وفي وجهه

(١) راجع غوالي اللآلي : ج ١ ص ٣١٥ ب ١ المسلك الأول ضمن ح ٣٦.

(٢) تهذيب الأحكام : ج ٦ ص ٢٥٣ ب ٩١ ضمن ح ٥٩.

(٣) وسائل الشيعة : ج ٢٩ ص ٨٩ ب ٣٥ ضمن ح ٣٥٢٢٣.

(٤) الكافي : ج ٧ ص ٤٣٦ باب اليمين الكاذبة ح ٨.

(٥) من لا يحضره الفقيه : ج ٣ ص ١٨٤ باب الدين والقرض ح ٣٦٩١.

كدوح يعرفه الخلائق باسمه ونسبه ، ومن شهد شهادة حق ليحيى بها حق امرئ مسلم أتى يوم القيامة ولوجهه نور مد بصر ، يعرفه الخلائق باسمه ونسبه» الحديث^(١).

والمنع عن الإرث حكماً وموضوعاً ، غير جائز شرعاً ، فلا يجوز القول بذلك ولا العمل به ، ولا يحق للدولة - ولا لأية جهة - أن تسن قانوناً تمنع بموجبه إرث الأرحام من بعضهم ، كلاً أو جزءاً ، كمصادرة بعض الإرث باسم الضرائب ، كما لا يحق لها سن قانون يلغي قاعدة حيازة المباحات أو يمنع وقف من يشاء لما يشاء من ممتلكاته وهكذا.

ثم إن الزيادة والنقيصة في الإرث محرم كذلك ، قولاً وعملاً ، وقد ذكرنا في (الفقه) أن الإرث حكم وليس حقاً ، فلا يحق للمورث أن يمنع إرثه عن الوارث ، كما لا يحق للوارث أن لا يقبل الإرث حكماً ، وإن جاز له أن يتركه بالإعراض موضوعاً ، فإن للإنسان أن يعرض عن ماله.

وقد ذكرنا في (الفقه)^(٢) أيضاً أن الإعراض مسقط للحق ، كما أن حيازة المباحات بإثبات اليد عليها مثبت له.

قولها ﷺ : «وزعمتم أن لا حظوة لي». الحظوة عبارة عن : المكانة والمنزلة والاحظ ، وكأنها (عليها الصلاة والسلام) أرادت بذلك نفي قولهم : إن فذك ليس نحلة لها ، أي : أنتم من تزعمون أن فذك ليست نحلة لي استناداً إلى عدم (حظوة) لي عنده ﷺ.

(١) الأمالي للشيخ الصدوق : ص ٤٨٢ المجلس ٧٣ ح ٤.

(٢) راجع موسوعة الفقه ، كتاب القواعد الفقهية ، قاعدة (الإعراض والانعراض).

قولها (ع): (ولا أرث من أبي)، أي زعمتم أنني لا أرث من أبي (ع)
فدكا؟

ففي هاتين الجملتين ردت (عليها الصلاة والسلام) كلا الدعويين حتى إذا لم يقبلوا الدعوى الأولى منهما وهي: النحلة بدعوى من الشهود وشبهها، فلا مناص من قبولهم الدعوى الثانية: بأنها إرث، إذ كانت فدك ملكاً خاصاً للرسول (ص) دون شك فهو - إن لم يهبها في حياته للزهراء (ع) حسب زعمهم - فلا بد أن تكون إرثاً لها بعد وفاته، فالقضية مانعة الخلو على الاصطلاح المنطقي. وقد كان من الشوائب ومن مطباتها: أنهم هكذا نسبوا الحديث إلى رسول الله (ص) بأنه قال: (نحن معاشر الأنبياء) ولو كان اختراعهم للحديث بهذه الصورة (أنا لا أورث) لكان يتسوغ ردهم بالآيات العامة فقط دون الآيات الخاصة بالأنبياء، اللهم إلا بضميمة قرينة، فزادوا على أنفسهم المشكلة وفتحوا المجال لورود كلا الإشكالين هنا.

المراحل السبعة

ومجمل الكلام: أن الصديقة الطاهرة (صلوات الله عليها) احتجت عليهم في قصة فدك بسبع مراحل أو أكثر:

- ١: مرحلة: النحلة.
- ٢: مرحلة: دعواهم أنه لا إرث للأنبياء (ع).
- ٣: مرحلة: عمومات الإرث الشاملة لها (ع).

٤ : مرحلة : الاعتراض باستبطان كلامهم - بأحد وجوهه - أنه لا رحم بينها وبين أبيها.

٥ : مرحلة : دعواهم أن أباهما (صلوات الله عليه) خارج عن عمومات الإرث في القرآن الحكيم.

٦ : مرحلة : ما يعرف بالدلالة الالتزامية لكلامهم بكونهم أعلم من رسول الله ﷺ^(١) يعني : أن أباهما ﷺ لم يقل باستثناء نفسه الشريفة عن العمومات ، لكنهم كانوا أعلم ! ولهذا أخرجوا الرسول ﷺ عن عمومات القرآن.

٧ : مرحلة : استبطان كلامهم - بوجه آخر - : أنها ﷺ ووالدها ﷺ من أهل ملتين لا يرث بعضهما من بعض.

وكل ذلك مخالف للكتاب والتاريخ والقواعد الفقهية والعقل والإجماع ، وقد ردت بحجج عقلية ومنطقية وقرآنية.

(١) الفرق بين هذا وسابقه : أن هذا إشارة لمرحلة الإثبات وذاك لمرحلة الثبوت ، أو أن ذاك هو الملزوم وهذا اللازم.

ولا رحم بيننا

نفي الرحم وإثباتها

مسألة: يحرم الاعتقاد بعدم الرحم بين الرسول ﷺ وابنته فاطمة الزهراء عليها السلام، كما يحرم نفي الرحم عن الرحم مطلقاً، ومن مصاديقه نفي رحمة السبط كما قال شاعرهم:

بنونا بنو أبنائنا، وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأبعد

كما أنه يحرم أيضاً إثبات الرحم لمن ليس له، وقد ورد اللعن لمن دخل في النسب أو خرج عن النسب.

وفي حديث الأصبغ عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «أيها الناس إني رسول رسول الله إليكم وهو يقول لكم: ألا إن لعنة الله ولعنة ملائكته المقربين وأنبيائه المرسلين ولعنتي على من انتمى إلى غير أبيه، أو ادعى إلى غير مواليه...» الخبر^(١).

وقال عليه السلام: «لعن الله من ادعى إلى غير أبيه، لعن الله من تولى غير مواليه، الولد لصاحب الفراش وللعاهر الحجر»^(٢).

وقال عليه السلام: «ألا من دعى إلى غير أبيه فقد برئ الله منه»^(٣).

(١) راجع الأمايلي للشيخ المفيد: ص ٣٥١-٣٥٢ المجلس ٤٢ ضمن ح ٣.

(٢) كشف الغمة: ج ١ ص ٣٩٥-٣٩٦ فصل في ذكر مناقب شتى وأحاديث متفرقة.

(٣) راجع الصراط المستقيم: ج ٢ ص ٩٣ ف ١٧ ضمن ح ١٣.

وقال ﷺ: «لعن الله من انتمى إلى غير أبيه»^(١).

ثم إن الحرمة ثابتة وإن لم يترتب أثر على الإثبات والنفي.

ولا يخفى أنهم لم ينفوا انتساب الزهراء ﷺ إلى أبيها ﷺ وما كان بمقدورهم ذلك، وإنما ذكرت الزهراء (صلوات الله عليها) لإتمام صور الاحتمالات النافية للإرث، ومن المعلوم أن هذا من أساليب الحوار والبلاغة، وقد ورد في القرآن الكريم: ﴿وَأَنَا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هَدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(٢) بل ورد حتى ما هو مستحيل الوقوع ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^(٣)، إذ القضية الشرطية صادقة حتى مع استحالة المقدم.

(١) راجع العمدة: ص ٣٠٦ الفصل ٣٦.

(٢) سورة سبأ: ٢٤.

(٣) سورة الأنبياء: ٢٢.

أفخصكم الله بآية أخرج أبي منها؟

تخصيص الآيات دون مخصص

مسألة: يحرم تخصيص الآيات من دون مخصص، وكذلك تعميم الآيات في قبال التخصيص الموجود بدعوى القياس أو كشف الملاك الظني غير المعتبر، وهكذا بالنسبة إلى الإطلاق والتقييد، فكل من الأربعة محرمة عملاً وقولاً، القول في الحكم والعمل في الموضوع الخارجي.

وما أكثر القول في هذه الأزملة، بمخصصات للكتاب دون مخصص قرآني أو روائي، أو بمعممات له، أو حتى بنواسخ للكتاب!، وذلك لمجرد استحسانات، أو تبعية لمد الحضارة الغربية، أو الأهواء النفسية، أو رغبات المستبدين من الحكام!.

وقد ورد عن زرارة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الحلال والحرام؟ فقال عليه السلام: «حلال محمد عليه السلام حلال أبداً إلى يوم القيامة، وحرامه حرام أبداً إلى يوم القيامة، لا يكون غيره ولا يجيء غيره»^(١).

وهذا غير تبدل الحكم بتبدل موضوعه كما لا يخفى. وتفصيل البحث في العام والخاص، والمطلق والمقيد وما أشبه في (الأصول).

قولها عليها السلام: «أفخصكم الله بآية أخرج منها أبي؟» أي هل وردت آية خاصة بكم، أخرج الله بها أبي عليه السلام من عموم أدلة الإرث؟

(١) الكافي: ج ١ ص ٥٨ باب البدع والرأي والمقاييس ح ١٩.

أم هل تقولون أهل ملتين لا يتوارثان؟

وبعبارة أخرى: هل نزلت عليكم آية لا نعرفها في القرآن الكريم، بها قلتم بإخراج الرسول ﷺ؟

أم هل تقولون أهل ملتين لا يتوارثان؟

أحكام أهل ملتين

مسألة: يختلف حكم أهل ملتين عن أهل الملة الواحدة في الجملة، في الإرث وفي بعض الأحكام الأخر^(١)، ويختلف حكمهما مطلقاً في البعض الآخر. فإن الكافر لا يرث من المسلم، أما المسلم فهو يرث من الكافر، كما لا يستبعد القول بإرث اليهودي من المسيحي، والمجوسي منهما، وهما من المجوسي، وما أشبه ذلك، إلا إذا حُكّم قانون الإلزام في مورده، على تفصيل مذكور في (الفقه)^(٢).

قولها ﷺ: «أم هل تقولون أهل ملتين لا يتوارثان» المقصود في بعض الصغريات، لا الإطلاق، إذ ليس الكلام في مقام البيان من هذه الجهة كما هو واضح، فإن بعض أهل ملتين يتوارثان، فالمسلم يرث الكافر، دون العكس، كما هو مذكور في الفقه^(٣).

(١) كالقصاص والدية والنكاح.

(٢) راجع موسوعة الفقه، كتاب القواعد الفقهية، قانون الإلزام.

(٣) راجع موسوعة الفقه: ج ٨٢ كتاب الإرث.

قال في (دعائم الإسلام): وعن جعفر بن محمد (عليه السلام) أنه قال: «المسلم يرث الكافر، والكافر لا يرث المسلم، والكفار يتوارثون بينهم ويرث بعضهم بعضاً، فقليل له: فإن الناس يروون عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: «لا يتوارث أهل ملتين»، فقال أبو عبد الله (عليه السلام): «نرثهم ولا يرثوننا» قال: فجواب أبي عبد الله (عليه السلام) هذا هو تثبيت لقوله وما رواه الناس عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، لأن قوله (صلى الله عليه وآله) «ولا يتوارث أهل ملتين» ليس بخلاف لما قاله أبو عبد الله (عليه السلام) «نرثهم ولا يرثوننا» لأن قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) لا يتوارث أهل ملتين معناه لا يرث هؤلاء هؤلاء وهؤلاء هؤلاء، وكذلك قال أبو عبد الله (عليه السلام) إنما يرث المسلم الكافر ولا يرث الكافر المسلم، ومعنى يتوارث وتقديره في اللغة يتفاعل، ويتفاعل لا يكون إلا من فاعلين، لا يقال ذلك إذا فعله واحد دون واحد، لأنه إذا ضرب رجل رجلاً قيل: ضرب فلان فلاناً ولا يقال تضاربا حتى يضرب كل واحد منهما صاحبه^(١).

(١) دعائم الإسلام: ج ٢ ص ٣٨٥ - ٣٨٦ ف ٧ ح ١٣٦٩.

أو لست أنا وأبي من أهل ملة واحدة؟

مما يحرم الاعتقاد به

مسألة: يحرم الاعتقاد بأن الزهراء (سلام الله عليها) ليست مع الرسول ﷺ من ملة واحدة.. أو أنها ﷺ لا تحذو حذوه ﷺ في كلي أو جزئي، أو أنها ﷺ تقول بخلاف قوله ﷺ في أمر اعتقادي أو حكم فرعي، ومنه المقام.

وقد ذكرنا في البحث الآنف أنهم لم يقولوا بذلك، وإنما أرادت الزهراء ﷺ أن تحصرهم في أطراف (منع الخلو) حتى تثبت عليهم الحجة أكثر فأكثر.

إضافة إلى أن هذا الكلام يتضمن التهويل عليهم، وإيضاح أن إنكارهم إرثها ﷺ منه ﷺ في قوة إنكار بديهي من أوضح البديهيات، وهو: كونها ﷺ وإياه ﷺ من أهل ملة واحدة.

فلا مجال إذن لتلك الشبهة^(١).

(١) أي شبهة عدم الإرث.

أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي؟

لا اجتهاد مقابل النص

مسائل: يحرم الاجتهاد في مقابل النص، كما يحرم الاجتهاد في مقابل الظاهر الذي قال المعصوم (عليه السلام) بأن المراد به كذا. فإن مآل ذلك إلى النص. والمقام من هذا القليل^(١).

كما يحرم الاجتهاد في قبال المبهم أو المجمل الذي أوضح المعصوم (عليه السلام) المراد به فإنهما بلحاظه مبين.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾^(٢).

وقال سبحانه: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٣).

وقد ورد في تفسير هذه الآية المباركة قوله (عليه السلام): «يختار الله الإمام وليس لهم أن يختاروا»^(٤).

(١) فإن عمومات الإرث مصداق الظاهر، لكنها (عليها السلام) صرحت بأن الآية باقية على عمومها فأضحت العمومات بذلك نصاً.

(٢) سورة الأحزاب: ٣٦.

(٣) سورة القصص: ٦٨.

(٤) تفسير القمي: ج ٢ ص ١٤٣ سورة القصص.

وفي الحديث أن أنس قال: سألت رسول الله ﷺ عن معنى قوله: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ فقال: «إن الله عز وجل خلق آدم من طين كيف شاء، ثم قال: ﴿وَيَخْتَارُ﴾ إن الله تعالى اختارني وأهل بيتي على جميع الخلق فانتجبا فجعلني الرسول وجعل علي بن أبي طالب ﷺ الوصي، ثم قال: ﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ﴾ يعني ما جعلت للعباد أن يختاروا ولكني اختار من أشاء، فأنا وأهل بيتي صفوته وخيرته من خلقه، ثم قال: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ يعني الله منزّه عما يشركون به كفار مكة، ثم قال: ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ﴾ يعني يا محمد ﴿مَا تَكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ من بغض المنافقين لك ولأهل بيتك ﴿وما يعلنون﴾ بالسنتهم من الحب لك ولأهل بيتك»^(١).

وعن أبي عبد الله ﷺ في حديث قال: «والله لنحبكم أن تقولوا إذا قلنا، وتصمتوا إذا صمتنا، ونحن فيما بينكم وبين الله عز وجل، ما جعل الله لأحد خيراً في خلاف أمرنا»^(٢).

وعن أبي جعفر ﷺ قال: «كلُّ شيءٍ لم يخرج من هذا البيت فهو باطل»^(٣).

(١) الطرائف: ص ٩٧ ما نزل من الآيات في شأن علي ﷺ ح ١٣٦.

(٢) وسائل الشيعة: ج ٢٧ ص ١٢٧ ب ١٠ ح ٣٣٣٩١.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ١٧ ص ٢٨٢ ب ٧ ح ٢١٣٥٣.

الاجتهاد وموارده

مسألة: وفيما عدا ذلك فإن الظواهر مما يمكن اختلاف الاجتهاد فيها بشروطه، وذلك جائز، بل يجب أحياناً، كما في الاجتهادات الفقهية المختلفة، سواء كان الحكم مستفاداً من الكتاب، أم السنة، أم الإجماع، أم العقل، مما يجدها المتبع في المباحث الفقهية.

قال عليه السلام: «علينا إلقاء الأصول وعليكم التفريع»^(١).

وقال عليه السلام: «فأما من كان من الفقهاء، صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً على هواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلدوه»^(٢).

وقال عليه السلام: «وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله»^(٣).

وقال عليه السلام في حديث طويل في رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث؛ قال: «ينظران إلى من كان منكم ممن قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فليرضوا به حكماً، فإني قد جعلته عليكم حاكماً، فإذا حكم بحكمنا فلم يقبله منه فإنما استخف بحكم الله وعلينا ردّ، والراد علينا الراد على الله وهو على حد الشرك بالله»^(٤).

(١) وسائل الشيعة: ج ٢٧ ص ٦٢ ب ح ٣٣٢٠٢.

(٢) وسائل الشيعة: ج ٢٧ ص ١٣١ ب ١٠ ضمن ح ٣٣٤٠١.

(٣) الاحتجاج: ج ٢ ص ٤٧٠ احتجاج الحجة القائم المنتظر المهدي عليه السلام.

(٤) الكافي: ج ١ ص ٦٧ باب اختلاف الحديث ضمن ح ١٠.

معاني الأعلمية

مسألة: (للأعلمية) هنا عدة معان:

- ١ : الأعلم بمعنى الأكثر علماً والأوسع معرفة.
- ٢ : الأعلم بمعنى الأعمق علماً أو الأشد علماً، فإن العلم حقيقة تشكيكية ذات مراتب.

والمعنى الأول بلحاظ الكم، وهذا بلحاظ الكيف.

- ٣ : الأعلم بمعنى الأنفذ علماً، أي يستخدم الأعلم ويراد به العلم المنتج والنافذ والمثمر، أي العلم الذي يرتب عليه أثره، وقد قال بعض المفسرين بأن المراد من: ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾^(١) هو هذا المعنى فعلمه نافذ، أي علم فجعل.

وقولها ﷺ: «أم أنتم أعلم...» يشمل المعنى الأول والثاني، فإن رسول الله ﷺ وعلياً أمير المؤمنين ﷺ أعلم من سائر الناس كيفاً وكمّاً، أما الأنفذية فإنه وإن كان الأمر بحيث لو أراد أنفذ إلا أنه لا تلازم بين علمهما ونفوذه، وذلك لأنه مقتضى دار الامتحان، قال تعالى: ﴿إنما أنت مذكر * لست عليهم بمسيطر﴾^(٢)، وعلمهم ﷺ في قصة فذك وأنها ملكها ﷺ من ذلك المقام.

(١) سورة الأنعام: ١٢٤.

(٢) سورة الغاشية: ٢١-٢٢.

الأعلم بالقرآن

مسألة: يجب الاعتقاد بأن الرسول ﷺ وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) وأهل البيت المعصومين (ع) أعلم الناس بالقرآن، وذلك من الواضحات، وقد دلت عليه الروايات المتواترة عند الفريقين.

فعن أبي سعيد الخدري، قال: سألت رسول الله ﷺ عن قول الله جل شأنه: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾^(١) قال: «ذاك وصي أخي سليمان بن داود».

فقلت له: يا رسول الله فقول الله عز وجل: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾^(٢)؟

قال ﷺ: «ذاك أخي علي بن أبي طالب (ع)»^(٣).

وقال أبو عبد الله (ع): «إنا أهل بيت عندنا معاقل العلم وآثار النبوة وعلم الكتاب وفصل ما بين الناس»^(٤).

وقال الإمام الحسين (ع): «نحن الذين عندنا علم الكتاب»^(٥).

(١) سورة النمل: ٤٠.

(٢) سورة الرعد: ٤٣.

(٣) الأملاني للشيخ الصدوق: ص ٥٦٤-٥٦٥ المجلس ٨٣ ح ٣.

(٤) الاختصاص: ص ٣٠٩ حديث في زيارة المؤمن لله.

(٥) المناقب: ج ٤ ص ٥٢ فصل في معجزاته (ع).

وجاء في زيارة أمير المؤمنين ﷺ: «السلام عليك يا من عنده علم الكتاب»^(١).

شمولية أعلميتهما ﷺ

مسألة: أعلميتهما ﷺ بخصوص القرآن وعمومه في كلامها ﷺ تشمل: العلم بوجود العام ووجود الخاص في الكتاب، والعلم بوجود العام فيه والخاص في غيره، والعكس، والعلم بعدم أحدهما، والمقام من قبيل الرابع^(٢).

وقد قال الإمام الصادق ﷺ: «كان علي صاحب حلال وحرام وعلم بالقرآن ونحن على منهاجه»^(٣).

وقال ﷺ: «إن الله فرض طاعتنا في كتابه.. ولنا كرائم القرآن.. إن الله أعلمنا علماً لا يعلمه أحد غيره، وعلماً قد أعلمه ملائكته ورسله، فما علمته ملائكته ورسله فنحن نعلمه»^(٤).

وقال ﷺ: «إن الله علّم نبيه ﷺ التنزيل والتأويل فعلمه رسول الله ﷺ علماً»^(٥).

(١) الإقبال: ص ٦٠٩ فصل زيارة مولانا أمير المؤمنين ﷺ عند ضريحه الشريف.

(٢) فالعام - وهو إرث الأبناء من الآباء، أنبياء كانوا أم لا - موجود في الكتاب، ولا يوجد مخصص له، لا في الكتاب ولا في غيره.

(٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٥ علم الأئمة بالتأويل ح ٥.

(٤) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٦ علم الأئمة بالتأويل ح ٧.

(٥) مستدرك الوسائل: ج ١٧ ص ٣٣٤ ب ١٣ ح ٢١٥١٢.

أهل البيت عليهم السلام هم المرجع

مسألة: يجب تقديم قول أهل البيت عليهم السلام في تفسير القرآن وسائر الأحكام على قول غيرهم، فإن القرآن نزل في بيوتهم، وهم أعلم كما في صريح الروايات الواردة عن الرسول الأعظم عليه السلام، وهم (أهل الذكر) الذين أمر (الذكر) بسؤالهم^(١)، وقد قال عليه السلام: «نحن أهل الذكر»^(٢)، وهم (أولوا الأمر) الذين قال فيهم تعالى: ﴿ولو رددوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾^(٣).

كما يجب تقديم قولهم عليهم السلام مطلقاً في كل المجالات لعصمتهم عليهم السلام.
فإن أقوال غيرهم - في تفسير القرآن - في مقابل أقوالهم عليهم السلام كالحجر في جنب الإنسان، وكالسراب في قبال عين الحياة، بل لا يجوز لغيرهم تفسير القرآن برأيهم.

قال أبو عبد الله عليه السلام لرجل من أهل الكوفة وسأله عن شيء: «لو لقيتك بالمدينة لأريتك أثر جبرئيل في دورنا ونزوله على جدي بالوحي والقرآن والعلم، فيستسقي الناس العلم من عندنا، فيهدونهم»^(٤).

(١) قال تعالى: ﴿فسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾. سورة النحل: ٤٣، وسورة الأنبياء: ٧.

(٢) الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٥٣٢ المجلس ٧٩.

(٣) سورة النساء: ٨٣.

(٤) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٦ علم الأئمة بالتأويل ح ٩.

وعن الإمام الرضا ﷺ عن آبائه ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «قال الله جل جلاله: ما آمن بي من فسر برأيه كلامي، وما عرفني من شبهني بخلق، وما على ديني من استعمل القياس في ديني»^(١).

وعن أبي عبد الله ﷺ قال: «من فسر القرآن برأيه فأصاب لم يؤجر فإن أخطأ كان إثم عليه»^(٢).

وقال ﷺ: «من فسر القرآن برأيه فقد افتري على الله كذباً، ومن أفتى الناس بغير علم لعنته ملائكة السماء والأرض، وكل بدعة ضلالة سبيلها إلى النار، قال عبد الرحمن بن سمرة: فقلت يا رسول الله أرشدني إلى النجاة، فقال ﷺ: يا ابن سمرة إذا اختلفت الأهواء وتفرقت الآراء فعليك بعلي بن أبي طالب فإنه إمام أمتي وخليفتي عليهم من بعدي، وهو الفاروق الذي يميز بين الحق والباطل، من سأله أجابه، ومن استرشده أرشده، ومن طلب الحق عنده وجده، ومن التمس الهدى لديه صادفه، ومن لجأ إليه آمنه، ومن استمسك به نجا، ومن اهتدى به هداه...، يا ابن سمرة إن علياً مني، روحه من روحي وطيبته من طيبتي، وهو أخي وأنا أخوه، وهو زوج ابنتي فاطمة سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وإن منه إماماً أمتي وسيداً شباب أهل الجنة الحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين تاسعهم قائمهم يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»^(٣).

(١) عيون أخبار الرضا ﷺ: ج ١ ص ١١٦ ب ١١ ح ٤، والتوحيد: ص ٦٨ ب ٢ ح ٢٣.

(٢) جامع الأخبار: ص ٤٩ الفصل الثالث والعشرون في القراءة.

(٣) التحصين لابن طاووس: ص ٦٢٥-٦٢٦ ب ٢٢.

قولها ﷺ: «أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي»؟.

إنما ذكرت أمير المؤمنين علياً ﷺ بعد أبيها ﷺ لأن أعلمية الإمام ﷺ كانت ثابتة حتى عندهم، حيث قال ﷺ: «أقضاكم علي»^(١).
وقال: «أعلمكم علي»^(٢).

وقال: «علي مع الحق والحق مع علي»^(٣).
إلى عشرات من أمثال هذه التصريحات من الرسول الأكرم ﷺ.
بالإضافة إلى قول أمير المؤمنين علي (عليه الصلاة والسلام): «علمني رسول الله ألف باب من العلم يفتح لي من كل باب ألف ألف باب»^(٤)، كما في بعض الأحاديث.

(١) الفضائل: ص ١٣٨ في ذكر اللوح المحفوظ الذي نزل به جبرئيل على النبي ﷺ، والفصول المختارة: ص ١٣٥، والاحتجاج: ج ٢ ص ٣٩١ احتجاج أبي إبراهيم موسى بن جعفر ﷺ، ونهج الحق: ص ٢٣٦ من فضائله النفسانية، الأول الإيمان.

(٢) الصراط المستقيم: ج ١ ص ٢٣٠، الفصل العشرون.

(٣) الخصال: ج ٢ ص ٥٥٩ احتجاج أمير المؤمنين ﷺ بمثل هذه الخصال على الناس يوم الشورى.

(٤) وفي كشف الغمة: ج ١ ص ٤١٢ قال أمير المؤمنين علي ﷺ لحارث الهمداني: «ألا إني عبد الله وأخو رسوله وصديقه الأول، صدقته وآدم ﷺ بين الروح والجسد، ثم إني صديقه الأول في أمتكم حقاً فنحن الأولون ونحن الآخرون، ألا وأنا خاصته يا حار، وخالسته وصنوه ووصيه ووليه وصاحب نجواه وسره، أوتيت فهم الكتاب وفصل الخطاب وعلم القرون والأسباب، واستودعت ألف مفتاح، يفتح من كل مفتاح ألف باب، يفضي كل باب إلى ألف ألف عهد..» الحديث، ومثله في تأويل الآيات الظاهرة: ص ٦٢٦ سورة الواقعة، وإرشاد القلوب: ج ٢ ص ٢٩٧ في فضائله من طريق أهل البيت ﷺ، وبشارة المصطفى: ص ٤ بشارة المصطفى لشيعته المرتضى.

وإن كان المشهور: «كل باب منها يفتح ألف باب فذلك ألف ألف باب»^(١).

ولا تعارض إذ العدد لا مفهوم له ، وإثبات الشيء لا ينفي ما عداه ، إضافة إلى وضوح أن ذلك على سبيل المثال فلا يراد بالعدد الحصر بل الكثرة ، وليس (الألف ألف) بحاصر ، ولا مبالغة فيه ، فإن ذلك هو مقتضى الأدلة العقلية والنقلية ، منها قوله ﷺ: «أنا مدينة العلم وعلي بابها»^(٢) بلحاظ الإطلاق المعنوي بالأدلة القطعية.

والعلوم لا تعد ولا تحصى والواضح أن ﴿فوق كل ذي علم عليم﴾^(٣) حتى بالنسبة إلى النبي ﷺ نفسه ، كما يحكيه القرآن: ﴿وقل رب زدني علماً﴾^(٤) ، على سبيل اللامتناهي اللايقفي.

(١) راجع الخصال: ج ٢ ص ٦٤٣ علم رسول الله ﷺ علياً ﷺ ألف باب يفتح كل باب ألف باب ضمن ح ٢٢.

(٢) راجع الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٣٤٥ المجلس ٥٥ ، والتوحيد: ص ٣٠٧ ب ٤٣ ، والصراط المستقيم: ج ١ ص ١٤٤ ب ٦ ف ٨.

(٣) سورة يوسف: ٧٦.

(٤) سورة طه: ١١٤.

فدونكها مخطومة مرحولة

تهديد الظالم

مسألة: تهديد الظالم وإنذاره واجب في الجملة، للآيات والروايات والعقل، وهذا ما صنعه الصديقة الطاهرة (ع) في مواطن شتى من الخطبة الشريفة، ومنها هذا المقطع: «فدونكها..» وهو تهديد أي خذها، مثل قول تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(١).

قال سبحانه: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُخْسِرُ الْمُبْطِلُونَ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْكُم فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾^(٣).

وقال سبحانه: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾^(٤).

وقال تعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾^(٥).

(١) سورة فصلت: ٤٠.

(٢) سورة الجاثية: ٢٧.

(٣) سورة الزخرف: ٣٩.

(٤) سورة هود: ٣٩.

(٥) سورة الأعراف: ١٦٢.

وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾^(٢).

وقال عز وجل: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾^(٣).

وقال سبحانه: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾^(٤).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾^(٥).

وقال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾^(٦).

وروى الشيخ الصدوق رحمه الله في كتاب (ثواب الأعمال وعقاب الأعمال) في

باب عقاب من ظلم: عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾^(٧) قال: «قنطرة على الصراط لا يجوزها عبد بمظلمة»^(٨).

(١) سورة البقرة: ١٦٥.

(٢) سورة الأعراف: ١٦٥.

(٣) سورة الكهف: ٥٩.

(٤) سورة الشعراء: ٢٢٧.

(٥) سورة إبراهيم: ٤٢.

(٦) سورة الكهف: ٢٩.

(٧) سورة الفجر: ١٤.

(٨) ثواب الأعمال: ص ٢٧٢ عقاب من ظلم.

وقال الإمام الباقر ﷺ: «من ارتكب أحداً بظلم بعث الله عز وجل عليه من يظلمه بمثله أو على ولده أو على عقبه من بعده»^(١).

وعن أبي عبد الله ﷺ قال: «من عذر ظالماً بظلمه سلط الله عليه من يظلمه، فإن دعا لم يستجب له ولم يأجره الله على ظلامته»^(٢).

وعن أبي جعفر ﷺ قال: «إن في جهنم لجبالاً يقال له الصعداء، وإن في الصعداء لوادياً يقال له سقر، وإن في سقر لجباً يقال له ههب، كلما كشف غطاء ذلك الجب، ضج أهل النار من حره، ذلك منازل الجبارين»^(٣).

قولها ﷺ: «فدونكها مخطومة مرحولة» الضمير يعود لفدك، لأن فدك تستعمل مؤنثاً ومذكراً كأسامي البلدان مطلقاً، مثلاً: العراق وإيران ومصر والباكستان، فانها قد تؤنث وقد تذكر، كما أن طهران وبغداد وكراچي وما أشبه قد تؤنث وقد تذكر.

ومخطومة: من الخطام - بالكسر - وهو الحبل الذي يوضع في أنف البعير ليقاد به، حيث إنه يسهل قياد البعير بسبب ذلك الحبل الذي في أنفه.

والرحل في الناقة: كالسرج للفرس، ورحل البعير.. كمنع، بمعنى: شد على ظهره الرحل، فقد شبهت (عليها الصلاة والسلام) فدك في كونها تحت تصرف غاصبي الخلافة بحيث لا يعارضهم في أخذها أحد، بالناقة المنقادة المهيأة للركوب.

(١) بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ٣١٣ ب ٧٩ ح ٢٣.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٣٣٤ باب الظلم ح ١٨.

(٣) وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ٣٨١ ب ٥٩ ح ٢٠٨٠٦.

فقولها ﷺ: «دونكها مخطومة مرحولة» تشير إلى إخبار غيبي بالذي سيحدث، وأن غضب فذك سوف لا يواجه بمقاومة ومعارضة قوية، بل إنه سيسيطر عليها كما يسيطر الراكب على الجمل المخطومة المرحولة، وهذا الإخبار المستقبلي قد تحقق كما لا يخفى.

تلقاك يوم حشرك

جزاء هذه المظلمة

مسألة: هل يستفاد من (تلقاك يوم حشرك...) أن جزاء هذه المظلمة لا يكون - بكامله - في الدنيا، عند الظهور، وبعد إحيائهما؟
وجهان:

من أن إثبات الشيء لا ينفي ما عداه، والكلام ليس في مقام البيان من هذه الجهة.

ومن ظهور الكلام وعدم الدليل على جزاء كل عمل في الدنيا، بل الدليل على العدم، قال تعالى: ﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى﴾^(١).

وعن أبي عبد الله  قال: «يؤتى يوم القيامة بإبليس مع مضل هذه الأمة في زمامين غلظمها مثل جبل أحد فيسحبان على وجوههما فينسد بهما باب من أبواب النار»^(٢).

وعن أبي جعفر  في قول الله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾^(٣) قال: من زعم أنه إمام وليس بإمام»^(٤).

(١) سورة النجم: ٤١.

(٢) ثواب الأعمال: ص ٢٠٨ عقاب الناصب والجاحد لأمير المؤمنين .

(٣) سورة الزمر: ٦٠.

(٤) عقاب الأعمال: ص ٢١٤ عقاب من ادعى الإمامة وليس بإمام.

وعن أبي عبد الله ﷺ قال: «من ادعى الإمامة وليس من أهلها فهو كافر»^(١).

وعن يونس بن ظبيان قال: قال أبو عبد الله ﷺ: «يا يونس من حبس حق المؤمن، أقامه الله عز وجل يوم القيامة خمسمائة عام على رجله حتى يسيل عرقه أو دمه، وينادي مناد من عند الله هذا الظالم الذي حبس عن الله حقه فيوبّخ أربعين يوماً ثم يؤمر به إلى النار»^(٢).

وعن أمير المؤمنين ﷺ قال: «إن في جهنم رحي تطحن خمسا أفلا تسألون ما طحنها؟ فقل له: فما طحنها يا أمير المؤمنين؟ قال: العلماء الفجرة، والقراء الفسقة، والجبابرة الظلمة، والوزراء الخونة، والعرفاء الكذبة، وإن في النار لمدينة يقال لها الحصينة، أفلا تسألوني ما فيها؟ فقل: وما فيها يا أمير المؤمنين؟ فقال: فيها أيدي الناكثين»^(٣).

(١) الكافي: ج ١ ص ٣٧٢ باب من ادعى الإمامة وليس لها بأهل ح ٢.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٦ ص ٣٨٨ ب ٣٩ ح ٢١٨٣٧.

(٣) الخصال: ج ١ ص ٢٩٦ في جهنم رحي تطحن خمسة ح ٦٥.

تجسم الأعمال

مسألة: يستفاد من قولها ﷺ: (تلقاك) تجسم الأعمال، إذ المجاز خلاف الأصل، ومع الإمكان الثبوتي والظهور الإثباتي لا مجال للعدول عن الظاهر، والأدلة على تجسم الأعمال كثيرة، ومنها:

قوله سبحانه: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾^(١) فما تجده هو نفس ﴿مَّا عَمِلْتَ﴾ وهذا غير آثاره أو جزائه وتفصيل الكلام في محله.

قال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٢).

وقال سبحانه: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٤).

وقال سبحانه: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٥).

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ

(١) سورة آل عمران: ٣٠.

(٢) سورة يس: ٥٤.

(٣) سورة الجاثية: ٢٨.

(٤) سور الصافات: ٣٩.

(٥) سورة النمل: ٩٠.

وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ^(١).

قولها ﷺ: «تلقاك يوم حشر» بمعنى أن فذك تلقى غاصبها يوم الحشر بمظلمتها، فإن كل إنسان سرق من أحد شيئاً أو نهب أو ظلم أحداً يأتي يوم القيامة مع تلك الظلامة، كما في الأحاديث^(٢).

قال رسول الله ﷺ: «من خان جاره شبراً من الأرض جعله الله طوقاً في عقه من تخوم الأرض السابعة حتى يلقي الله يوم القيامة مطوقاً إلا أن يتوب ويرجع»^(٣).

وإنما خصت يوم الحشر بالذكر مع أن الآثار تكون في القبر أيضاً، لأن يوم الحشر هو يوم ﴿الْجَزَاءِ الْأَوْفَى﴾^(٤) مضافاً إلى اجتماع كل الخلائق وكل الناس ومعرفتهم المحق من المبطل، بينما في القبر لا يستكشف لجميع الناس عمل الإنسان عادة، وقد ذكرنا في بعض المواطن: أن الإنسان يرى عمل نفسه - أثراً وثمراً أو جزاءً - في أربعة مواضع أو أكثر، كلياً أو جزئياً: في دنياه وتاريخياً، في نفسه وسمعته وامتداده^(٥)، وفي قبره، وفي حشره، وفي المرحلة الأخيرة من الجنة أو النار «إن خيراً فخير أو شراً فشر»^(٦).

(١) سورة العنكبوت: ٥٥.

(٢) راجع كتاب (ثواب الأعمال وعقاب الأعمال).

(٣) وسائل الشيعة: ج ٢٥ ص ٣٨٦ ب ١ ح ٣٢١٨٨.

(٤) سورة النجم: ٤١.

(٥) الظاهر أن المراد بـ (الامتداد): الذرية وشبهها.

(٦) تفسير القمي: ج ١ ص ٢٢٤ سورة الأعراف، وتأويل الآيات: ص ١٣٥ سورة النساء.

عن أبي جعفر (ع) قال: «في كتاب علي (ع): ثلاث خصال لا يموت صاحبهن أبداً حتى يرى وبالهن..» الحديث^(١).

حكم نهى المعاند

مسألة: يستحب - وقد يجب - تنبيه الخصم والظالم بيوم الحشر والقيامة والعذاب الأليم وإن كان عالماً بكل ذلك، لكن هل يستحب إن كان معانداً لا يرجى ارتداعه؟

ذكروا أن من شرائط الأمر المعروف والنهي عن المنكر احتمال التأثير، لكن هل هذا شرط الوجوب أو شرط مطلق الرجحان؟ قد يستظهر الأول لكن لزوم اللغو قد يقتضي الثاني، فتأمل.

ولعل ما هو من قبيل ﴿مَعْدِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾^(٢) وما قام به الأنبياء (ع) وسيد الشهداء (ع) وغيرها يقتضي الرجحان، ويؤيد هذا ما سيأتي منها (صلوات الله عليها) حيث تقول: «ألا وقد قلت ما قلت على معرفة مني بالخذلة التي خامرتكم، والغدرة التي استشعرتها قلوبكم، ولكنها فيضة النفس... وتقدمة الحجة».

وما سبق من (وقد يجب) فيما إذا توقف واجب عليه، سواء كان واجباً إيجابياً كما في موارد الأمر بالمعروف، أم واجباً سلبياً كما في موارد النهي عن

(١) ثواب الأعمال: ص ٢٢٠ عقاب البغي وقطيعة الرحم، والخصال: ج ١ ص ١٢٤ ثلاث خصال لا يموت صاحبهن حتى يرى وبالهن ح ١١٩.

(٢) سورة الأعراف: ١٦٤، وتام الآية: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْدِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.

المنكر، وهذا ليس خاصاً بتنبية الخصم والظالم، بل يعم كل موارد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما لا يخفى.

قولها ﷺ: «تلقاك يوم حشر» قد يكون إشارة إلى الحشر الخاص مضافاً إلى الحشر العام، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾^(١).

وقال سبحانه: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾^(٢).

وقال عز وجل: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾^(٣).

(١) سورة فصلت: ١٩.

(٢) سورة طه: ١٠٢.

(٣) سورة النمل: ٨٣.

فنعم الحكم الله

الله الحاكم

مسألة: (الحكم) بقول مطلق هو الله عز وجل ، لأنه العالم المطلق ، والقادر المطلق ، والعاقل المطلق ، وهو الذي يعلم بكل خصوصيات وشرائط وظروف المتخاصمين ، وبكل خصوصيات الدعوى وتشابكاتها ، وبالحكم الدقيق لكل صورة من الصور ، وهو الذي يقدر على الفصل والبت في الخصومة ، وعلى إرجاع الأمر إلى نصابه ، وذلك هو مقتضى عدله ، ولذلك كله كان عز وجل (نعم الحكم) كما قالت (عليها السلام) ، ولأن الله سبحانه وتعالى لا تضيع عنده مظلمة لأحد ولو بمقدار مثقال ذرة ، كما قال سبحانه : ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(١).

وقال تعالى : ﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾^(٢).

وقال سبحانه : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾^(٣).

وقال تعالى : ﴿ذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(٤).

(١) سورة الزلزلة : ٨.٧.

(٢) سورة الحج : ٦٩.

(٣) سورة الزمر : ٣.

(٤) سورة الممتحنة : ١٠.

وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾^(٢).

وفي الحديث: «قال إعرابي: يا رسول الله من يحاسب الخلق يوم القيامة؟ قال ﷺ: الله عز وجل»^(٣).

وقد سئل أمير المؤمنين ﷺ: كيف يحاسب الله الخلق على كثرتهم في حالة واحدة؟ فقال: «كما يرزقهم على كثرتهم في حالة واحدة»^(٤).

وقال أمير المؤمنين ﷺ: «اتقوا معاصي الله في الخلوات فإن الشاهد هو الحاكم»^(٥).

وقال ﷺ: «اتقوا معاصي الخلوات فإن الشاهد هو الحاكم»^(٦).

(١) سورة النحل: ١٢٤.

(٢) سورة الأعراف: ٨٧.

(٣) راجع تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ١ ص ٩.

(٤) متشابه القرآن: ج ٢ ص ١١٠.

(٥) وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ٢٣٩ ب ١٩ ح ٢٠٣٧٨.

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٨٥ ح ٣٥١٨ ذم معصية الله.

التنبية بحكمية الله وزعامة النبي صلى الله عليه وآله

مسألة: يستحب تنبيه الخصم والظالم بأن الله هو الحكم والزعيم هو محمد صلى الله عليه وآله، وقد يجب ذلك، كما ذكرناه في البحث الآنف.

عن أبي سعيد قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: «من كنتُ وليه فعليّ وليه، ومن كنتُ إمامه فعليّ إمامه، ومن كنتُ أميره فعليّ أميره، ومن كنتُ نذيره فعليّ نذيره، ومن كنتُ هاديه فعليّ هاديه، ومن كنتُ وسيلته إلى الله تعالى فعليّ وسيلته إلى الله عز وجل، فالله سبحانه يحكم بينه وبين عدوه»^(١).

وقد ورد عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: «تحشر ابنتي فاطمة عليها السلام يوم القيامة ومعها ثياب مصبوغة بالدماء، تتعلق بقائمة من قوائم العرش تقول: يا أحكم الحاكمين، أحكم بيني وبين قاتل ولدي، قال علي بن أبي طالب عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ويحكم لابنتي فاطمة ورب الكعبة»^(٢).

ومعنى أن الله هو الحكم أي أنه يحكم بين عباده بالعدل كما هو ضروري، ومقتضى الفطرة السليمة، وقد دل على ذلك القرآن الكريم إذ قال عز وجل: ﴿ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^(٣).

(١) معاني الأخبار: ص ٦٦ باب معنى قول النبي صلى الله عليه وآله من كنت مولاه فعلي مولاه.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢ ص ٨-٩ ب ٣٠ ح ٢١.

(٣) سورة البقرة: ٢٨١، سورة آل عمران: ١٦١.

وقال تعالى: ﴿وَتُوفَى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^(١).
 وقال سبحانه: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا
 عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ﴾^(٢).

والسنة المطهرة، والإجماع من كافة المسلمين، والعقل.

التوكل على الله

مسألة: يستحب إيكال الأمر إلى الله والاعتماد عليه قلباً وقولاً وقالياً،
 كما قالت ﷺ: ﴿فَنِعْمَ الْحَكَمَ اللَّهُ﴾ حيث قد أوكلت أمرها إليه سبحانه وتعالى.
 ومن معاني توكيل الأمر إلى الله سبحانه وتعالى: أن الإنسان يعمل ما
 بوسعه ويكل ما لا يقدر عليه بنفسه إلى الله عز وجل، مثلاً: الزارع عليه أن ينجز
 كل ما يتمكن من عمله من الحرث والزرع وتعهد الزرع بالسقاية والرعاية
 والمحافظة، أما ما هو خارج عن قدرته من الإنبات ونمو الزرع والبركة، ومن
 الطوارئ كبرد شديد مفاجئ أو حر كذلك أو آفة غير مترقبة أو جراد مهاجم من
 حيث لا يحتسب وشبه ذلك، فإن عليه أن يكله إلى الله تعالى.
 وهذا بين واجب ومستحب، كل في موره، ولذا قال النبي ﷺ: «اعقل
 وتوكل»^(٣).

(١) سورة النحل: ١١١.

(٢) سورة آل عمران: ٣٠.

(٣) غوالي اللآلي: ج ١ ص ٧٥ الفصل الرابع ح ١٤٩، وفي الأمالي للشيخ المفيد: ص ١٧٢-١٧٣

المجلس ٢٢ ح ١: «اعقل راحلتك وتوكل».

أما توكليل الأمر كله إلى الله بأن لا يأتي الإنسان بالأسباب الظاهرية، أو عكسه بأن يعتقد أن كل الأعمال من الإنسان نفسه وليس شيء مرتبطاً بالله سبحانه وتعالى كما قالت اليهود ﴿يد الله مغلولة﴾^(١)، فكلاهما خارج عن موازين العقل والشرع، والسيدة الزهراء (ع) أوكلت الأمر إلى الله مع قيامها بالدفاع والذب وإتمام الحجة وما أشبه.

قال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): «الإيمان له أركان أربعة: التوكل على الله وتفويض الأمر إلى الله والرضا بقضاء الله والتسليم لأمر الله عز وجل»^(٢). وعن أبي بصير عن أبي عبد الله (ع) قال: «ليس شيء إلا وله حد».

قلت: جعلت فداك فما حد التوكل؟

قال: «اليقين».

قلت: فما حد اليقين؟

قال: «ألا تخاف مع الله شيئاً»^(٣).

وعن أبي عبد الله (ع) قال: «إن الغنى والعز يجولان فإذا ظفرا بموضع التوكل أوطناه»^(٤).

وعن أبي عبد الله (ع) قال: «من أعطي ثلاثاً لم يمنع ثلاثاً، من أعطي الدعاء أعطي الإجابة، ومن أعطي الشكر أعطي الزيادة، ومن أعطي التوكل

(١) سورة المائدة: ٦٤.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٤٧ باب خصال المؤمن ح ٢.

(٣) وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ٢٠٢ ب ٧ ح ٢٠٢٧٩.

(٤) مستدرک الوسائل: ج ١١ ص ٢١٦ ب ١١ ح ١٢٧٨٢.

أعطي الكفاية» ثم قال: «أتلوت كتاب الله عزوجل ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾^(١) وقال: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾^(٢) وقال: ﴿ادعوني استجب لكم﴾^(٣)، «^(٤).

وقال لقمان لابنه: «يا بني إن الدنيا بحر عميق وقد هلك فيها عالم كثير فاجعل سفينتك فيها الإيمان بالله واجعل شراعها التوكل على الله واجعل زادك فيها تقوى الله عزوجل فإن نجوت فبرحمة الله وإن هلكت فبذنوبك»^(٥).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «خصلة من عمل بها كان من أقوى الناس» قيل: وما هي يا أمير المؤمنين؟ قال: «التوكل على الله عزوجل»^(٦).

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «التوكل من قوة اليقين»^(٧).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «أقوى الناس إيماناً أكثرهم توكلًا على الله سبحانه»^(٨).

وقال عليه السلام: «في التوكل حقيقة الإيقان»^(٩).

(١) سورة الطلاق: ٣.

(٢) سورة إبراهيم: ٧.

(٣) سورة غافر: ٦٠.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٦٥ باب التفويض إلى الله والتوكل عليه ح ٦.

(٥) من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٢٨٢ باب الزاد في السفر ح ٢٤٥٧.

(٦) معدن الجواهر: ص ٢٢ باب ما جاء في واحد.

(٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٦ منشأ التوكل وحقيقته ح ٣٨٤٨.

(٨) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٦ منشأ التوكل وحقيقته ح ٣٨٥٠.

(٩) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٦ منشأ التوكل وحقيقته ح ٣٨٥٣.

وقال (عليه السلام): «من وثق بالله توكل عليه»^(١).

وقال (عليه السلام): «التوكل خير عماد»^(٢).

وقال (عليه السلام): «التوكل حصن الحكمة»^(٣).

وقال (عليه السلام): «التوكل أفضل عمل»^(٤).

وقال (عليه السلام): «صلاح العبادة التوكل»^(٥).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «ينبغي لمن رضي بقضاء الله سبحانه أن يتوكل عليه»^(٦).

وقال (عليه السلام): «التوكل كفاية»^(٧).

وقال (عليه السلام): «كل متوكل مكفي»^(٨).

وقال (عليه السلام): «من توكل على الله عز وجل كفي»^(٩).

وقال (عليه السلام): «أصل قوة القلب التوكل على الله»^(١٠).

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٦ منشأ التوكل وحقيقته ح ٣٨٥٤.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٦ منشأ التوكل وحقيقته ح ٣٨٥٥.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٦ أهمية التوكل وفضيلته ح ٣٨٥٦.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٦ أهمية التوكل وفضيلته ح ٣٨٥٧.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٦ أهمية التوكل وفضيلته ح ٣٨٥٨.

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٦ أهمية التوكل وفضيلته ح ٣٨٦٠.

(٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٦ من توكل كفي ح ٣٨٦٦.

(٨) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٦ من توكل كفي ح ٣٨٦٩.

(٩) بشارة المصطفى: ص ٩٦ بشارة المصطفى لشيعه المرتضى.

(١٠) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٦ آثار التوكل ح ٣٨٧٩.

وقال ﷺ: «من توكل على الله تسهلت له الصعاب»^(١).

وقال ﷺ: «من توكل على الله أضاءت له الشبهات وكفي المؤنات وأمن التبعات»^(٢).

وقال ﷺ: «من توكل على الله ذلت له الصعاب وتسهلت عليه الأسباب وتبوأ الخفض والكرامة»^(٣).

بين الحق وتوحيد الكلمة

مسألة: لا يصح منع الحق من الجهر بالحق، أو منع المظلوم من طرح ظلامته بدعوى (الوحدة وتوحيد الكلمة) أو (الانفتاح) أو ما أشبه، إذ ﴿الحق أحق أن يتبع﴾^(٤) وللعقل والنقل المتواتر، ومنه أدلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإرشاد الجاهل وتنبيه الغافل وغير ذلك، وتفصيل البحث في كتاب القضاء وغيره، حيث يجب على القاضي أن يستمع إلى الدعوى ثم يحكم بالعدل بحيث يعطي الحق لصاحبه.

وهذا ما صنعتَه السيدة فاطمة الزهراء ﷺ بمواقفها وعملها وأقوالها وخطبها، ومنها هذه الخطبة، وهذا المقطع «وعند الساعة يخسرون المبتلون ولا ينفعكم إذ تندمون...»^(٥).

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٦ آثار التوكل ح ٣٨٨٦.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٦ آثار التوكل ح ٣٨٨٧.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٦ آثار التوكل ح ٣٨٨٨.

(٤) سورة يونس: ٣٥.

(٥) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون﴾ سورة الجاثية: ٢٧.

ولذلك كله يجب وجوباً كفاً بيان أن خصوم الزهراء (ع) هم من المبطلين وسيخسرون عند قيام الساعة.

وفي الحديث: إن أمير المؤمنين (ع) دخل يوماً إلى مسجد الكوفة من الباب القبلي، فاستقبله نفر فيهم فتى حدث يبكي والقوم يسكتونه، فوقف عليهم أمير المؤمنين وقال للفتى: ما يبكيك؟

فقال: يا أمير المؤمنين إن أبي خرج مع هؤلاء النفر في سفر لتجارة فرجعوا ولم يرجع أبي، فسألتهم عنه فقالوا: مات، وسألتهم عن ماله؟ فقالوا: لم يخلف مالا، فقدمتهم إلى شريح فلم يقض لي عليهم بشيء غير اليمين، وأنا أعلم يا أمير المؤمنين أن أبي كان معه مال كثير.

فقال لهم أمير المؤمنين: ارجعوا فردهم معه ووقف على شريح فقال: ما يقول هذا الفتى يا شريح؟

فقال شريح: يا أمير المؤمنين إن هذا الفتى ادعى على هؤلاء القوم دعوى فسأله البينة فلم يحضر أحداً، فاستحلفتهم له.

فقال أمير المؤمنين: هيهات يا شريح ليس هكذا يحكم في هذا.

فقال شريح: فكيف أحكم يا أمير المؤمنين فيه؟

فقال علي: أنا أحكم فيه ولأحكم اليوم فيه بحكم ما حكم به أحد بعد داود النبي (ع)، ثم جلس في مجلس القضاء ودعا بعبد الله بن أبي رافع وكان كاتبه وأمره أن يحضر صحيفة ودواة، ثم أمر بالقوم أن يفرقوا في نواحي المسجد ويجلس كل رجل منهم إلى سارية وأقام مع كل واحد منهم رجلاً وأمر بأن تغطي رؤوسهم وقال لمن حوله: إذا سمعتموني كبرت فكبروا.

ثم دعا برجل منهم فكشف عن وجهه ونظر إليه وتأمله وقال : أتظنون أنني لا أعلم ما صنعتُم بأبي هذا الفتى ، إني إذاً لجاهل ، ثم أقبل عليه فسأله ؟ فقال : مات يا أمير المؤمنين .

فسأله عن كيف كان مرضه وكم مرض وأين مرض وعن أسبابه في مرضه كلها وحين احتضر ومن تولى تغميضه ومن غسله وما كفن فيه ومن حمله ومن صلى عليه ومن دفنه ، فلما فرغ من السؤال رفع صوته : الحبس الحبس ، فكبر وكبر من كان معه .

فارتاب القوم ولم يشكوا أن صاحبهم قد أقر .
ثم دعا برجل آخر فقال له مثل ما قال للأول .
فقال : يا أمير المؤمنين إنما كنت واحداً من القوم وقد كنت كارهاً للقتل وأقر بالقتل .

ثم دعاهم واحداً واحداً من القوم ، فأقروا أجمعون ما خلا الأول وأقروا بالمال جميعاً وردوه وألزمهم ما يجب من القصاص .
فقال شريح : يا أمير المؤمنين كيف كان حكم داود ﷺ في مثل هذا الذي أخذته عنه ؟

فقال علي ﷺ : مر داود ﷺ بغلمان يلعبون وفيهم غلام منهم ينادونه : يا مات الدين ، فيجيبهم .

فوقف عليهم داود ﷺ فقال : يا غلام ما اسمك ؟

فقال : مات الدين .

قال : ومن سماك بهذا الاسم ؟

قال : أمي .

قال : أين أمك ؟

قال : في بيتها .

قال : امض بين يديّ إليها .

فمضى الغلام فاستخرج أمه ، فقال لها داود : هذا ابنك ؟

قالت : نعم .

قال : ما اسمه ؟

قالت : مات الدين .

قال : ومن سماه بهذا الاسم ؟

قالت : أبوه .

قال : وأين أبوه ؟

قالت : خرج مع قوم في سفر لهم لتجارة فرجعوا ولم يرجع ، فسألته

عنه فقالوا : مات ، وسألته عن ماله ، فقالوا : مات وذهب ماله ، فقلت : هل

أوصاكم في أمري بشيء ؟ فقالوا : نعم أوصانا وأعلمنا أنك حبلتي فمهما ولدت

من ولد فسميه مات الدين .

قال : وأين هؤلاء القوم ؟

قالت : حضور .

قال : امضي معي إليهم .

فجمعهم وفعل في أمرهم مثل هذا الذي فعلته ، وحكم بما حكمت وقال

للمرأة : سمي ابنك (عاش الدين)^(١) .

(١) دعائم الإسلام : ج ٢ ص ٤٠٤-٤٠٦ ف ٢ ذكر القصاص ح ١٤١٨ .

والزعيم محمد ﷺ والموعود القيامة

دور الرسول ﷺ في الآخرة

مسألة: ينبغي بيان أن الزعيم محمد ﷺ، ومعنى ذلك أنه ﷺ هو الضامن لبيان أحكام الله تعالى، والمنفذ لها في الدنيا وفي الآخرة، فهو الذي له الزعامة من قبل الله في يوم القيامة، فان أمور الآخرة أيضاً بنيت على الوسائط والمنفذين كما ورد بالنسبة إلى الملائكة، والأنبياء والمرسلين ﷺ، والأئمة المعصومين ﷺ، والشهداء والصالحين والولدان المخلدين وغير ذلك.

وكلي المطلب أن الرسول ﷺ هو أفضل الخلائق على الإطلاق، وهو مرسل لكل الخلائق على الإطلاق - إنساً وجناً وملكاً وما نعلم وما لا نعلم - وهو عين الله ويده في كل العوالم على الإطلاق، ومن المصاديق عالم الآخرة، يليه في كل ذلك مباشرة أمير المؤمنين ومولى الموحدين الإمام علي بن أبي طالب ﷺ إذ هو نفس رسول الله ﷺ بنص الآية الشريفة: ﴿وأنفسنا وأنفسكم﴾^(١) ولعشرات الأدلة الأخرى.

قال رسول الله ﷺ في حديث: «وجعل اسمي في القرآن محمداً فأنا محمود في جميع القيامة، في فصل القضاء، لا يشفع أحد غيري، وسماني في القيامة حاشراً يحشر الناس على قدمي، وسماني الموقف أوقف الناس بين يدي الله جل جلاله»^(٢).

(١) سورة آل عمران: ٦١.

(٢) الخصال: ج ٢ ص ٤٢٥ باب العشرة أسماء النبي ﷺ عشرة، ضمن ح ١.

وقال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب عليه السلام: «إذا كان يوم القيامة يؤتى بك يا علي على نجيب من نور وعلى رأسك تاج قد أضاء نوره وكاد يخطف أبصار أهل الموقف، فيأتي النداء من عند الله جل جلاله: أين خليفة محمد رسول الله؟ فتقول: ها أنا ذا، قال: فينادي المنادي: يا علي أدخل من أحبك الجنة، ومن عاداك النار، فأنت قسيم الجنة وأنت قسيم النار»^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة أتاني جبرئيل وبيده لواء الحمد وهو سبعون شقة، الشقة منه أوسع من الشمس والقمر، فيدفعه إليّ فأخذه وأدفعه إلى علي بن أبي طالب».

فقال رجل: يا رسول الله وكيف يطيق علي على حمل اللواء وقد ذكرت أنه سبعون شقة الشقة منه أوسع من الشمس والقمر؟

فغضب رسول الله ﷺ ثم قال: «يا رجل إنه إذا كان يوم القيامة أعطى الله عليا من القوة مثل قوة جبرئيل، ومن الجمال مثل جمال يوسف، ومن الحلم مثل حلم رضوان، ومن الصوت ما يداني صوت داود، ولولا أن داود خطيب في الجنان لأعطي علي مثل صوته، وإن عليا أول من يشرب من السلسيل والزنجبيل، وإن لعلي وشيعته من الله عز وجل مقاما يغبطه به الأولون والآخرون»^(٢).

(١) الأُمالي للصدوق: ص ٣٦١ المجلس ٥٧ ح ١٤.

(٢) بحار الأنوار: ج ٨ ص ٢-٣ ب ١٨ ضمن ح ٢.

وفي بعض النسخ: (والغريم)، والمراد: طالب الحق، يعني أنك - يا ابن أبي قحافة - تقابل رسول الله ﷺ في يوم القيامة ويطالبك بما فعلت، لأنك أخذت حقه إذ قال ﷺ: «من آذاها فقد آذاني»^(١) ولأنك عصيت أمره وخالفت قراره حيث منحني فذك فغصبتها.

قولها ﷺ: «والموعد القيامة» أي أن الميعاد بيننا وبينك يوم القيامة، حيث نلتقي هناك ونتخاصم بين يدي الله سبحانه وتعالى وبحضور الرسول ﷺ بل وبحضور الأشهاد كافة، فإن الناس في يوم القيامة حيث تكون أبصارهم حديداً يرون من مسافات بعيدة هذا الموقف والملايين من أمثال هذه المواقف، قال تعالى: ﴿فبصرك اليوم حديد﴾^(٢).

(١) غوالي اللآلي: ج ٤ ص ٩٣ الجملة الثانية في الأحاديث ح ١٣١.

(٢) سورة ق: ٢٢.

وعند الساعة يخسر المبطلون

درجات النهي عن المنكر

مسألة: النهي عن المنكر بالقلب وباللسان وبسائر الجوارح له درجات، ولا ينتقل للأشد إلا مع عدم كفاية الأضعف في الجملة، كما لا يكتفى بالأضعف مع القدرة على الأشد والحاجة إليه وعدم كفاية الأدنى منه.

وهي (صلوات الله عليها) حيث تعذر عليها النهي عن المنكر الجوارحي (كاليد مثلاً) في مورد كان يقتضيه حيث لم يرتدع القوم بدونه، اكتفيت بالنهي القولي، مضافاً إلى القلبي، وحيث أمكن لها الأشد من مراتبه قامت به وكان منه هذه الجمل هاهنا: «وعند الساعة يخسر المبطلون...».

قال المحقق عليه السلام: «ومراتب الإنكار ثلاث: بالقلب وهو يجب وجوباً مطلقاً، وباللسان، وباليدين، ويجب دفع المنكر بالقلب أولاً، كما إذا عرف أن فاعله ينزجر بإظهار الكراهة، وكذا إن عرف أن ذلك لا يكفي وعرف الاكتفاء بضرب من الإعراض والهجر وجب واقتصر عليه. ولو عرف أن ذلك لا يرفعه انتقل إلى الإنكار باللسان مرتباً للأيسر من القول فالأيسر.

ولو لم يرتفع إلا باليد، مثل الضرب وما شابهه جاز ولو افتقر إلى الجراح أو القتل هل يجب؟ قيل نعم، وقيل لا إلا بإذن الإمام عليه السلام وهو الأظهر»^(١).

(١) شرائع الإسلام: ج ١ ص ٢٦٨ كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ط ١٠ بيروت مركز الرسول الأعظم عليه السلام.

وقد ورد عن الإمام الرضا ﷺ: «إذا ترك امرئ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فليأذن بوقاع من الله جل اسمه»^(١).

وعن أبي جعفر ﷺ قال: «ويل لقوم لا يدينون الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»^(٢).

وقال أمير المؤمنين ﷺ: «غاية الدين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»^(٣).

وقال ﷺ: «من نهى عن المنكر أرغم أنوف الفاسقين»^(٤).

وقال ﷺ: «إذا رأى أحدكم المنكر ولم يستطع أن ينكره بيده ولسانه وأنكره بقلبه وعلم الله صدق ذلك منه فقد أنكره»^(٥).

وقال ﷺ: «... فمنهم المنكر للمنكر بقلبه ولسانه ويده فذلك المستكمل لخصال الخير، ومنهم المنكر بلسانه وقلبه التارك بيده فذلك متمسك بخصلتين من خصال الخير ومضيع خصلة، ومنهم المنكر بقلبه والتارك بيده ولسانه فذلك الذي ضيع أشرف الخصلتين من الثلاث وتمسك بواحدة، ومنهم تارك لإنكار المنكر بلسانه وقلبه ويده فذلك ميت الأحياء»^(٦).

(١) ثواب الأعمال: ص ٢٥٥-٢٥٦ عقاب من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(٢) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ٢ ص ١٢٣.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٣٢ ح ٧٦٣٨ الفصل الثاني في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(٤) مستدرك الوسائل: ج ١٢ ص ٢٠٧ ب ٩ ضمن ح ١٣٨٩٥.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٣٢ ح ٧٦٤٩ الفصل الثاني في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(٦) وسائل الشيعة: ج ١٦ ص ١٣٤ ب ٣ ح ٢١١٧٠.

قولها ﷺ: «وعند الساعة يخسر المبطلون»، فإن المبطل وإن كان يخسر في الدنيا أيضاً، ويخسر في القبر وفي عالم البرزخ، إلا أن الخسارة الكبرى في الحشر وعند قيام الساعة وذلك بحضور الناس والأشهاد وهي أمضٍ، حيث إن في الدنيا الحق والباطل مختلطان كثيراً ما، وفي القبر لا يرى الخسارة إلا نفس الإنسان وبعض الملائكة، وربما بعض البشر، إضافة إلى أن في الدنيا والقبر خسارة جزئية ونسبية وبعض العقاب، أما في الساعة فتظهر الخسارة الكبرى وأمام كل الناس، أو يقال: إن الساعة هي (الموعد الأصلي) للمستقبل النهائي، وبها تحديد المصير والحشر إلى جهنم وبئس المهاد، فكان الأنسب النسبة إليها دون جهنم، فتأمل.

أما ما سبقها في البرزخ وقبلة فهو مجرد رشحات ونماذج.

وفي بعض النسخ: (وعند الساعة ما تخسرون)، وعليه تكون (ما) مصدرية أي (في القيامة خسرانكم)، ويحتمل كون (ما) موصولة والفعل محذوف اكتفاء بالمدال عليه، أي (وعند الساعة تجدون أو تشاهدون الذي تخسرونه) وهو مشير إلى تجسم الأعمال أيضاً.

ولعلها (صلوات الله عليها) أشارت إلى قوله سبحانه في سورة الزمر: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخَسِرَانِ الْمُبِينُ﴾ لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون^(١).

وقوله تعالى في سورة الشورى: ﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ﴾ وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل

(١) الزمر: الآية: ١٥-١٦.

يَنْظُرُونَ مِنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ»^(١).

وفي تفسير هذه الآية روى علي بن إبراهيم القمي رحمه الله: «وترى الظالمين» آل محمد حقهم «لما رأوا العذاب» وعلي عليه السلام هو العذاب في هذا الوجه «يقولون هل إلى مرد من سبيل» فنوالي علياً عليه السلام «وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل» لعلي عليه السلام «ينظرون» إلى علي «من طرف خفي وقال الذين آمنوا» يعني آل محمد وشيعتهم «إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا إن الظالمين» آل محمد حقهم «في عذاب مقيم» قال عليه السلام: والله يعني النصاب الذين نصبوا العداوة لعلي وذريته عليه السلام»^(٢).

ولعل المراد من (الساعة) في قولها ﷺ: أعم من المحشر والنار كما ربما يكون ظاهر الآية المباركة. والخلاصة: لقد حددت (صلوات الله عليها) في هذه الجمل القصيرة كافة ما يرتبط بالقضية: فالحكم هو الله جل وعلا، والقاضي والزعيم هو رسوله ﷺ، ومكان القضاء وزمانه هو يوم القيامة، إذ (الموعد) مصدر ميمي يأتي للمكان والزمان، والنتيجة هي (وعند الساعة يخسر المبطلون) والخاسر هو ابن أبي قحافة وحزبه، ورد فعلهم سيكون الندم، والجزاء الإلهي هو «فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم»^(٣).

(١) سورة الشورى: ٤٤-٤٥.

(٢) تفسير القمي: ج ٢ ص ٢٧٨ سورة الشورى.

(٣) سورة هود: ٣٩، والزمر: ٣٩-٤٠.

ولا ينفعكم إذ تندمون

بين الدنيا والآخرة

مسألة: الدنيا دار عمل وجزاء في الجملة، وليست دار حساب كذلك، أما الآخرة فهي دار حساب وجزاء^(١) دون عمل، ولذلك قالت (عليها السلام): «ولا ينفعكم إذ تندمون»، وقد ورد في الحديث: «اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل»^(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «الدنيا مزرعة الآخرة»^(٣).

نعم دل الدليل شرعاً وعقلاً على أن الله تعالى يمتحن في الآخرة عباده القاصرين الذين لم تبلغهم الحجة اللازمة في الدنيا، فتكون الآخرة محل عمل في الجملة^(٤)، كما أن الدنيا مكان حساب وجزاء في الجملة، كما يفصح عن ذلك إقرار الشارع تشريعاً والتحقيق في الجملة تكويناً للحدود والديات والقصاص والمعاملات وما أشبهه.

(١) من الواضح الفرق بين الحساب والجزاء، فإن الحساب هو المحاسبة و(المحاكمة)، والجزاء هو ما يترتب على الحساب من العقوبة أو المثوبة.

(٢) راجع الأمالي للشيخ المفيد: ص ٢٠٧-٢٠٨ المجلس ٢٣ ضمن ح ٤١.

(٣) راجع تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ١ ص ١٨٣ بيان ما يحمد من الجاه، وغوالي اللآلي: ج ١ ص ٢٦٧ ف ١٠ ح ٦٦.

(٤) ورد في بعض الروايات أن الله تعالى يأمرهم بالدخول في نار مضرمة فمن أطاع امتثالاً لأمره تعالى حول الله النار عليه برداً وسلاماً وكان من أهل الجنة، ومن عصى دخل النار، ويستفاد من بعض الروايات أن الامتحان في يوم القيامة هو أمرهم بولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) فمن قبلها كان من أهل الجنة ومن لم يقبلها فمن أهل النار.

وفي الحديث قال الإمام الرضا ﷺ: «ما من فعل فعله العباد من خير وشر إلا والله فيه القضاء، قال الراوي: فما معنى هذا القضاء؟ قال ﷺ: الحكم عليهم بما يستحقونه على أفعالهم من الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة»^(١).
وأوحى الله عز وجل لموسى ﷺ: «إن الدنيا دار عقوبة عاقبت فيها آدم عند خطيئته»^(٢).

وعن أبي جعفر ﷺ قال: «في كتاب علي ﷺ ثلاث خصال لا يموت صاحبهن أبداً حتى يرى وبالهن: البغي وقطيعة الرحم واليمين الكاذبة يبارز الله بها»^(٣).

وعن أبي عبد الله قال ﷺ: «إن في كتاب علي ﷺ أن أكل مال اليتامى ظلماً سيدركه وبال ذلك في عقبه من بعده في الدنيا، فإن الله عز وجل يقول: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾»^(٤).

وأما في الآخرة فإن الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا﴾»^(٥)^(٦).

(١) متشابه القرآن: ج ١ ص ١٩٣، والاحتجاج: ج ٢ ص ٤١٤ احتجاج أبي الحسن علي بن موسى الرضا ﷺ في التوحيد والعدل وغيرهما.

(٢) راجع ثواب الأعمال: ص ٢٢٢ في أن الدنيا دار عقوبة.

(٣) راجع الكافي: ج ٢ ص ٣٤٧ باب قطيعة الرحم ضمن ح ٤.

(٤) سورة النساء: ٩.

(٥) سورة النساء: ١٠.

(٦) ثواب الأعمال: ص ٢٣٣ عقاب أكل مال اليتيم.

وعن أبي عبد الله (عليه السلام): «ما من مؤمن يخذل مؤمناً أخاه وهو يقدر على نصرته إلا خذله الله في الدنيا والآخرة»^(١).

هل الندم نافع

مسألة: لا تقبل التوبة والندم في يوم القيامة، بل يجب التوبة بشرائطها في دار الدنيا، قال عز وجل: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾^(٢).

وقال سبحانه وتعالى لفرعون: ﴿الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٣).

أما من احتمل أن أهل النار لو تابوا إلى الله لتاب عليهم فخلاص ظاهر الآيات والروايات، ولا يجمع مع قولها (عليه السلام) «ولا ينفعكم إذ تندمون» مضافاً إلى أنه لو سلّم صحة الكبرى فيرد عليه:

أولاً: إن الندم أعم من التوبة، إذ رب نادم غير مصمم على الترك بل عازم عليه، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوا لَعَادُوا لَمَا نَهَوْنَا عَنْهُ﴾^(٤).
وكما يشعر به قوله تعالى: ﴿إِنهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾^(٥).

(١) ثواب الأعمال: ص ٢٣٨ عقاب من خذل مؤمناً.

(٢) سورة النساء: ١٨.

(٣) سورة يونس: ٩١.

(٤) سورة الأنعام: ٢٨.

(٥) سورة المؤمنون: ١٠٠.

وكما قال ابن أبي قحافة في مرضه : «ليتني كنت تركت بيت فاطمة لم أكشفه»^(١).

وكما قال : «ليتني في ظلة بني ساعدة ضربت يدي على أحد الرجلين فكان هو الأمير وكنت الوزير، عنى عمر وأبا عبيدة»^(٢).

وكما قال : (ليتني كنت بعرة) أو (شعرة)^(٣).

(١) انظر الصراط المستقيم : ج ٢ ص ٣٠١.

(٢) انظر الصراط المستقيم : ج ٢ ص ٣٠١.

(٣) انظر (مصنف ابن أبي شيبة) : ج ٧ ص ٩١ ح ٣٤٤٣٢ ط : مكتبة الرشد، الرياض عام ١٤٠٩ هـ، وفيه : (حدثنا أبو معاوية عن جوير عن الضحاك قال : رأى أبو بكر الصديق طيرا واقعا على شجرة فقال : طوبى لك يا طير، والله لوددت أني كنت مثلك تقع على الشجرة وتأكل من الثمر ثم تطير وليس عليك نجاسة ولا عذاب، والله لوددت أني كنت شجرة إلى جانب الطريق مر علي جمل فأخذني فأدخلني فاه فلاكني ثم ازدردني ثم أخرجني بعرا ولم أكن بشرا).

وفي كتاب (شعب الإيمان) لأبي بكر البيهقي : ج ١ ص ٤٨٥ ح ٧٨٦ ط : دار الكتب العلمية بيروت عام ١٤١٠ هـ : (عن الحسن قال : أبصر أبو بكر طائرا على شجرة فقال : طوبى لك يا طير تأكل الثمر وتقع على الشجر لوددت أني ثمرة ينقرها الطير). وقال في الحديث ٧٨٧ عن جوير عن الضحاك قال : مر أبو بكر على طير قد وقع على شجرة فقال : طوبى لك يا طير تطير فتقع على الشجر ثم تأكل من الثمر ثم تطير ليس عليك نجاسة ولا عذاب يا ليتني كنت مثلك والله لوددت أني كنت شجرة إلى جانب الطريق فمر علي بعير فأخذني فأدخلني فاه فلاكني ثم ازدردني ثم أخرجني بعرا ولم أكن بشرا). وقال في الحديث ٧٨٨ : (عن يعقوب بن زيد وعمر بن عبد الله مولى غفرة قالا : نظر أبو بكر إلى طير حين وقع على الشجر فقال ما أنعمك يا طير تأكل وتشرب وليس عليك نجاسة وتطير يا ليتني كنت مثلك).

وفي كتاب (الزهد) لهناد : ج ١ ص ٢٥٨ باب من قال ليتني لم أخلق ح ٤٤٩ ط : دار الخلفاء للكتاب الإسلامي الكويت، عام ١٤٠٦ هـ : (حدثنا أبو معاوية عن جوير عن الضحاك قال : مر أبو بكر بطير وعشرون على شجرة فقال طوبى لك يا طير تقع على الشجر وتأكل الثمر ثم تطير وليس عليك نجاسة

وكما قال صاحبه : (ليتني كنت عذرة) ^(١).

→ ولا عذاب يا ليتني كنت مثلك والله لوددت أن الله خلقني شجرة إلى جانب الطريق فمر بي بعير فأخذني فأدخلني فاه فلاكني ثم ازدردني ثم أخرجني بعرا ولم أك بشرا).

وفي كتاب (صفوة الصفوة) ج ١ ص ٢٥١ ط : دار المعرفة بيروت عام ١٣٩٩ هـ : (قال أبو بكر : يا ليتني شجرة تعضد ثم تؤكل) وفيه أيضا : (قال أبو بكر : لوددت أني شجرة في جنب مؤمن).

وفي كتاب (الرياض النضرة) للطبري : ج ٢ ص ١٣٧ ط : دار الغرب الإسلامي بيروت عام ١٩٩٦ م : (عن الحسن قال : كان أبو بكر يقول : يا ليتني كنت شجرة تعضد وتؤكل) ، وفيه أيضا : (عن أبي

عمران الجوني عن أبي بكر أنه كان يقول : لوددت أني شجرة في جنب عبد مؤمن خرجها في الصفوة) وفي (نوارد الأصول) للترمذي : ج ١ ص ٢٧١ ط : دار الجيل بيروت عام ١٩٩٢ م : (قال أبو بكر :

وددت أني شجرة في صدر مؤمن) وأيضاً في ج ٣ ص ١٥٧ .

وفي كتاب (فيض القدير) للمناوي : ج ٤ ص ٣١٧ ط : المكتبة التجارية الكبرى مصر عام ١٣٥٦ هـ : (يقول الصديق : ليتني كنت شجرة في صدر مؤمن).

(١) انظر كتاب (حلية الأولياء) لأبي نعيم الأصبهاني : ج ١ ص ٥٢ ط : دار الكتاب العربي بيروت عام ١٤٠٥ هـ ، وفيه : (قال عمر : ليتني كنت كبش أهلي يسموني ما بدا لهم حتى إذا كنت أسمن ما أكون

زارهم بعض من يحبون فجعلوا بعضي شواء وبعضي قديدا ثم أكلوني فأخرجوني عذرة ولم أك بشرا). وفي كتاب (الزهد) لهناد : ج ١ ص ٢٥٨ باب من قال ليتني لم أخلق ح ٤٤٩ ط : دار الخلفاء للكتاب

الإسلامي الكويت ، عام ١٤٠٦ هـ : (وقال عمر يا ليتني كنت كبش أهلي سمنوني ما بدا لهم حتى إذا كنت أسمن ما أكون زارهم بعض ما يحبون فجعلوا بعضي شواء وبعضي قديدا ثم أكلوني فأخرجوني

عذرة ولم أك بشرا).

وفي كتاب (شعب الإيمان) للبيهقي : ج ١ ص ٤٨٥ ط : دار الكتب العلمية بيروت عام ١٤١٠ هـ : (فقال عمر : يا ليتني كنت كبش أهلي سمنوني ما بدا لهم حتى إذا كنت كأسمن ما يكون زارهم بعض من

يحبون فذبحوني لهم فجعلوا بعضي شواء وبعضه قديدا ثم أكلوني ولم أكن بشرا).

وفي (مصنف ابن أبي شيبة) : ج ٧ ص ٩٨ ح ٣٤٤٨٠ ط : مكتبة الرشد ، الرياض عام ١٤٠٩ هـ : (عن عبدالله بن عامر بن ربيعة قال : رأيت عمر بن الخطاب أخذ تبنه من الأرض فقال : يا ليتني هذه التبنه

→ وفي كتاب (شعب الإيمان) للبيهقي: ج ١ ص ٤٨٥ ط: دار الكتب العلمية بيروت عام ١٤١٠ هـ: (عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال: رأيت عمر بن الخطاب أخذ تبة من الأرض فقال: يا ليتني هذه التبة ليتني لم أكن شيئا ليت أُمي لم تلدني ليتني كنت منسياً).

وفي كتاب (الزهد) لابن المبارك: ص ٧٩ ط: دار الكتب العلمية بيروت: (عن عبد الله ابن عامر بن ربيعة قال: رأيت عمر بن الخطاب أخذ تبة من الأرض فقال يا ليتني هذه التبة ليتني لم أكن شيئا، ليت أُمي لم تلدني، ليتني كنت نسيا منسياً أخرجه ابن سعد).

وفي (الطبقات الكبرى) للزهري: ج ٣ ص ٣٦٠ ط: دار صادر بيروت: (عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال: رأيت عمر بن الخطاب أخذ تبة من الأرض فقال ليتني كنت هذه التبة ليتني لم أخلق ليت أُمي لم تلدني ليتني لم أكن شيئا ليتني كنت نسيا منسياً). وفيه أيضاً: (عن سالم بن عبد الله أن عمر بن الخطاب قال: ليتني لم أكن شيئا قط ليتني كنت نسيا منسياً قال ثم أخذ كالتبة أو كالعود عن ثوبه فقال ليتني كنت مثل هذا).

وفي (فيض القدير) للمناوي: ج ٤ ص ٣١٧ ط: المكتبة التجارية الكبرى مصر عام ١٣٥٦ هـ: (وأن يقول عمر: ويل إن لم يغفر له).

وفي (مصنف ابن أبي شيبة): ج ٧ ص ٩٨ ح ٣٤٤٨١ ط: مكتبة الرشد، الرياض عام ١٤٠٩ هـ: (عن ابن عمر قال: كان رأس عمر على حجري فقال: ضعه لا أم لك، ثم قال: ويلي، ويل أم عمر إن لم يغفر لي ربي).

وفي كتاب (الزهد) لابن المبارك: ص ٧٩ ط: دار الكتب العلمية بيروت: (عن ابن عمر قال أخبرني أبان بن عثمان بن عفان قال: قال عمر حين حضر: ويلي وويل أُمي إن لم يغفر لي، فقضى ما بينهما كلام).

وفي (حلية الأولياء) لأبي نعيم الأصبهاني: ج ١ ص ٥٢ ط: دار الكتاب العربي بيروت عام ١٤٠٥ هـ: (عن ابن عمر قال: كان رأس عمر على فخذي في مرضه الذي مات فيه فقال لي: ضع رأسي على الأرض، قال: فقلت: وما عليك كان على فخذي أم على الأرض، قال: ضعه على الأرض، قال: فوضعت على الأرض، فقال: ويلي وويل أُمي إن لم يرحمني ربي).

وفي (صفوة الصفوة) ج ١ ص ٢٩١ ط: دار المعرفة بيروت عام ١٣٩٩ هـ: (وعن عثمان بن عفان قال: أنا آخركم عهداً بعمر دخلت عليه ورأسه في حجر ابنه عبد الله فقال له: ضع خدي وضوء قال فهل

→ فخذي والأرض إلا سواء، قال: ضع خدي وضوء لا أم لك في الثانية أو الثالثة، وسمعتة يقول: ويلي وويل أُمي، إن لم يغفر لي حتى فاضت نفسه).

وفي (الطبقات الكبرى) للزهري: ج ٣ ص ٣٦٠ و ٣٦١ ط: دار صادر بيروت: (عن عبد الله بن عامر ابن ربيعة أن عمر قال لعبد الله بن عمر ورأسه في حجره ضع خدي في الأرض فقال وما عليك في الأرض كان أو في حجري قال ضعه في الأرض ثم قال ويل لي ولأُمي إن لم يغفر الله لي ثلاثاً). وفيه أيضاً: (عن عثمان بن عفان قال أنا آخركم عهداً بعمر دخلت عليه ورأسه في حجر ابنه عبد الله بن عمر فقال له: ضع خدي وضوء، قال: فهل فخذي والأرض إلا سواء، قال: ضع خدي وضوء لا أم لك في الثانية أو في الثالثة، ثم شبك بين رجله فسمعتة يقول: ويلي وويل أُمي إن لم يغفر الله لي، حتى فاضت نفسه) وفيه أيضاً: (عن عثمان قال: آخر كلمة قالها عمر حتى قضى: ويلي وويل أُمي إن لم يغفر الله لي، ويلي وويل أُمي إن لم يغفر الله لي، ويلي وويل أُمي إن لم يغفر الله لي، وفيه أيضاً: (عن ابن أبي مليكة أن عثمان بن عفان وضع رأس عمر بن الخطاب في حجره فقال أعد رأسي في التراب ويل لي وويل لأُمي إن لم يغفر الله لي) وفيه أيضاً: (عن أيوب عن بن أبي مليكة قال: لما طعن عمر جاء كعب فجعل يبكي بالباب ويقول والله لو أن أمير المؤمنين يقسم على الله أن يؤخره لأخره! فدخل بن عباس عليه فقال يا أمير المؤمنين هذا كعب يقول كذا وكذا قال إذا والله لا أسأله، ثم قال ويل لي ولأُمي إن لم يغفر الله لي).

وفي (صفوة الصفوة) ج ١ ص ٢٨٥ ط: دار المعرفة بيروت عام ١٣٩٩ هـ: (وعن عبد الله بن عامر قال: رأيت عمر بن الخطاب أخذ تبة من الأرض فقال: ليتني كنت هذه التبة، ليتني لم أخلق، ليت أُمي لم تلدني، ليتني لم أكن شيئاً، ليتني كنت نسياً منسياً).

وفي صحيح البخاري: ج ٣ ص ١٣٥٠ ح ٣٤٨٩ ط: دار ابن كثير بيروت عام ١٤٠٧ هـ: (ثم لما طعن عمر جعل يالم - إلى أن قال: - والله لو أن لي طلاع الأرض ذهباً افتديت به من عذاب الله عز وجل).

وفي (حلية الأولياء) لأبي نعيم الأصبهاني: ج ١ ص ٥٢ ط: دار الكتاب العربي بيروت عام ١٤٠٥ هـ: (عن المسور بن مخرمة قال: لما طعن عمر قال: والله لو أن لي طلاع الأرض ذهباً لافتديت به من عذاب الله من قبل). وفيه أيضاً: (عن سماك قال سمعت عبد الله بن عباس يقول: لما طعن عمر دخلت عليه فقلت له أبشر يا أمير المؤمنين فإن الله قد مصر بك الأمصار ودفع بك النفاق وأفشى بك الرزق، قال: أفي الإمارة تشني علي يا ابن عباس، فقلت: وفي غيرها، قال: والذي نفسي بيده لو ددت أني ←

وكما قالت ابنته : (ليتني كنت حيضة)^(١).

→ خرجت منها كما دخلت فيها لا أجر ولا وزر).

وفي كتاب (الرياض النضرة) للطبري : ج ٢ ص ١٥٧ ح ٦٣٦ ط : دار الغرب الإسلامي بيروت عام ١٩٩٦ م : (قال عمر : وددت أني شعرة في صدر أبي بكر).

وفي (الطبقات الكبرى) للزهري : ج ٣ ص ٣٦١ ط : دار صادر بيروت : (عن سالم بن عبد الله أن عمر بن الخطاب قال : ليتني لم أكن شيئاً قط ، ليتني كنت نسياً منسياً ، قال : ثم أخذ كالتبنة أو كالعود عن ثوبه فقال ليتني كنت مثل هذا).

(١) في كتاب (شعب الإيمان) للبيهقي : ج ١ ص ٤٨٦ ح ٧٩١ ، ط : دار الكتب العلمية بيروت عام ١٤١٠ هـ : (عن عروة قال قالت عائشة : يا ليتني كنت نسياً منسياً أي حيضة).

وفي (حلية الأولياء) لأبي نعيم الأصبهاني : ج ٢ ص ٢٥ ط : دار الكتاب العربي بيروت عام ١٤٠٥ هـ : (عن عروة قال قالت عائشة : يا ليتني كنت نسياً منسياً أي حيضة).
وتراه أيضاً في كتاب (الجامع) لمعمر بن راشد.

وفي (الاعتقاد) للبيهقي : ص ٣٧٣ ط : دار الآفاق الجديدة بيروت عام ١٤٠١ هـ : (فكانت عائشة تقول وددت أني كنت ثكلت عشرة مثل ولد الحرث بن هشام وأنني لم أسر مسيري الذي سرت وروي أنها ما ذكر مسيرها قط إلا بكى حتى تبل خمارها وتقول يا ليتني كنت نسياً منسياً).

وفي (تاريخ بغداد) للخطيب البغدادي : ج ٥ ص ٥٤ ط : دار الكتب العلمية بيروت : (عن عائشة قالت : يا ليتني كنت نسياً منسياً). وأيضاً في تاريخ بغداد : ج ٩ ص ١٨٥ : (عن هشام بن عروة عن أبيه قال : ما ذكرت عائشة مسيرها في وقعة الجمل قط إلا بكى حتى تبل خمارها وتقول : يا ليتني كنت نسياً منسياً قال سفيان النسائي المنسي الحبيضة الملقاة).

وفي (فضائل الصحابة) لأحمد بن حنبل : ج ١ ص ٤٦٢ ط : مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٣ هـ ، (عن عروة بن الزبير عن عائشة زوج النبي ﷺ كانت تقول : ثم يا ليتني كنت نسياً منسياً).

وفي (مصنف ابن أبي شيبة) : ج ٧ ص ١٣١ ح ٣٤٧٣٥ ط : مكتبة الرشد ، الرياض عام ١٤٠٩ هـ : (عن عائشة أنها قالت : وددت أني إذا مت كنت نسياً منسياً) وفي ح ٣٤٧٣٦ (أن عائشة قالت : يا ليتني شجرة تسبح وتقضي ما عليها وأنها لم تخلق) وفي ح ٣٤٧٣٧ (عن عروة أنه سمع عائشة تقول يا ليتني لم أخلق).

→ وفي كتاب (الزهد) لهناد: ج ١ ص ٢٦٠ باب من قال ليتني لم أخلق ح ٤٥٣ ط: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي الكويت، عام ١٤٠٦ هـ: (عن عائشة قالت ليتني إذ مت كنت نسيا منسيا).

وفي (الطبقات الكبرى) للزهري: ج ٨ ص ٧٤ ط: دار صادر بيروت: (أخبرنا أسامة بن زيد عن بعض أصحابه عن عائشة أنها قالت حين حضرتها الوفاة: يا ليتني لم أخلق، يا ليتني كنت شجرة أسبح وأقضي ما علي)، وفيه أيضا: (عن عمرو بن سلمة أن عائشة قالت: والله لوددت أني كنت شجرة والله لوددت أني كنت مدرة والله لوددت أن الله لم يكن خلقي شيئا قط) وفيه أيضا: (عن عيسى بن دينار قال سألت أبا جعفر عن عائشة فقال: استغفر الله لها أما علمت ما كانت تقول: يا ليتني كنت شجرة، يا ليتني كنت حجرا، يا ليتني كنت مدرة، قلت: وما ذاك منها؟ قال: توبة!) وفيه أيضا: (عن ابن أبي مليكة أن ابن عباس دخل على عائشة قبل موتها فأثنى عليها قال أبشري زوجة رسول الله ولم ينكح بكرا غيرك ونزل عذرك من السماء فدخل عليها بن الزبير خلافة فقالت أثنى علي عبد الله بن عباس ولم أكن أحب أن أسمع أحدا اليوم يثني علي لوددت أني كنت نسيا منسيا). وفي ص ٧٤-٧٥: (عن إبراهيم قال: قالت عائشة: يا ليتني كنت ورقة من هذه الشجرة). وفي ص ٨٥: (فقلت: دعني منك يا بن عباس فوالذي نفسي بيده لوددت أني كنت نسيا منسيا).

وفي كتاب (حلية الأولياء) لأبي نعيم الأصبهاني: ج ٢ ص ٤٥ ط: دار الكتاب العربي بيروت عام ١٤٠٥ هـ: (فقلت: يا بن عباس دعني منك ومن تركيتك، فوالله لوددت أني كنت نسيا منسيا).

وفي (مسند أبي يعلى): ج ٥ ص ٥٧ ح ٢٦٤٨ ط: دار المأمون للتراث، دمشق عام ١٤٠٤ هـ (قالت دعني يا بن عباس فوالله لوددت أني كنت نسيا منسيا).

وفي (فتح الباري) لابن حجر العسقلاني: ج ٨ ص ٤٨٤ ط دار المعرفة بيروت، عام ١٣٧٩ هـ: (فقلت دعني منك يا بن عباس فوالذي نفسي بيده لوددت أني كنت نسيا منسيا).

وفي (صفوة الصفوة) ج ٢ ص ٣٨ ط: دار المعرفة بيروت عام ١٣٩٩ هـ: (فقلت دعني منك يا ابن عباس فوالذي نفسي بيده لوددت أني كنت نسيا منسيا).

وفي كتاب (الزهد) لابن المبارك: ص ٨١ ح ٢٣٩، ط: دار الكتب العلمية بيروت: (عن إبراهيم أن عائشة مرت بشجرة فقالت: يا ليتني ورقة من هذه الشجرة) أخرجه أحمد في الزهد.

وفي (سير أعلام النبلاء) للذهبي: ج ٢ ص ١٨٩ ط مؤسسة الرسالة بيروت، عام ١٤١٣ هـ: (قالت عائشة: يا ليتني كنت ورقة من هذه الشجرة).

وثانياً: إن كلام الصديقة الطاهرة (صلوات الله عليها) خاص وذاك عام.

وثالثاً: قد يراد عدم النفع في الجملة، فتأمل.

ورابعاً: إنهم لا يوفقون للتوبة.

وفي الحديث عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: رأيت أمير المؤمنين علي

ابن أبي طالب ﷺ وهو خارج من الكوفة، فتبعته من ورائه حتى إذا صار إلى

جبانة اليهود ووقف في وسطها ونادى: يا يهود، يا يهود، فأجابوه من جوف

القبور: لبيك لبيك مطلاع، يعنون بذلك يا سيدنا.

فقال: كيف ترون العذاب؟

فقالوا: بعصياننا لك كهارون فنحن ومن عصاك في العذاب إلى يوم

القيامة.

ثم صاح صيحة كادت السماوات ينقلبن، فوقعت مغشياً على وجهي من

هول ما رأيت، فلما أفقت رأيت أمير المؤمنين ﷺ على سرير من ياقوتة حمراء

على رأسه أكليل من الجواهر وعليه حلل خضر وصفر ووجهه كدارة القمر،

فقلت: يا سيدي هذا ملك عظيم!

قال: نعم يا جابر إن ملكنا أعظم من ملك سليمان بن داود ﷺ، وسلطاننا

أعظم من سلطانه.

ثم رجع ﷺ ودخلنا الكوفة، ودخلت خلفه إلى المسجد فجعل يخطو

خطوات وهو يقول: لا والله لا فعلت، لا والله لا كان ذلك أبداً!

فقلت: يا مولاي لمن تكلم ولمن تخاطب وليس أرى أحداً؟

فقال ﷺ: يا جابر كشف لي عن برهوت فرأيت شنبويه وحبتر وهما

يعذبان في جوف تابوت في برهوت، فنادياني: يا أبا الحسن يا أمير المؤمنين ردنا إلى الدنيا نقر بفضلك ونقر بالولاية لك.

فقلت: لا والله لا فعلت، لا والله لا كان ذلك أبداً، ثم قرأ هذه الآية: ﴿وَلَوْ رَدُّوا لَعَادُوا لَمَّا نَهَوَّا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾^(١) يا جابر وما من أحد خالف وصي نبي إلا حشره الله أعمى يتككب في عرصات القيامة»^(٢).

قولها (عليها السلام): «ولا ينفعكم إذ تندمون» إذ قد سبق أن ندامة الإنسان في الآخرة لا تنفع، نعم الندامة في الدنيا تنفع وذلك للانقلاع والتدارك، قال سبحانه: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾^(٣).

وربما يظهر من تعبيرها (صلوات الله عليها) بـ (إذ) دون (إذا) أو (لو) أنهم سيندمون فإن إذ ظرفية، لكن ندمهم غير نافع، مضافاً إلى عدم عزمهم على الترك، بل العود لو عادوا.

فاطمة (عليها السلام) في يوم القيامة

عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: «قال جابر لأبي جعفر (عليه السلام): جعلت فداك يا بن رسول الله، حدثني بحديث في فضل جدتك فاطمة (عليها السلام) إذا أنا حدثت به الشيعة فرحوا بذلك.

(١) سورة الأنعام: ٢٨.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة: ص ١٦٨-١٦٩ سورة الأنعام وما فيها من الآيات في الأئمة الهداة.

(٣) سورة المؤمنون: ٩٩-١٠٠.

قال أبو جعفر ﷺ: حدثني أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة نصب للأنبياء والرسل منابر من نور فيكون منبري أعلى منابرهم يوم القيامة ثم يقول الله: يا محمد اخطب.

فاخطب بخطبة لم يسمع أحد من الأنبياء والرسل بمثلها.

ثم ينصب للأوصياء منابر من نور، وينصب لوصيي علي بن أبي طالب ﷺ في أوساطهم منبر من نور، فيكون منبره (منبر علي) أعلى منابرهم.

ثم يقول الله: يا علي اخطب.

فيخطب بخطبة لم يسمع أحد من الأوصياء بمثلها.

ثم ينصب لأولاد الأنبياء والمرسلين منابر من نور فيكون لابني وسبطي وريحاتي أيام حياتي منبر (منبران) من نور.

ثم يقال لهما: اخطبا، فيخطبان بخطبتين لم يسمع أحد من أولاد الأنبياء والمرسلين بمثلهما.

ثم ينادي المنادي (مناد) وهو جبرئيل ﷺ: أين فاطمة بنت محمد، أين خديجة بنت خويلد، أين مريم بنت عمران، أين آسية بنت مزاحم، أين أم كلثوم، أين أم يحيى بن زكريا؟

فيقمن، فيقول الله تبارك وتعالى: يا أهل الجمع لمن الكرم اليوم؟

فيقول محمد وعلي والحسن والحسين وفاطمة: (لله الواحد القهار).

فيقول الله جل جلاله (تعالى): يا أهل الجمع إني قد جعلت الكرم لمحمد

وعلي والحسن والحسين وفاطمة، يا أهل الجمع طأطئوا الرؤوس وغضوا الأبصار، فان هذه فاطمة تسير إلى الجنة، فيأتيها جبرئيل بناقة من نوق الجنة مدبجة الجنبين، خطامها من اللؤلؤ المحقق الرطب، عليها رحل من المرجان، فتناخ بين يديها، فتركبها.

فيبعث إليها مائة ألف ملك فيصيروا على يمينها، ويبعث إليها مائة ألف ملك يحملونها على أجنحتهم حتى يصيروها (يسيروها) على باب الجنة، فإذا صارت عند باب الجنة تلتفت!.

فيقول الله: يا بنت حبيبي ما التفاتك وقد أمرت بك إلى جنتي (الجنة)؟

فتقول: يا رب أحببت أن يعرف قدري في مثل هذا اليوم.

فيقول الله تعالى: يا بنت حبيبي ارجعي فانظري من كان في قلبه حب لك أو لأحد من ذريتك خذي بيده، فأدخله الجنة.

قال أبو جعفر (ع): والله يا جابر إنها ذلك اليوم لتلتقط شيعتها ومحبيها كما يلتقط الطير الحب الجيد من الحب الرديء، فإذا صار شيعتها معها عند باب الجنة، يلقي الله في قلوبهم أن يلتفتوا، فإذا التفتوا يقول الله: يا أحبائي ما التفاتكم وقد شفعت فيكم فاطمة بنت حبيبي؟

فيقولون: يا رب أحببنا أن يعرف قدرنا في مثل هذا اليوم!

فيقول الله: يا أحبائي ارجعوا وانظروا من أحبكم لحب فاطمة، انظروا من أطعمكم لحب فاطمة، انظروا من كساكم لحب فاطمة، انظروا من سقاكم شربة

في حب فاطمة، انظروا من رد عنكم غيبة في حب فاطمة، خذوا بيده وادخلوه الجنة.

قال أبو جعفر عليه السلام: والله لا يبقى في الناس إلا شاك أو كافر أو منافق، فإذا صاروا بين الطبقات نادوا كما قال الله تعالى: ﴿فما لنا من شافعين ولا صديق حميم﴾^(١).. فيقولون: ﴿فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين﴾^(٢).

قال أبو جعفر عليه السلام: هيهات هيهات، منعوا ما طلبوا، ﴿ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون﴾^(٣)،^(٤).

(١) سورة الشعراء: ١٠٠-١٠١.

(٢) سورة الشعراء: ١٠٢.

(٣) سورة الأنعام: ٢٨.

(٤) تفسير فرات الكوفي: ص ٢٩٨-٢٩٩ من سورة الشعراء

ولكل نبأ مستقر

الأخبار المستقبلية ومحل الاستقرار

مسألة: إن الأخبار المستقبلية لابد وأن يكون لها محل استقرار وتقرر وثبوت وظهور، مثلاً: إذا قال: بأن زيدا سوف يقدم، فإن قدومه بعد غد - مثلاً - هو مستقر هذا الخبر والنبأ. وهكذا.

ولا يختص ذلك بالمستقبلية، بل والماضية أيضاً، والحالية كذلك كما لا يخفى.

فكل نبأ صادق له مستقر زماني ومكاني إذا كان المخبر عنه من غير المجردات، وإلا كان له مستقر حقيقي وإن كان دون زمان ومكان وشبههما، ولكل نبأ مستقر في إحدى العوالم الأربعة في عدد منها أو فيها كلها^(١)، أما الخبر الكاذب فليس له مستقر عيني كما لا يخفى، والأمور الاعتبارية لها ظرف تقررها كما فصلناه في (الأصول).

والظاهر أن المنصرف من آية ﴿لكل نبأ مستقر﴾^(٢) هو الأخبار الصادقة، ولو قصد الأعم كان المراد من المستقر الأعم من المستقر العيني وغيره.

(١) المراد: عالم الوجود العيني وعالم الوجود الذهني وعالم الوجود الكتبي وعالم الوجود اللفظي.

(٢) سورة الأنعام: ٦٧.

وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم

من ينقلب على عقبيه

مسألة: يظهر من اقتباسها ﷺ ذلك من الآية الشريفة: ﴿فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم﴾^(١)، الحكم بكفر الذين انقلبوا على أعقابهم، قال تعالى: ﴿أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾^(٢)، وقد سبق أن المراد بالكفر هل هو موضوعي أو حكمي. وفي الآية إشارة إلى الإيلام النفسي والجسدي، فإن الخزي إيلام نفسي، والعذاب إيلام جسدي.

قولها ﷺ: «وسوف...» أي سوف تعلمون عند وقوع مستقر العذاب من يأتيه عذاب يخزيه، فإن العذاب يخزي الإنسان نفساً، ويؤله جسماً. وقد اقتبست (عليها الصلاة والسلام) كلامها هذا من مواضع من القرآن الحكيم، والخطاب في كلها إلى الكفار الذين وقفوا بوجه الأنبياء ﷺ، فالذي وقف بوجه فاطمة ؓ كأنما وقف بوجه رسول الله ﷺ وسائر الأنبياء ﷺ: أحدها: سورة الزمر خطاباً للرسول الأعظم ﷺ: ﴿قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون ﴿ من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم﴾﴾^(٣).

(١) سورة هود: ٣٩.

(٢) سورة آل عمران: ١٤٤.

(٣) سورة الزمر: ٣٩-٤٠.

والآخر: سورة هود في قصة نوح (على نبينا وآله وعليه السلام) حيث قال: ﴿وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال إن تسخروا منا فإننا نسخر منكم كما تسخرون﴾ ❀ فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم^(١).

فالعذاب الذي أخزاهم في الدنيا هو الذلة في الغرق، والعذاب الذي يقيم عليهم في الآخرة هو النار ﴿وبئس المصير﴾^(٢).

والمراد من العلم في (فسوف تعلمون) في المقام هو علم حق اليقين أو عين اليقين في الآخرة عند مشاهدة العذاب، أو المراد تجدون، إذ أن ظالمها (عليها السلام) كانوا عالمين بالجزاء الإلهي وشدة عقابه فلا دلالة في قولها (عليها السلام) على عدم علمهم كما لا يخفى.

وفي سورة هود قال تعالى في قصة شعيب (على نبينا وآله وعليه السلام): ﴿قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا إن ربي بما تعملون محيط﴾ ❀ ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل، سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارقبوا إني معكم رقيب^(٣).

(١) سورة هود: ٣٨-٣٩.

(٢) سورة البقرة: ١٢٦.

(٣) سورة هود: ٩٢-٩٣.

ثم رمت بطرفها نحو الأنصار

حدود النظر

مسألة: الظاهر أنه ليس المراد بـ (ثم رمت بطرفها نحو الأنصار) النظر إليهم، بل المراد النظر إلى جهتهم، فإن النظر وإن كان جائزاً إذا كان بدون ريبة وشهوة إلى مثل الوجه وما أشبه ذلك، من الطرفين على رأي المشهور بين الفقهاء، لكن الظاهر في المقام أن المراد أنها ﷺ رمت بطرفها من وراء الستر نحو جهة الأنصار، أي المكان الذي علمت أن الأنصار كانوا مستقرين فيه، فإنه المستفاد من كونها ﷺ جلست خلف الستر منذ بداية الخطبة.

وعلى هذا فلا يستند إلى هذا الكلام (ثم رمت) في جواز النظر وحدوده، بل الاستناد بالأدلة الأخرى^(١).

التعددية زمن الرسول ﷺ

مسألة: التعددية الإيجابية، والتمييز على إثرها بشعار أو عمل بين فريقين من المؤمنين جائز، وذلك التنافس المطلوب، ولا ينافي الأخوة الإسلامية والأمة الواحدة كما لا يخفى.

ومن مصاديقه ما يفهم من كلامها ﷺ من أن المهاجرين والأنصار كانوا يجلسون متميزين جماعة هنا وجماعة هناك.

(١) للتفصيل راجع موسوعة الفقه: ج ٢٦ ص ١٦٥-٢٦٢ كتاب النكاح أحكام النظر.

وقد ذكرنا في بعض الكتب الفقهية: أن الرسول الأعظم عليه السلام جعل المسلمين على حزبين - وذلك لحفظ التعددية وإيجاد التنافس البناء -:

حزب المهاجرين.

وحزب الأنصار.

وكان لكل حزب تجمعه وخصوصياته، وإن لم يكونوا مختلفين في شتى الأحكام والطقوس الإسلامية العبادية والمعاملية والقضائية والعسكرية وغيرها، بل كانوا أخوة مؤمنين.

وهناك رواية ذكرها (جامع المقاصد) و(المسالك) و(الجواهر) وغيرهم يظهر منها أن المسلمين عرفوا بهذا اللفظ في زمان رسول الله عليه السلام.

وفي كتاب (السبق والرمية)^(١) حيث قال عليه السلام في قصة مذكورة: (أنا مع الحزب الذي فيه ابن الأدرع)^(٢).

لكن الحزب في الإسلام ليس بالمفهوم الغربي الذي هو قائم على أساس البرلمان الذي بيده التشريع، إذ التشريع خاص بالله سبحانه وتعالى، والرسول والأئمة الطاهرون عليهم السلام هم المبلغون لتلك الأحكام وهم عليهم السلام أوعية مشيئة الله عز وجل^(٣).

(١) راجع موسوعة الفقه: ج ٦٠ كتاب سبق والرمية.

(٢) غوالي اللثالي: ج ٣ ص ٢٦٦ باب سبق والرمية ح ٥ وفيه: «وروي أنه عليه السلام مر بقوم من الأنصار يترامون، فقال رسول الله عليه السلام: أنا في الحزب الذي فيه ابن الأدرع، فأمسك الحزب الآخر وقالوا لن يُغلب حزب فيه رسول الله».

(٣) راجع موسوعة الفقه: ج ١٠٦ كتاب السياسة ص ١١٧ وما بعدها.

نعم للفقهاء التطبيق ، وكذلك الاستنباط من الكتاب والسنة والإجماع والعقل ، ولذا ذكرنا في بعض الكتب أن البرلمان هو (للتأطير) لا للتشريع^(١).
إذن فتقسيم الرسول ﷺ المسلمين إلى قسمين : مهاجرين وأنصار كان لإيجاد التنافس الإيجابي في إطار الشرع لا خارجه ، وكان للتسارع والتسابق نحو الخير والفضيلة كما هو أوضح من أن يخفى.

وقد تأسى ﷺ في ذلك بالقرآن الكريم حيث تكررت هذه الألفاظ فيها ، ووردت أكثر من مرة ، وكان ذلك من حكمة رسول الله ﷺ المستقاة من الوحي الإلهي ، لأن التعددية توجب التنافس بينهما ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ فاستبقوا الخيرات ﴾^(٢).

وقال عز وجل : ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين ﴾^(٣).

وحتى أنه سبحانه جعل الجنة في مضمار المنافسة والمسابقة فقال عز من قائل : ﴿ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾^(٤).

بل إن حكمة الرب في الكون قائمة على ذلك ، كما قال تعالى : ﴿ إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ﴾^(٥).

(١) راجع كتاب (هكذا حكم الإسلام) و(الفقه : القانون).

(٢) سورة البقرة : ١٤٨ ، والمائدة : ٤٨ .

(٣) سورة آل عمران : ١٣٣ .

(٤) سورة المطففين : ٢٦ .

(٥) سورة الحجرات : ١٣ .

فالتقسيم والتشقيق والتعددية سنة إلهية ينبغي صلبها في التعاون والتكامل والتنافس الإيجابي حسب المقرر شرعاً.

وفي التاريخ نشاهد مواطن عديدة أن الرسول ﷺ كان (يوازن) بين المجموعتين، وكان يلتجأ تارة إلى هذه في قبال تلك - عندما تعدل عن الحق - وكذلك العكس، كما ورد في قصة تكلمه ﷺ عند احتضاره، فإنه ﷺ عندما رد عليه عمر بقوله الجارح: (إن الرجل ليهجر) ^(١) أخرجه النبي ﷺ مع جماعته

(١): كشف الغمة: ج ١ ص ٤٢٠، الصراط المستقيم: ج ٣ ص ١٠٠، الصوارم المهرقة: ص ٢٢٤، نهج الحق: ص ٢٧٣، بحار الأنوار: ج ٣٠ ص ١٣٠ و ص ٤٦٦ و ص ٥١٣ و ص ٥٢٩ و ٥٣٥ و ٥٥١ و ٥٩٢ و ...

ومن مصادر العامة:

في صحيح البخاري: ج ١ ص ٣٧ ط دار الفكر ١٤٠١ هـ أوفست على طبعة دار الطباعة العامة باستانبول: عن ابن عباس قال: (لما اشتد بالنبي ﷺ وجعه قال: ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده، قال عمر: إن النبي ﷺ غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا، فاختلفوا وكثر اللغط، قال ﷺ: قوموا عني، ولا ينبغي عندي التنازع، فخرج ابن عباس يقول: ان الرزئة كل الرزئة ما حال بين رسول الله ﷺ وبين كتابه).

وفي صحيح البخاري ج ٤ ص ٣١ ط دار الفكر ١٤٠١ هـ: (عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال: يوم الخميس وما يوم الخميس، ثم بكى حتى خضب دمه الحصباء، فقال: اشتد برسول الله ﷺ وجعه يوم الخميس فقال ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا: هجر رسول الله ﷺ قال: دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه...).

وفي صحيح البخاري: ج ٥ ص ١٣٧-١٣٨ ط دار الفكر بيروت عام ١٤٠١ هـ أوفست على طبعة دار الطباعة العامة باستانبول: عن ابن عباس قال: (لما حضر رسول الله ﷺ - أي الوفاة - وفي البيت رجال فقال النبي ﷺ: هلموا أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده، فقال بعضهم إن رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول: قربوا

→ يكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده، ومنهم من يقول غير ذلك، فلما أكثروا اللغو والاختلاف قال رسول الله ﷺ: قوموا عني، قال عبيد الله: فكان يقول ابن عباس: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولغظهم).

وفي صحيح البخاري: ج ٨ ص ١٦١ ط دار الفكر أوفست على دار الطباعة العامة باستانبول: (عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال: لما حضر النبي ﷺ - أي الوفاة - قال: وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، قال: هلم أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده، قال عمر: إن النبي ﷺ غلبه الوجع وعندكم القرآن، فحسبنا كتاب الله، واختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم رسول الله ﷺ كتاباً لن تضلوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبي ﷺ قال: قوموا عني، قال عبيد الله: فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغظهم).

وفي صحيح مسلم: ج ٥ ص ٧٦ ط دار الفكر بيروت عن ابن عباس إنه قال: (يوم الخميس وما يوم الخميس، ثم جعل تسيل دموعه حتى رأيت على خديه كأنها نظام اللؤلؤ، قال: قال رسول الله ﷺ: اثوني بالكتف والدواة (أو اللوح والدواة) اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، فقالوا إن رسول الله ﷺ يهجر).

وفي صحيح مسلم بشرح النووي: ج ١١ ص ٩٠ ط دار الكتاب العربي بيروت عام ١٤٠٧: (وفي رواية: فقال عمر: إن رسول الله ﷺ قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله).

وفي مسند أحمد: ج ١ ص ٣٢٤-٣٢٥ ط دار صادر بيروت: عن ابن عباس قال: (لما حضرت رسول الله ﷺ الوفاة قال: هلم أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده، وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب فقال عمر: إن رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله، قال: فاختلف أهل البيت فاختصموا فمنهم من يقول يكتب لكم رسول الله ﷺ أو قال قربوا يكتب لكم رسول الله ﷺ، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغو والاختلاف وغم رسول الله ﷺ قال: قوموا عني، فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغظهم).

وفي مسند أحمد: ج ١ ص ٣٥٥ ط دار صادر بيروت: (عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: يوم الخميس وما يوم الخميس، ثم نظرت إلى دموعه على خديه تنحدر كأنها نظام اللؤلؤ، قال: قال رسول

→ الله ﷺ: ائتوني باللوح والدواة أو الكتف أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً، فقالوا: رسول الله ﷺ يهجر).

وفي فتح الباري شرح صحيح البخاري: ج ٨ ص ١٠١ ط دار المعرفة بيروت: (فقال بعضهم إنه قد غلبه الوجد... ما شأنه يهجر... إن نبي الله ﷺ ليهجر...).

وفي السنن الكبرى للنسائي: ج ٣ ص ٤٣٥ ح ٥٨٥٧ ط: دار الكتب العلمية بيروت عام ١٤١١ هـ: عن ابن عباس قال: (يوم الخميس وما يوم الخميس، قال رسول الله ﷺ ائتوني باللوح والدواة والكتف لأكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً، قالوا: رسول الله ﷺ يهجر).

وفي المصدر نفسه الحديث ٥٨٥٦ عن جابر: (إن رسول الله ﷺ دعا بصحيفة في مرضه ليكتب فيها كتاباً لأمته لا يضلون بعده ولا يضلون وكان في البيت لفظ وتكلم عمر فتركه).

وفي المصدر نفسه ج ٤ ص ٣٦٠ ح ٧٥١٦: (عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال: لما حضر رسول الله ﷺ وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، فقال رسول الله ﷺ: هلم أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، فقال عمر: إن رسول الله ﷺ قد غلبه عليه الوجد وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله، فاجتمعوا في البيت فقال قوم: يكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، وقال قوم ما قال عمر، فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند رسول الله ﷺ قال لهم: قوموا عني، قال عبيد الله: وكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما فات من الكتاب الذي أراد رسول الله ﷺ أن يكتب لا تضلوا بعده أبداً لما كثر لغطهم واختلافهم).

وفي المعجم الكبير: ج ١١ ص ٣٥٢ ط مكتبة ابن تيمية القاهرة: عن ابن عباس: (لما كان يوم الخميس وما يوم الخميس ثم بكى، فقال: قال رسول الله ﷺ ائتوني بصحيفة ودواة أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً، فقالوا: يهجر رسول الله ﷺ ثم سكتوا وسكت...).

وفي البداية والنهاية لابن كثير: ج ٥ ص ٢٤٧-٢٤٨ ط: دار إحياء التراث العربي بيروت عام ١٤٠٨: عن ابن عباس قال: (لما حضر رسول الله ﷺ وفي البيت رجال فقال النبي ﷺ: هلموا أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً، فقال بعضهم: إن رسول الله ﷺ قد غلبه الوجد، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله).

وفي الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٢٤٣ ط دار صادر بيروت: عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: (كان يقول: يوم الخميس وما يوم الخميس، قال: وكأني أنظر إلى دموع ابن عباس على خده كأنها نظام لؤلؤ، قال: قال رسول الله ﷺ: ائتوني بالكتف والدواة أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً،

من غرفته وأمر أن يأتوا بالأنصار فذكر لهم ما أراد أن يذكر للمهاجرين وإن لم يكتبه^(١).

→ قال: فقالوا إنما يهجر رسول الله ﷺ.

وفي ص ٢٤٣-٢٤٤: عن عمر بن الخطاب قال: (كنا عند النبي ﷺ وبيننا وبين النساء حجاب، فقال رسول الله ﷺ: اغسلوني بسبع قرب واثنوني بصحيفة ودواة أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا، فقال النسوة: ائتوا رسول الله ﷺ بحاجته، قال عمر: فقلت: اسكتن فإنكن صواحبه إذا مرض عصرتن أعينكن وإذا صح أخذتن بعنقه، فقال رسول الله ﷺ من خير منكم).
وفي ص ٢٤٤ عن جابر قال: (دعا النبي ﷺ عند موته بصحيفة ليكتب فيها كتابا لأمته لا يضلوا ولا يغلطوا، فلفطوا عنده حتى رفضها النبي ﷺ).

وفي ص ٢٤٤: عن الزهري بسنده عن ابن عباس قال: (لما حضرت رسول الله ﷺ الوفاة وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، فقال رسول الله ﷺ: هلم أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده فقال عمر: إن رسول الله قد غلبه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم رسول الله ﷺ ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما كثر اللغط والاختلاف وغموا رسول الله ﷺ فقال: قوموا عني، فقال عبيد الله: فكان ابن عباس يقول: الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغظهم).

وفي تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٤٣٦ ط مؤسسة الأعلمي بيروت: عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: (يوم الخميس وما يوم الخميس، قال: اشتد برسول الله ﷺ وجعه فقال: ائتوني اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعدي أبدا، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي أن يتنازع، فقالوا: ما شأنه أهجر، استفهموه، فذهبوا يعيدون عليه، فقال: دعوني فما أنا فيه خير مما تدعونني إليه).

وفي المصدر نفسه: عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: (يوم الخميس وما يوم الخميس، قال: ثم نظرت إلى دموعي تسيل على خدي كأنها نظام اللؤلؤ، قال: قال رسول الله ﷺ ائتوني باللوح والدواة أو الكتف والدواة أكتب لكم كتابا لا تضلون بعده، قال: فقالوا: إن رسول الله يهجر).

(١) فأكد عليهم ولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام وشرح لهم بعض ما يجري على أهل بيته ﷺ وهذا ما استفاد من بعض الروايات، فإنه ورد في وصية النبي ﷺ عند قرب وفاته: «معاشر الأنصار، ألا فاسمعوا

وقد يسأل سائل: لماذا لم يخرج النبي ﷺ القائل وجماعته فقط ويتكلم مع بقية المهاجرين ويوصي لهم بما أراد ويكتبها؟

الجواب: لأنهم كانوا سيكررون دعوى الرجل (إنه ليهجر) خوفاً أو طمعاً أو عصبية، وكان ذلك مما يجعلهم أن يعمموا دعواهم في سائر أوامره ونواهيه ﷺ ويسعوا في إسقاطها عن الحجية. إضافة إلى ما يتضمنه ذلك من التأديب ومن تكريس واقع التعددية الهادفة التي تستقي قيمتها من محاولة الوصول للحق لا لوأده، حيث أخرجهم الرسول ﷺ وطلب الأنصار.

(ثم رمت بطرفها نحو الأنصار)، الطرف: مصدر طرفت عين فلان إذا نظرت، وهو أن ينظر ثم يغمض، كما يطلق الطرف أيضاً على العين نفسها، فإنها (عليها الصلاة والسلام) كانت توجه خطابها - عموماً - لمن غصب حقها مباشرة، ومن الطبيعي أن يكون المهاجرون أيضاً مورد هذا الخطاب حيث آزره على اغتصاب الخلافة وفدك.

→ ومن حضر، ألا إن فاطمة بابها بابي وبيتها بيتي، فمن هتكه فقد هتك حجاب الله» قال عيسى - راوي الحديث -: فبكى أبو الحسن (عليه السلام) طويلاً وقطع بقية كلامه وقال: هُتِكَ والله حجاب الله، هُتِكَ والله حجاب الله، هُتِكَ والله حجاب الله يا أمه صلوات الله عليها». راجع بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ٤٧٧ ب ١ ضمن ح ٢٧.

فقلت: يا معشر الفتية^(١)

توجيه الخطاب لفئة خاصة

مسألة: ينبغي - في الجملة - توجيه الخطاب لخصوص جمع ، رغم توجيهه من قبل لمن يعمهم ، فإنه أحرى بالتأثير وأوقع في القلب ومن مصاديق ﴿فذكر﴾^(٢) و(الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).

ولذلك ولغيره ، وجهت ﷺ الخطاب للأنصار بعد أن شملتهم بخطابها السابق : (أيها المسلمون) وغيره ، فقلت : (يا معشر الفتية).

المعشر : عبارة عن الجماعة.

والفتية : جمع فتى وهو الشاب ، وقد يطلق على الإنسان الكريم .
فقد أرادت (صلوات الله عليها) استثارة حمية الأنصار وغيرتهم في مقابل المهاجرين لعلهم يقولون شيئاً من الحق ، ويتخذون موقفاً ضد الباطل ، لكن الخوف والرعب كان قد استولى عليهم نتيجة الإرهاب الشديد الذي ساد بعد استشهاد الرسول الأعظم ﷺ والذي كان التخطيط له قد جرى من قبل الخليفة وجماعته قبل وفاة الرسول ﷺ حيث تواطؤوا على ذلك..

(١) وفي بعض النسخ : (يا معشر النقية) ، وفي بعضها : (يا معشر البقية).

(٢) قال تعالى في سورة الغاشية الآية ٢١ : ﴿فذكر إنما أنت مذكر﴾ ، وقال سبحانه في سورة ق الآية ٤٥ :

﴿فذكر بالقرآن من يخاف وعيد﴾ وقال عز وجل في سورة الطور الآية ٢٩ : ﴿فذكر فما أنت بنعمت

ربك بكاهن ولا مجنون﴾ وقال تعالى في سورة الأعلى الآية ٩ : ﴿فذكر إن نفعت الذكرى﴾.

وقد روي عن رسول الله ﷺ قوله: «إن أهل بيتي سيلقون بعدي من أمتي قتلاً وتشريداً وإن أشد أقوام لنا بغضاً بنو أمية وبنو المغيرة وبنو مخزوم»^(١).

ولهذا ابتدؤوا بعقد الرايات لعكرمة بن أبي جهل وعمومته الحارث بن هشام وغيرهم من بني مخزوم على بلاد اليمن..
وسموا خالد بن الوليد المخزومي الفاسق الذي قال فيه النبي ﷺ: «اللهم إني أبرأ إليك مما فعله خالد»^(٢) سيف الله، وسلطوه على مشتهياته من فروج المسلمين ودمائهم وأموالهم^(٣)..

(١) الصوارم المهرقة: ص ٢٩٠.

(٢) راجع إعلام الوري: ص ١١٣، ونهج الحق: ٣٢٣.

(٣) في بحار الأنوار: ج ٣٠ ص ٣٥٠: (ولما امتنع طائفة من الناس في دفع الزكاة إليه - أي إلى أبي بكر - وقالوا إن رسول الله ﷺ لم يأمرنا بدفع ذلك إليك، سمّاهم أهل الردّة، وبعث إليهم خالد بن الوليد في جيش، فقتل مقاتلهم، وسبى ذراريهم، واستباح أموالهم، وجعل ذلك فينا للمسلمين، وقتل خالد بن الوليد رئيس القوم مالك بن نويرة، وأخذ امرأته فوطأها من ليلته تلك، واستحلّ الباؤون فروج نسائهم من غير استبراء. وقد روى أهل الحديث جميعاً بغير خلاف عن القوم الذين كانوا مع خالد أنهم قالوا أذن مؤذننا وأذن مؤذنهم، وصلينا وصلّوا، وتشهدنا وتشهدوا، فأبى ردّة هاهنا، مع ما روه أن عمر قال لأبي بكر: كيف نقاتل قوما يشهدون أن لا إله إلا الله وأنّ محمّداً رسول الله ﷺ، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأبى رسول الله ﷺ، فإذا قالوها حقنوا دماءهم وأموالهم. فقال: لو منعوني عقلاً بما كانوا يدفعونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم أو قال لجاهدتهم، وكان هذا فعلاً فظيعاً في الإسلام وظلماً عظيماً، فكفى بذلك خزيًا وكفراً وجهلاً، وإنّما أخذ عليه عمر بسبب قتل مالك بن نويرة، لأنّه كان بين عمر وبين مالك خلّة أوجبّت المعصية له من عمر. ثم روى جميعاً أنّ عمر لما ولي جمع من بقي من عشيرة مالك واسترجع ما وجد عند المسلمين من أموالهم وأولادهم ونسائهم، وردّ ذلك جميعاً عليهم. فإن كان فعل أبي بكر بهنّ خطأ فقد أظعم

→ المسلمين الحرام من أموالهم وملكهم العبيد الأحرار من أبنائهم، وأوطأهم فروجا حراما من نسائهم، وإن كان ما فعله حقاً فقد أخذ عمر نساء قوم ملكوهن بحق فانتزعهن من أيديهم غصبا وظلما وردهن إلى قوم لا يستحقونهن بوطئهن حراما من غير مباينة وقعت ولا أثمان دفعت إلى من كنّ عنده في تملكه، فعلى كلا الحالين قد أخطأ جميعا أو أحدهما، لأنهما أباحا للمسلمين فروجا حراما، وأطعماهم طعاما حراما من أموال المقتولين على دفع الزكاة إليه، وليس له ذلك على ما تقدم ذكره). انتهى.

وفي الفضائل: ص ٧٥-٧٦: قال البراء بن عازب: بينا رسول الله ﷺ جالس في أصحابه إذ أتاه وفد من بني تميم مالك بن نويرة فقال: يا رسول الله ﷺ علمني الإيمان، فقال رسول الله ﷺ: تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأني رسول الله وتصلي الخمس وتصوم رمضان وتؤدي الزكاة وتحج البيت وتوالي وصيي هذا من بعدي وأشار إلى علي عليه السلام بيده، ولا تسفك دما ولا تسرق ولا تخون ولا تأكل مال اليتيم ولا تشرب الخمر وتوفي بشرائعي وتحلل حلالتي وتحرم حرامي وتعطي الحق من نفسك للضعيف والقوي والكبير والصغير، حتى عد عليه شرائع الإسلام.

فقال: يا رسول الله ﷺ أعد علي فإني رجل نساء، فأعاد عليه فعقدها بيده وقام وهو يجر إزاره وهو يقول: تعلمت الإيمان ورب الكعبة، فلما بعد من رسول الله ﷺ قال: من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا الرجل، فقال أبو بكر وعمر: إلى من تشير يا رسول الله، فأطرق إلى الأرض، فجدا في السير فلحقاه فقالا: لك البشارة من الله ورسوله بالجنة.

فقال: أحسن الله تعالى بشارتكما إن كنتما ممن يشهد بما شهدت به فقد علمتما ما علمني النبي محمد، وإن لم تكونا كذلك فلا أحسن الله بشارتكما.

فقال أبو بكر: لا تقل فأنا أبو عائشة زوجة النبي ﷺ.

قال: قلت ذلك فما حاجتكما.

قالا: إنك من أصحاب الجنة فاستغفر لنا.

فقال: لا غفر الله لكما تتركان رسول الله صاحب الشفاعة وتسألاني أستغفر لكما.

فرجعا والكأبة لائحة في وجهيهما، فلما رآهما رسول الله ﷺ تبسم وقال: أفي الحق مغضبة.

فلما توفي رسول الله ﷺ ورجع بنو تميم إلى المدينة ومعهم مالك بن نويرة فخرج لينظر من قام مقام رسول الله ﷺ فدخل يوم الجمعة وأبو بكر على المنبر يخطب بالناس فنظر إليه وقال: أخوتيم!

→ قالوا: نعم. قال: فما فعل وصي رسول الله ﷺ الذي أمرني بمولاته؟

قالوا: يا أعرابي الأمر يحدث بعده الأمر.

قال: بالله ما حدث شيء وإنكم قد ختمتم الله ورسوله، ثم تقدم إلى أبي بكر وقال: من أرقاك هذا المنبر ووصي رسول الله ﷺ جالس.

فقال أبو بكر: أخرجوا الأعرابي البوال على عقبه من مسجد رسول الله ﷺ.

فقام إليه قنفذ بن عمير وخالد بن الوليد فلم يزالا يلكان عنقه حتى أخرجاه فركب راحلته وأنشأ يقول

أطعنا رسول الله ما كان بيننا فيا قوم ما شأني وشأن أبي بكر

إذا مات بكر قام عمرو مقامه فتلك وبيت الله قاصمة الظهر

يدب ويغشاه العشار كأنما يجاهد جما أو يقوم على قبر

فلو قام فينا من قريش عصابة أقمنا ولكن القيام على جمر

قال: فلما استتم الأمر لأبي بكر وجه خالد بن الوليد وقال له: قد علمت ما قاله مالك على رؤوس الأشهاد ولست آمن أن يفتق علينا فتقا لا يلتئم فاقتله.

فحين أتاه خالد ركب جواده وكان فارسا يعد بألف فخاف خالد منه فأمنه وأعطاه الموائيق ثم غدر به بعد أن ألقى سلاحه فقتله وأعرس بامرأته في ليلته وجعل رأسه في قدر فيها لحم جزور لوليمة عرسه وبات ينزو عليها نزو الحمار والحديث طويل. انتهى ما في (الفضائل).

وفي (شرح نهج البلاغة) لابن أبي الحديد: ج ١ ص ١٧٩ طرف من أخبار عمر بن الخطاب: (لما قتل خالد مالك بن نورة ونكح امرأته كان في عسكره أبو قتادة الأنصاري فركب فرسه والتحق بأبي بكر وحلف ألا يسير في جيش تحت لواء خالد أبدا، فقص على أبي بكر القصة، فقال أبو بكر: لقد فتن الغنائم العرب وترك خالد ما أمر به، فقال عمر: إن عليك أن تقيده بمالك، فسكت أبو بكر، وقدم خالد فدخل المسجد وعليه ثياب قد صدئت من الحديد وفي عمامته ثلاثة أسهم، فلما رآه عمر قال: أرباء يا عدو الله، عدوت على رجل من المسلمين فقتلته ونكحت امرأته، أما والله إن أمكنتني الله منك لأرجمنك، ثم تناول الأسهم من عمامته فكسرها، وخالد ساكت لا يرد عليه ظنا أن ذلك عن أمر أبي بكر ورأيه، فلما دخل إلى أبي بكر وحده صدقه فيما حكاه وقبل عذره، فكان عمر يحرض أبا بكر على خالد ويشير عليه أن يقتص منه بدم مالك، فقال أبو بكر: إيها يا عمر ما هو بأول من أخطأ فارفع لسانك عنه ثم ودى مالكا من بيت مال المسلمين. انتهى.

وسموا أبا عبيدة الجراح^(١) المجروح أمين الأمة وجعلوه مشيراً لهم.. وأرضوا أبا سفيان بتفويض إمارة الشام ولده يزيد^(٢)، ووجهوا أسامة مع من كان في جيشه من الذين خافوا فنتتهم، مظهرين له إبقاءه على إمارته ليست عن مخالفتهم حتى إذا انتهى إلى نواحي الشام عزلوه واستعملوا مكانه يزيد بن أبي سفيان، فما كان بين خروج أسامة ورجوعه إلى المدينة إلا نحواً من أربعين يوماً، فلما قدم المدينة قام على باب المسجد ثم صاح: يا معشر المسلمين عجباً لرجل استعملني عليه رسول الله ﷺ فتآمر علي وعزلني^(٣).

(١) عن الحارث بن الحصيرة الأسدي عن أبي جعفر ﷺ قال: (كنت دخلت مع أبي الكعبة فضلى على الرخامة الحمراء بين العمودين فقال: في هذا الموضع تعاقد القوم إن مات رسول الله ﷺ أو قتل ألا يردوا هذا الأمر في أحد من أهل بيته أبداً، قال: قلت: ومن كان؟ قال: كان الأول والثاني وأبو عبيدة بن الجراح وسالم بن الحبيبة). الكافي: ج ٤ ص ٥٤٥ ح ٢٨.

وعن أبي بصير عن أبي عبد الله ﷺ في قول الله عز وجل: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يَنْبُئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ قال: (نزلت هذه الآية في فلان وفلان وأبي عبيدة الجراح وعبد الرحمن بن عوف وسالم مولى أبي حذيفة والمغيرة بن شعبة حيث كتبوا الكتاب بينهم وتعاهدوا وتوافقوا لئن مضى محمد لا تكون الخلافة في بني هاشم ولا النبوة أبداً، فأنزل الله عز وجل فيهم هذه الآية، قال: قلت: قوله عز وجل ﴿أَمْ أَمْرُكُمْ أَمْ أَنْتَ مُبْرِمٌ﴾ أم يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ قال: وهاتان الآيتان نزلتا فيهم ذلك اليوم). الكافي: ج ٨ ص ١٧٩ ح ٢٠٢.

(٢) ولى أبوبكر يزيد بن أبي سفيان إمارة الشام وتوفي وهو خليفته على ذلك، فأقره عمر إلى أن مات فولى أخاه معاوية. انظر بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٢٠١. وإعلام الوري: ص ١٣٨. والإفصاح: ص ١٠٤.

(٣) الصوارم المهرقة: ص ٢٩٠.

فغصب الخلافة كان تواطؤ بين الذين تصدّوا للغصب وبين آخرين كبعض بني تميم وبني عدي وطوائف من قريش والسرّ في أن بني مخزوم وبني أمية وغيرهم من صناديد قريش لم يتصدوا لغصبها بأنفسهم وإنما حملوا ابن أبي قحافة على ذلك، لعدم سابقيتهم في الإسلام وسرعة توجه التهمة إليهم بمعاودة أمير المؤمنين علي (ع) وأهل بيته، بل بمعاودة الأنصار أيضاً، فحملوا ابن أبي قحافة على أكتاف الناس رغماً لعلي (ع) ولهم^(١).

وقد ورد في الحديث عن الإمام العسكري (ع) حيث سأله أحد أصحابه أن أحد المخالفين طرح عليه هذه الشبهة أن فلاناً وفلاناً هل أسلما طوعاً أو كرهاً، فقال (ع): «لِمَ لم تقل له: بل أسلما طمعاً، وذلك بأنهما كانا يجالسان اليهود ويستخبرانهم عما كانوا يجدون في التوراة وفي سائر الكتب المتقدمة الناطقة بالملاحم من حال إلى حال، من قصة محمد (ص) ومن عواقب أمره، فكانت اليهود تذكر أن محمداً يسلط على العرب كما كان بخت نصر يسلط على بني إسرائيل، ولا بد له من الظفر بالعرب كما ظفر بخت نصر ببني إسرائيل».

ثم قال (ع): «فأتيا محمداً فساعداه على شهادة أن لا إله إلا الله وبإيعاه طمعاً في أن ينال كل واحد منهما من جهته ولاية بلد إذا استقامت أموره واستتبت أحواله، فلما آيسا من ذلك تلثما وصعدا العقبة مع عدة من أمثالهما من المنافقين على أن يقتلوه (ص) فدفع الله تعالى كيدهم وردهم بغيظهم لم ينالوا خيراً، كما أتى طلحة والزبير علياً (ع) فبايعاه وطمع كل واحد منهما أن ينال من جهته ولاية

بلد، فلما آيسا نكثا بيعته وخرجا عليه» الحديث^(١).

العقل والعاطفة

مسألة: من أساليب الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: شفع الدليل العقلي بالإثارة العاطفية، وتحريك العواطف نحو الالتزام بالحق أو الدفاع عن المظلوم، وقد ثبت ذلك في (علم النفس) أيضاً، وربما كان من ذلك قوله تعالى: ﴿وإنك لعلئ خلق عظيم﴾^(٢)، وقوله سبحانه: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين﴾^(٣).

وهذا^(٤) هو ما صنعه فاطمة الزهراء عليها السلام حيث استثارت همم الأنصار بقولها: «يا معشر النقية أو الفتية» تحريكاً للفتوة فيهم، وبقولها: «وأعضاء الملة...» تذكيراً لهم بماضيهم المشرق.

لا يقال: كيف خاف أولئك الذين آووا ونصروا كما في القرآن الحكيم^(٥) وبذلوا النفس والنفيس في سبيل الرسول ﷺ والإسلام؟

(١) كمال الدين: ج ٢ ص ٤٦٣ ب ٤٣ ضمن ح ٢١.

(٢) سورة القلم: ٤.

(٣) سورة آل عمران: ١٥٩.

(٤) أي الشفع بين الدليل العقلي والعاطفي.

(٥) قال تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض﴾ سورة الأنفال: ٧٢.

لأنه يقال: من الواضح أن الناس يرهبون حكومات الانقلاب دائماً، فإن الحكومة العسكرية عادة تنسف الناس مالأً وعرضاً ودماً، وفي حياة الرسول ﷺ كان هو قطب الرحى وعمود الخيمة الذي يستندون إليه وإلى حكومته، وكانت به استقامتهم وصبرهم وصمودهم، فلما توفي ﷺ وتحولت الحكومة إلى حكومة عسكرية إرهابية وتعرضوا لامتحان عسير، سقطوا في الامتحان وتراجعوا حتى عن الدفاع بالكلام إلا القليل منهم.

وكان ذلك كما أخبر جل وعلا: ﴿أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾^(١).

وكما جرى على مر التاريخ بالنسبة إلى الكثير من الأقوام، حيث قال تعالى: ﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾^(٢)،

و...

وبالنسبة إلى الكثير من الأفراد حتى من امتلك الاسم الأعظم كما في قصة بلعم بن باعوراء^(٣) حيث قال سبحانه: ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين﴾^(٤).

وتلك هي سنة الله في الحياة: ﴿ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾ ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين

(١) سورة آل عمران: ١٤٤.

(٢) سورة الصف: ٥.

(٣) راجع قصص الأنبياء للجزائري: ص ٣١١ الفصل العاشر في قصة بلعم بن باعوراء...

(٤) سورة الأعراف: ١٧٥.

صدقوا وليعلمن الكاذبين»^(١).

هذا مضافاً إلى أن العديد ممن كانوا يدعون الإسلام كانوا يبغضون أمير المؤمنين علياً ﷺ لأجل هلاك آبائهم وإخوانهم وأولادهم بيده ﷺ في غزوات النبي ﷺ حتى روي أنه لم يكن بيت من قريش إلا ولهم عليه دعوى دم اراقه في سبيل الله^(٢)، فإن المشركين عندما كانوا يهاجمون رسول الله ﷺ حتى يقتلوه كان أمير المؤمنين علي ﷺ هو الذي يدافع عن الرسول ﷺ ويقتل المشركين. وكان العديد منهم يحسدون أمير المؤمنين علياً ﷺ على ما آتاه الله من فضله، خصوصاً بنو أمية وبنو المغيرة وبنو مخزوم ومن أشبهه. قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(٣).

وفي الحديث الشريف: «يعني بالناس ههنا أمير المؤمنين والأئمة»^(٤).

(١) سورة العنكبوت: ١-٣.

(٢) راجع الصوارم المهرقة: ص ٢٨٩.

(٣) سورة النساء: ٥٤.

(٤) تفسير القمي: ج ١ ص ١٤٠ سيورة النساء.

بين طائفتين

مسألتان: استعداد طائفة من المؤمنين على طائفة أخرى محرم، قال تعالى: ﴿فَمَنْ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(١). وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(٢). وقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾^(٤).

والاستنصار بطائفة على طائفة أخرى دفاعاً عن الحق والمظلوم واجب، قال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(٥). ولذلك

استنصرت فاطمة الزهراء (ع) الأنصار على المهاجرين كما هو أبين من الشمس.

بل قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيْعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾^(٦).

(١) سورة البقرة: ١٧٨، وسورة المائدة: ٩٤.

(٢) سورة البقرة: ١٩٠، وسورة المائدة: ٨٧.

(٣) سورة المائدة: ٩١.

(٤) سورة المؤمنون: ٧، وسورة المعارج: ٣١.

(٥) سورة الحجرات: ٩.

(٦) سورة الحج: ٤٠.

وأعضاء الملة^(١) وأنصار الإسلام^(٢)

المشتق بلحاظ حال التلبس

مسألة: المشتق حقيقة فيما انقضى عنه المبدأ بلحاظ حال التلبس ،
فإطلاقها ﷺ (أعضاء الملة) عليهم حقيقة بهذا اللحاظ ، ومجاز لو أريد الحال
الحاضر - أي حال الخطاب ..

أو يقال^(٣) : إن هذا الإطلاق وأشباهه مبني على الحال الغالب وليس على
المفردات كلها ، وهم كانوا كذلك في طابعهم العام وإن لم ينصروها ﷺ في فذك.
أو يقال : إن هذه كانت صفتهم إلى الخطاب ، أما بعده فسقطوا عنها
لتخليهم عنها ﷺ في فذك ، وعن الإمام علي أمير المؤمنين ﷺ في الخلافة وسائر ما
يتعلق بها.

والذي يدل على ذلك قولها ﷺ فيما سيأتي : «فأني حزتم بعد البيان ،
وأسررتم بعد الإعلان ، ونكصتم بعد الإقدام ، وأشركتم بعد الإيمان» .
وقد ورد عن رسول الله ﷺ : «من أصبح لا يهتم بأمر المسلمين فليس من
المسلمين ، ومن شهد رجلاً ينادي يا للمسلمين فلم يجب فليس من
المسلمين»^(٤).

(١) وفي بعض النسخ : وأعوان الملة.

(٢) وفي بعض النسخ : وحضنة الإسلام.

(٣) لا يخفى أن مآل هذا القول ولاحقه إلى أن الإطلاق حقيقي.

(٤) الجعفریات : ص ٨٨ باب وجوب الاهتمام بأمر المسلمين وإعانتهم.

قولها (عليها السلام): «وأعضاء الملة»، الأعضاء: جمع عضد، وهو عبارة عن: الأعوان، ولذا يقال: عضده بمعنى: نصره إي صار عضداً له. و«الملة»: الأمة التي على طريقة واحدة.

قولها (عليها السلام): «وأنصار الإسلام» فإنهم كانوا ينصرون الإسلام في صلاته وصيامه وحجه وجهاده وزكاته وسائر شؤونه، فيقال: أنصار الإسلام باعتبار المبدأ والدين، كما يقال: أنصار المسلمين أو أنصار زيد وعمرو باعتبار الفرد أو الأفراد.

وفي الحديث: إن جابراً كان يتوكأ على عصاه وهو يدور في سكك الأنصار ومجالسهم ويقول: عليّ خير البشر فمن أبى فقد كفر، يا معشر الأنصار أدبوا أولادكم على حب علي (عليه السلام) فمن أبى فانظروا في شأن أمه^(١).

وعن ابن عباس قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم وهو آخذ بيد علي ابن أبي طالب وهو يقول: «يا معشر الأنصار، يا معشر بني هاشم، يا معشر بني عبد المطلب، أنا محمد رسول الله، ألا إني خلقت من طينة مرحومة في أربعة من أهل بيتي: أنا وعلي وحمزة وجعفر» الحديث^(٢).

وفي بعض النسخ (وحضنة الإسلام) فإنهم احتضنوا نواة الإسلام في المدينة قبل مجيء الرسول ﷺ وبعده، ولكن في قصة الامتحان في الخلافة تغيرت المعادلة.

(١) الأملاني للشيخ الصدوق: ص ٧٦-٧٧ المجلس ١٨ ضمن ح ٦.

(٢) الأملاني للشيخ الصدوق: ص ٢٠٦-٢٠٧ المجلس ٣٧ ضمن ح ٧.

وفي كتاب كتبه أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى معاوية: «... إن رسول الله ﷺ قبضه الله إليه ونحن أهل بيته أحق الناس به، فقلنا: لا يعدل الناس عنا ولا يبخسونا حقنا، فما راعنا إلا والأنصار قد صارت إلى سقيفة بني ساعدة يطلبون هذا الأمر، فصار أبو بكر إليهم وعمر فيمن تبعهما، فاحتج أبو بكر عليهم بأن قريشاً أولى بمقام رسول الله ﷺ منهم، لأن رسول الله ﷺ من قريش وتوصل بذلك إلى الأمر دون الأنصار، فإن كانت الحجة لأبي بكر بقريش، فنحن أحق الناس برسول الله ﷺ ممن تقدمنا، لأننا أقرب من قريش كلها إليه وأخصهم به»^(١).

نصرة الإسلام

مسألة: عضد الملة ونصرة الإسلام من الواجبات، ومن الواضح أن الإسلام الذي ارتضاه الله للناس هو مشروط بولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) حيث كمل الدين وأتمت النعمة بولايته (عليه السلام) وعند ذلك رضي الله الإسلام ديناً لنا، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٢)

عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني عن أبي جعفر الثاني عن أبيه عن جده (عليه السلام) قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق الإسلام فجعل له عرصة وجعل له نوراً وجعل له حصناً وجعل له ناصراً، فأما عرسته

(١) الفصول المختارة: ص ٢٨٧.

(٢) سورة المائدة: ٣.

فالقرآن، وأما نوره فالحكمة، وأما حصنه فالمعروف، وأما أنصاره فأنا وأهل بيتي وشيعتنا، فأحبوا أهل بيتي وشيعتهم وأنصارهم، فإنه لما أسري بي إلى السماء الدنيا فنسبني جبرئيل عليه السلام لأهل السماء استودع الله حبي وحب أهل بيتي وشيعتهم في قلوب الملائكة فهو عندهم وديعة إلى يوم القيامة، ثم هبط بي إلى أهل الأرض فنسبني إلى أهل الأرض فاستودع الله عز وجل حبي وحب أهل بيتي وشيعتهم في قلوب مؤمني أمتي، فمؤمنو أمتي يحفظون وديعتي في أهل بيتي إلى يوم القيامة، ألا فلو أن الرجل من أمتي عبد الله عز وجل عمره أيام الدنيا ثم لقي الله عز وجل مبغضاً لأهل بيتي وشيعتي ما فرج الله صدره إلا عن النفاق»^(١).

وعن مجاهد عن ابن عباس قال: لما زوج رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام فاطمة عليها السلام تحدثن نساء قريش وغيرهن وعيرنها وقلن: زوجك رسول الله صلى الله عليه وآله من عائل لا مال له.

فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا فاطمة أما ترضين أن الله تبارك وتعالى اطلع اطلاعة إلى الأرض فاختر منها رجلين: أحدهما أبوك والآخر بعلك، يا فاطمة كنت أنا وعليّ نورين بين يدي الله عز وجل مطيعين من قبل أن يخلق الله آدم بأربعة عشر ألف عام، فلما خلق آدم قسم ذلك النور جزءين جزءاً أنا وجزءاً عليّ».

ثم إن قريشاً تكلمت في ذلك وفشا الخبر فبلغ النبي صلى الله عليه وآله فأمر بلالا فجمع الناس وخرج إلى مسجده ورقى منبره يحدث الناس بما خصه الله تعالى من

(١) الكافي: ج ٢ ص ٤٦ باب نسبة الإسلام ح ٣.

الكرامة وبما خص به علياً وفاطمة عليهما السلام فقال : «يا معشر الناس إنه بلغني مقالتم وإني محدثكم حديثاً فعوه واحفظوه مني واسمعوه فإنني مخبركم بما خص به أهل البيت وبما خص به علياً عليه السلام من الفضل والكرامة وفضله عليكم ، فلا تخالفوه فتقلبوا على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين ، معاشر الناس إن الله قد اختارني من خلقه فبعثني إليكم رسولاً واختار لي علياً خليفة ووصياً ، معاشر الناس إنني لما أسري بي إلى السماء وتخلف عني جميع من كان معي من ملائكة السماوات وجبرئيل والملائكة المقربين ووصلت إلى حجب ربي دخلت سبعين ألف حجاب بين كل حجاب إلى حجاب من حجب العزة والقدرة والبهاء والكرامة والكبرياء والعظمة والنور والظلمة والوقار ، حتى وصلت إلى حجاب الجلال فناجيت ربي تبارك وتعالى وقمت بين يديه وتقدم إلي عز ذكره بما أحبه وأمرني بما أراد ، لم أسأله لنفسي شيئاً في علي عليه السلام إلا أعطاني ووعدني الشفاعة في شيعته وأوليائه ، ثم قال لي الجليل جل جلاله : يا محمد من تحب من خلقي ؟

قلت : أحب الذي تحبه أنت يا ربي .

قال لي جل جلاله : فأحب علياً ، فإنني أحبه وأحب من يحبه .

فخررت لله ساجداً مسبحاً شاكراً لربي تبارك وتعالى .

فقال لي : يا محمد ، عليٌّ وليي وخيرتي بعدك من خلقي ، اخترته لك أخاً ووصياً ووزيراً وصفيّاً وخليفة وناصرّاً لك على أعدائي ، يا محمد وعزتي وجلالي لا يناوي علياً جبار إلا قصمته ، ولا يقاتل علياً عدو من أعدائي إلا هزمته وأبدته ، يا محمد إنني اطلعت على قلوب عبادي فوجدت علياً أنصح

خلقي لك وأطوعهم لك، فاتخذته أخاً وخليفة ووصياً وزوّجه ابنتك فيّاني
 سأهب لهما غلامين طيّبين طاهرين تقيين نقيين، فبي حلفت وعلى نفسي حتمت
 أنه لا يتولين علياً وزوجته وذريتهما أحد من خلقي إلا رفعت لواءه إلى قائمة
 عرشي وجنتي وبحبوحة كرامتي وسقيته من حظيرة قدسي، ولا يعاديهم أحد
 ويعدل عن ولايتهم يا محمد إلا سلبته ودي وباعدته من قربي وضاعفت عليهم
 عذابي ولعنتي، يا محمد إنك رسولي إلى جميع خلقي وإن علياً وليي وأمير
 المؤمنين وعلى ذلك أخذت ميثاق ملائكتي وأنبيائي وجميع خلقي من قبل أن
 أخلق خلقاً في سمائي وأرضي محبة مني لك يا محمد ولعلي ولولدكما ولمن
 أحبكما وكان من شيعتكما ولذلك خلقتهم من خليقتكما.

فقلت: إلهي وسيدي فاجمع الأمة عليه، فأبى عليّ وقال: يا محمد إنه
 المبتلى والمبتلى به وإنني جعلتكم محنة لخلقي أمتحن بكم جميع عبادي وخلقي في
 سمائي وأرضي وما فيهن، لأكمل الثواب لمن أطاعني فيكم وأحل عذابي
 ولعنتي على من خالفني فيكم وعصاني وبكم أميز الخبيث من الطيب، يا محمد
 وعزتي وجلالي لولاك ما خلقت آدم، ولولا علي ما خلقت الجنة، لأنني بكم
 أجزي العباد يوم المعاد بالثواب والعقاب، وبعلي وبالأئمة من ولده أنتقم من
 أعدائي في دار الدنيا، ثم إليّ المصير للعباد والمعاد، وأحكمكما في جنتي وناري
 فلا يدخل الجنة لكما عدو ولا يدخل النار لكما ولي، وبذلك أقسمت على
 نفسي.

ثم انصرفت فجعلت لا أخرج من حجاب من حجب ربي ذي الجلال والإكرام إلا سمعت في النداء ورائي: يا محمد قدم علياً، يا محمد استخلف علياً، يا محمد أوص إلى علي، يا محمد واخ علياً، يا محمد أحب من يحب علياً، يا محمد استوص بعلي وشيعته خيراً.

فلما وصلت إلى الملائكة جعلوا يهتفونني في السماوات ويقولون: هنيئاً لك يا رسول الله بكرامة لك ولعلي.

معاشر الناس عليّ أخي في الدنيا والآخرة ووصيي وأميني على سري وسر رب العالمين ووزيري وخليفتي عليكم في حياتي وبعد وفاتي، لا يتقدمه أحد غيري، وخير من أخلف بعدي، ولقد أعلمني ربي تبارك وتعالى أنه سيد المسلمين وإمام المتقين وأمير المؤمنين ووارثي ووارث النبيين ووصي رسول رب العالمين وقائد الغر المحجلين من شيعته وأهل ولايته إلى جنات النعيم بأمر رب العالمين، يبعثه الله يوم القيامة مقاماً محموداً يغبطه به الأولون والآخرون، بيده لوائي لواء الحمد يسير به أمامي وتحتة آدم وجميع من ولد من النبيين والشهداء والصالحين إلى جنات النعيم حتماً من الله محتوماً من رب العالمين، وعد وعدنيه ربي فيه ولن يخلف الله وعده وأنا على ذلك من الشاهدين»^(١).

(١) اليقين: ص ٤٢٤-٤٢٨ ب ١٥٨.

ما هذه الغمزة^(١) في حقي؟

الغمز من قناة الحق

مسألتان: يحرم الغمز من قناة الحق، كما يحرم الضعف عن الدفاع عن الحق إن أدى إلى تضييعه، وتتأكد الحرمة إذا كان حقاً متعلقاً بأولياء الله الصالحين، فكيف بحق سيدة نساء العالمين عليها السلام.

فإن الحرمة كما تتأكد بلحاظ الزمان (كالمعصية في شهر الصيام أو ليلة القدر أو يوم الجمعة) والمكان (كشرب الخمر في المسجد وشبهها) كذلك تتأكد بلحاظ المنسوب إليه، مثلاً اتهام شخص عادي محرم، واتهام المؤمن العالم أشد حرمة، واتهام رسول الله صلى الله عليه وآله وآل بيته الأطهار عليهم السلام أشد بمراتب وقد يوجب الكفر والارتداد، حسب الموازين المذكورة لهما في الأصول والفقه، وقد قال الإمام الحسين عليه السلام عندما وقف على مصرع ولده الأكبر عليه السلام: «ما أجراًهم على الله وعلى انتهاك حرمة الرسول، وانهملت عيناه بالدموع»^(٢).

ومن هنا أفتى الفقهاء بأنه من زنى في شهر رمضان نهائراً أقيم عليه الحد وعوقب زيادة عليه لانتهاكه حرمة شهر رمضان^(٣)، وكذلك الحكم في شارب الخمر في شهر رمضان^(٤)، وكل من فعل شيئاً من المحظورات إن كان عليه حد

(١) وفي بعض النسخ (والغميرة) بالراء وهو بمعنى الحقد، أو بمعنى الستر.

(٢) إعلام الوری: ص ٢٤٦ الفصل الرابع.

(٣) راجع موسوعة الفقه: ج ٨٧ ص ٢٧٩ كتاب الحدود والتعزيرات.

(٤) راجع موسوعة الفقه: ج ٨٧ ص ٢٨٠ كتاب الحدود والتعزيرات.

أقيم عليه وعزر لانتهاكه حرمة شهر الصيام.

ومن زنى في حرم الله وحرم رسوله ﷺ أو في حرم إمام ﷺ حد للزنا وعزر لانتهاكه حرمة حرم الله وأوليائه ﷺ وكذلك من فعل شيئاً يوجب عليه حداً في مسجد أو موضع عبادة وجب عليه مع الحد التعزير^(١).

ويغلظ عقاب من أتى محظوراً في ليالي الجمع وأيامها وليالي العبادات وأيامها كليلة النصف من شعبان وليلة الفطر ويومه، ويوم سبعة وعشرين من رجب، وخمسة وعشرين من ذي القعدة، وليلة سبع عشرة من ربيع الأول ويومه، وليلة الغدير ويومه، وليلة عاشوراء ويومه^(٢).

وقال ﷺ أيضاً: من نكح امرأة ميتة كان الحكم عليه الحكم في نكاح الحية سواء، وتغلظ عقوبته لجرأته على الله عز وجل في انتهاك محارمه والاستخفاف بما عظم فيه الزجر ووعظ به العباد^(٣).

ومعنى الغميمة: أن يثيروا بأن لا حق لها إن كانت بمعنى الطعن، أو معناها: الضعف عن المطالبة بحقوقها وهو الأنسب للقرينة المقامية وبقرينة (والسنة). فالتقاعس عن الحق محرم وله أثره الوضعي في الدنيا قبل الآخرة.

وقد قال الرسول ﷺ في دعائه يوم غدير خم لأمر المؤمنين علي (عليه الصلاة والسلام): «اللهم انصر من نصره، واخذل من خذله»^(٤)، وهو يشمل كل

(١) المقنعة: ص ٧٨٢ باب حدود الزنا.

(٢) المقنعة: ص ٧٨٢ باب حدود الزنا.

(٣) المقنعة: ص ٧٩٠ باب الحد في نكاح الأموات.

(٤) كشف الغمة: ج ١ ص ٢٤٥.

أهل البيت عليهم السلام إلى الإمام المهدي عليه السلام ^(١)، ودعاء الرسول ﷺ مستجاب قطعاً كما نشاهد ذلك تاريخياً بالنسبة إلى الذين خذلوا أمير المؤمنين علياً عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام أو نصروهم.

وقد استنصر أمير المؤمنين عليه السلام المهاجرين والأنصار فلم ينصروه، وفي احتجاجه عليه السلام مع القوم قال: «يا معاشر المهاجرين والأنصار، الله لا تنسوا عهد نبيكم إليكم في أمري، ولا تخرجوا سلطان محمد ﷺ من داره وقعر بيته إلى دوركم وقعر بيوتكم، ولا تدفعوا أهله عن حقه ومقامه في الناس، فوالله معاشر الجمع إن الله قضى وحكم، ونبيه أعلم وأنتم تعلمون بأنا أهل البيت أحق بهذا الأمر منكم، أما كان القارئ منكم لكتاب الله الفقيه في دين الله، المضطلع بأمر الرعية، والله إنه لفينا لا فيكم، فلا تتبعوا الهوى فتزدادوا من الحق بعدا، وتفسدوا قديمكم بشر من حديثكم».

فقال بشير بن سعد الأنصاري الذي وطأ الأرض لأبي بكر، وقالت جماعة من الأنصار: يا أبا الحسن لو كان هذا الأمر سمعته منك الأنصار قبل بيعتها لأبي بكر ما اختلف فيك اثنان.

فقال علي عليه السلام: «يا هؤلاء كنت أدع رسول الله ﷺ مسجى لا أواريه وأخرج أنازع في سلطانه، والله ما خفت أحداً يسمو له وينازعنا أهل البيت فيه ويستحل ما استحلتموه، ولا علمت أن رسول الله ﷺ ترك يوم غدير خم

(١) ليس المقصود التعميم، للمناط والملاك القطعي فقط بل لوضوح كونهم نوراً واحداً، كما أن علياً نفس الرسول بشهادة قوله تعالى: ﴿وأنفسنا وأنفسكم﴾ سورة آل عمران: ٦١، وهذا مع أن الأدلة على خذلان من خذل أهل البيت عليهم السلام كثيرة جداً.

لأحد حجة ولا لقائل مقالاً ، فانشد الله رجلاً سمع النبي ﷺ يوم غدیر خم يقول : من كنت مولاه فهذا علي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله أن يشهد الآن بما سمع».

قال زيد بن أرقم : فشهد اثنا عشر رجلاً بدرياً بذلك ، وكنت ممن سمع القول من رسول الله ﷺ فكتمت الشهادة يومئذ ، فدعا علي عليه السلام ، فذهب بصري ، قال : وكثر الكلام في هذا المعنى وارتفع الصوت ، وخشي عمر أن يصغي الناس إلى قول علي عليه السلام ففسخ المجلس وقال : إن الله يقلب القلوب ، ولا تزال يا أبا الحسن ترغب عن قول الجماعة ، فانصرفوا يومهم ذلك^(١).

وبشكل عام لا يجوز التقاعس عن نصره أهل الحق مطلقاً ، بل نصرتهم واجبة ، وعدمها لها أثره الوضعي ، لكنه كالكلي المشكك وبالنسبة إلى غيرهم عليه السلام في مرتبة دون مرتبتهم (عليهم الصلاة والسلام) حسب اختلاف الموضوع ودرجاته.

(١) الاحتجاج : ص ٧٤-٧٥ ذكر طرف مما جرى بعد وفاة رسول الله ﷺ من اللجاج والحجاج في أمر الخلافة..

الحق القديم

مسألة: ليس (الزمان) من مسقطات الحق ، فإن الحق القديم لا يبطله شيء كما ورد ، على خلاف ما تذهب إليه القوانين الوضعية في عدد من الحقوق ، وقد خطب أمير المؤمنين علي (ع) في اليوم الثاني من بيعته بالمدينة فقال : «ألا وإن كل قطيعة أقطعها عثمان ، وكل مال أعطاه من مال الله ، فهو مردود في بيت المال ، فإن الحق القديم لا يبطله شيء ، ولو وجدته وقد تزوج به النساء وفرّق في البلدان لرددته إلى حاله ، فإن في العدل سعة ، ومن ضاق عنه الحق فالجور عليه أضيق»^(١).

فإذا كانت ظلامتها (ع) لا تزال قائمة - كما هو كذلك في العديد من القضايا ومنها فذك وغصب الخلافة - فإن الضعف عن الدفاع عنها والسنة عن ظلامتها محرم على عامة الناس في هذا الزمن أيضاً.

فقولها (ع): «ما هذا الغميمة عن حقي» وإن لم يشمل الأجيال اللاحقة خطاباً مباشراً إلا أنه يشملهم ملاكاً وضرورة.

(١) شرح نهج البلاغة: ج ١ ص ٢٦٩. خطبة ذكرها الكلبي مروية مرفوعة إلى أبي صالح عن ابن عباس.

والسنة عن ظلامتي

التواني في ظلامتها ﷺ

مسألة: الظاهر أن مثل هذا العتاب يقتضي الحرمة، بقرينة المقام وغيره.

قولها ﷺ: «والسنة عن ظلامتي» السنة: هي النعاس وأول النوم، قال سبحانه: ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾^(١)، كأنهم بعدم اعتنائهم بظلامتها وقضيتها (صلوات الله عليها) في حالة نوم ونعاس، كمن هو كذلك حيث لا يسمع ولا يرى ولا يجيب.

والظلامه: بالضم كالمظلمة، بمعنى ما يأخذه الظالم فتطلبه عنده، فإنهم لم يساعدوها (عليها الصلاة والسلام) في استرجاع فذك وخلافة أمير المؤمنين علي ﷺ.

روي أن فاطمة ﷺ جاءت إلى أبي بكر بعد وفاة رسول الله ﷺ فقالت: يا أبا بكر من يرثك إذا مت؟ قال: أهلي وولدي.

قالت: فما لي لا أرث رسول الله ﷺ؟

قال: يا بنت رسول الله إن النبي لا يورث! ولكن أنفق على من كان ينفق عليه رسول الله وأعطي ما كان يعطيه.

قالت: والله لا أكلمك بكلمة ما حييت، فما كلمته حتى ماتت^(١).

وقد أخبرها عليها السلام رسول الله ﷺ بما يجري عليها من الظلم، حيث روى جابر بن عبد الله الأنصاري قال: دخلت فاطمة عليها السلام على رسول الله ﷺ وهو في سكرات الموت، فانكبت عليه تبكي، ففتح عينه وأفاق ثم قال ﷺ: «يا بنية أنتِ المظلومة بعدي وأنتِ المستضعفة بعدي، فمن آذاك فقد آذاني، ومن غاظك فقد غاظني، ومن سركك فقد سرنني، ومن برأك فقد برنني، ومن جفاك فقد جفاني، ومن وصلك فقد وصلني، ومن قطعك فقد قطعني، ومن أنصفك فقد أنصفني، ومن ظلمك فقد ظلمني، لأنك مني وأنا منك وأنتِ بضعة مني وروحي التي بين جنبي»، ثم قال ﷺ: «إلى الله أشكو ظالميك من أمتي» ثم دخل الحسن والحسين عليهما السلام فانكبا على رسول الله ﷺ وهما يبكيان ويقولان: «أنفسنا لنفسك الفداء يا رسول الله» فذهب علي عليه السلام لينحيهما عنه، فرفع رأسه إليه ثم قال: «يا علي دعهما يشمانني وأشمههما، ويتزودان مني وأتزود منهما، فإنهما مقتولان بعدي ظلماً وعدواناً، فلعنة الله على من يقتلهما» ثم قال: «يا علي وأنتِ المظلوم المقتول بعدي وأنا خصم لمن أنتِ خصمه يوم القيامة»^(٢).

وعن عكرمة عن عبد الله بن العباس قال: لما حضرت رسول الله ﷺ الوفاة بكى حتى بلت دموعه لحيته، فقليل له: يا رسول الله ما يبكيك؟ فقال: «أبكي لذريتي وما تصنع بهم شرار أمتي من بعدي، كأني بفاطمة ابنتي وقد ظلمت بعدي وهي تنادي: يا أبتاه يا أبتاه فلا يعينها أحد من أمتي»، فسمعت

(١) بحار الأنوار: ج ٢٩ ص ٢٠٦ ب ١١ نزول الآيات في أمر فدك وقصصه وجوامع الاحتجاج فيه.

(٢) كشف الغمة: ج ١ ص ٤٩٧-٤٩٨.

ذلك فاطمة ﷺ فبكت فقال لها رسول الله ﷺ: «لا تبكين يا بنية» فقالت: «لست أبكي لما يصنع بي من بعدك ولكن أبكي لفراقك يا رسول الله» فقال لها: «أبشري يا بنت محمد بسرعة اللحاق بي فإنك أول من يلحق بي من أهل بيتي»^(١).

وروي عن الإمام الباقر ﷺ قال: «ما رثيت فاطمة ﷺ ضاحكة قط منذ قبض رسول الله ﷺ حتى قبضت»^(٢).

وعن أبي عبد الله ﷺ قال: «البكاءون خمسة: آدم ويعقوب ويوسف وفاطمة بنت محمد وعلي بن الحسين ﷺ، فأما آدم فبكى على الجنة حتى صار في خديه أمثال الأودية، وأما يعقوب فبكى على يوسف حتى ذهب بصره، وحتى قيل له: ﴿تَاللَّهِ تَفْتَوُا تَذَكَّرُ يَوْسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْكَيْنِ﴾»^(٣)، وأما يوسف فبكى على يعقوب حتى تأذى به أهل السجن فقالوا: إما أن تبكي الليل وتسكت بالنهار وإما أن تبكي النهار وتسكت بالليل، فصالحهم على واحد منهما، وأما فاطمة فبكت على رسول الله ﷺ حتى تأذى بها أهل المدينة فقالوا لها قد آذيتنا بكثرة بكائك، وكانت تخرج إلى مقابر الشهداء فتبكي حتى تقضي حاجتها ثم تنصرف، وأما علي بن الحسين فبكى على الحسين عشرين سنة أو أربعين سنة وما وضع بين يديه طعام إلا بكى حتى قال له مولى له: جعلت فداك إني أخاف عليك أن تكون من الهالكين، قال:

(١) الأمالي للطوسي: ص ١٨٨ المجلس ٧ ح ٣١٦.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤٣ ص ١٩٦ ب ٧.

(٣) سورة يوسف: ٨٥.

أما كان رسول الله ﷺ أبي يقول: «المرء يحفظ في ولده»؟

﴿إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾^(١) إني لم أذكر مصرع بني فاطمة (ع) إلا خنقتني لذلك عبرة^(٢).

أما كان رسول الله ﷺ أبي يقول: «المرء يحفظ في ولده»^(٣)؟

الاستشهاد بكلام المعصوم (عليه السلام)

مسألة: يستحب الاستشهاد بكلام الرسول ﷺ وإن كان بمضمونه مثل سائر، فإن إسناده إليه ﷺ أولى وأفضل، لكونه ﷺ حجة دون الأمثال، كما استشهدت (ع) بقوله ﷺ: «المرء يحفظ في ولده».

ومن ذلك يعرف أن المثل إذا استشهد به المعصوم (عليه السلام) صار حجة وأمكن التمسك بإطلاقه أو عمومه إلا إذا لم يكن (عليه السلام) في مقام البيان من تلك الجهة كما لا يخفى.

قال الإمام الحسين (عليه الصلاة والسلام) لابنته سكينه (ع): «هيهات لو ترك القطا لنام»^(٤).

(١) سورة يوسف: ٨٦.

(٢) وسائل الشيعة: ج ٣ ص ٢٨٠-٢٨١ ب ٨٧ ح ٣٦٥٥.

(٣) وفي بعض النسخ: (أما كان رسول الله ﷺ أن يحفظ).

(٤) بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ٤٧ بقية الباب ٣٧.

- وفي رواية أنه ﷺ قالها لأخته العقيلة زينب ﷺ^(١).
- وفي الرواية: «الناس على دين ملوكهم»^(٢).
- وفي الرواية: «الناس معادن كمعادن الذهب والفضة»^(٣).
- وفي الرواية: «الناس بالناس»^(٤).
- وعن رسول الله ﷺ: «إذا لم تستح فافعل ما شئت»^(٥).
- وعنه عليه السلام: «إنَّ العرقَ دساس»^(٦).
- وعنه عليه السلام: «الجار ثم الدار»^(٧).
- وعنه عليه السلام: «الحرب خدعة»^(٨).
- وعنه عليه السلام: «سيد القوم خادمهم»^(٩).
- وعنه عليه السلام: «خير الأمور أوسطها»^(١٠).
- وعنه عليه السلام: «ربَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه»^(١١).

(١) راجع بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ٢ ب ٣٧.

(٢) كشف الغمة: ج ٢ ص ٢١.

(٣) الكافي: ج ٨ ص ١٧٧ ح ١٩٧ عن أبي عبد الله ﷺ.

(٤) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ١٣٥ ب ٢١ ح ٣. تحف العقول: ص ٢٧٨.

(٥) مستدرك الوسائل: ج ٨ ص ٤٦٦ ب ٩٣ ح ١٠٠٣٠.

(٦) مكارم الأخلاق: ص ١٩٧.

(٧) وسائل الشيعة: ج ٧ ص ١١٢-١١٣ ب ٤٢ ح ٨٨٨٤.

(٨) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٣٧٨ ح ٥٧٩٤.

(٩) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٣٧٨ ح ٥٧٩١.

(١٠) غوالي اللآلي: ج ١ ص ٢٩٦ ح ١٩٩.

(١١) الكافي: ج ١ ص ٤٠٣ ح ١.

وعنه (عليه السلام): «العجلة من الشيطان»^(١).

وعنه (عليه السلام): «عند جهينة الخبر اليقين»^(٢).

يحفظ المرء في ولده

مسألة: يجب حفظ المرء في ولده في الجملة، للأدلة الدالة على بعض المصاديق، ولكون قوله (عليه السلام): «المرء يحفظ في ولده» إنشاء بصيغة إخبار كقوله (عليه السلام): «يعيد صلاته»، وقد يستحب ذلك، فالوجوب في مورده^(٣) والاستحباب كذلك.

ومعنى (حفظ المرء في ولده) إيصال حقه إليهم ورعاية الاحترام اللائق بهم لنسبتهم به، إلى غير ذلك من الأمور المادية والمعنوية.

قال (عليه السلام): «أو ما علمت أن حرمة رحم رسول الله (صلى الله عليه وآله) حرمة رسول الله، وأن حرمة رسول الله حرمة الله تعالى»^(٤).

ومن هنا أخذ يخاطب الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عاشوراء ويقول: «أما بعد، فانسبوني فانظروا من أنا، ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها فانظروا هل يصلح لكم قتلي وانتهاك حرمتي، ألسنت ابن بنت نبيكم وابن وصيه وابن عمه وأول المؤمنين، المصدق لرسول الله بما جاء به من عند ربه..»^(٥).

(١) تحف العقول: ص ٤٣ ح ٥٨.

(٢) بحار الأنوار: ج ٥٢ ص ١٨٧ ب ٢٥ ح ١١.

(٣) كالإرث وشبهه.

(٤) تفسير الإمام الحسن العسكري (عليه السلام): ص ٣٥.

(٥) الإرشاد: ج ٢ ص ٩٧.

هذا والعجب أن عائشة كانت تطالب بحرمة رسول الله ﷺ فيها، وفاطمة الزهراء (سلام الله عليها) وأهل بيته الطاهرون ﷺ لم يراع في حقهم حرمة رسول الله ﷺ.

وفي الحديث: إن بعد حرب جمل لما عزم أمير المؤمنين ﷺ على المسير إلى الكوفة، أنفذ إلى عائشة يأمرها بالرحيل إلى المدينة، فتهيات لذلك، وأنفذ الإمام معها رعاية لها أربعين امرأة ألبسهن العمام والقلانس وقلدهن السيوف وأمرهن أن يحفظنها ويكن عن يمينها وشمالها ومن ورائها، فجعلت عائشة تقول في الطريق: اللهم افعل بعلي بن أبي طالب بما فعل بي، بعث معي الرجال^(١) ولم يحفظ بي حرمة رسول الله ﷺ، فلما قدمنا المدينة معها ألقين العمام والسيوف ودخلن معها، فلما رأتهن ندمت على ما فرطت بدم أمير المؤمنين ﷺ وسبه، وقالت: جزى الله ابن أبي طالب خيراً، فلقد حفظ في حرمة رسول الله ﷺ^(٢).

قولها ﷺ: «أما كان رسول الله ﷺ أبي يقول: المرء يحفظ في ولده»، فإن فاطمة الزهراء (عليها الصلاة والسلام) استدلت بنمطين من الاستدلال:

النمط الأول: أنها ﷺ مع الحق، والحق معها، وأنها مظلومة، فاللزام الانتصار لها وأخذ ظلامتها من الخصم وردها إليها.

النمط الثاني: أنها ابنة رسول الله ﷺ، واللازم أن يحفظ رسول الله ﷺ فيها، حيث قال: «المرء يحفظ في ولده»، فإن حفظ الأولاد وقضاء حوائجهم

(١) هذا وقد خرجت هي مع الرجال لحرب أمير المؤمنين ﷺ ولم ترع ذلك بنفسها!

(٢) راجع الجمل: ص ٤١٥ إرسال عائشة إلى المدينة.

والقيام بأمورهم هو عبارة أخرى عن حفظ الوالد.
 و(في) هنا بمعنى: النسبة على قول، مثله مثل قول المتكلمين: (الواجبات الشرعية ألطاف في الواجبات العقلية) أي: بالنسبة للواجبات العقلية.
 أو أن (في) بمعنى: الظرفية المتسعة، فإن الظرف له اتساع يصدق مع كل من الظرفية الحقيقية والمجازية وهنا الظرفية مجازية.

هذا وقد ورد التأكيد الكبير على لزوم إكرام ذرية رسول الله ﷺ.
 قال النبي ﷺ: «أنا شافع يوم القيامة لأربعة أصناف ولو جاءوا بذنوب أهل الدنيا: رجل نصر ذريتي، ورجل بذل ماله لذريتي عند الضيق، ورجل أحب ذريتي باللسان والقلب، ورجل سعى في قضاء حوائج ذريتي إذا طردوا أو شردوا»^(١).

وقال ﷺ: «من أحب ذريتي أتاه جبرئيل إذا خرج من قبره فلا يمر بهول إلا أجازه إياه»^(٢).

وقال ﷺ: «معاشر الناس إن علياً والطاهرين من ذريتي وولدي وولده هم الثقل الأصغر، والقرآن الثقل الأكبر، وكل واحد منهما منبئ عن صاحبه وموافق له، لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، ألا إنهم أمناء الله في خلقه وحكامه في أرضه، ألا وقد أدبت، ألا وقد أسمعت، ألا وقد بلغت، ألا وقد أوضحت»^(٣).

(١) وسائل الشيعة: ج ١٦ ص ٣٣٢ ب ١٧ ح ٢١٦٩٠.

(٢) المناقب: ج ٣ ص ٢٣٧ فصل في حمايته لأوليائه.

(٣) راجع اليقين: ص ٣٥١-٣٥٢ ب ١٢٧.

وقال رسول الله ﷺ: «أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة: المكرم لذرتي، والقاضي لهم حوائجهم، والساعي لهم في أمورهم عند ما اضطروا إليه، والمحِب لهم بقلبه ولسانه»^(١).

وفي الحديث: «إنَّ الحسين بن عليٍّ ؑ أتى عمر بن الخطاب وهو على المنبر يوم الجمعة، فقال له: انزل عن منبر أبي. فبكى عمر، ثم قال: صدقت يا بني، منبر أبيك لا منبر أبي، فقال عليٌّ ؑ ما هو واللَّه عن رأيي، فقال: صدقت واللَّه ما اتَّهَمْتُكَ يا أبا الحسن، ثم نزل عن المنبر فأخذه فأجلسه إلى جانبه على المنبر فخطب الناس وهو جالس على المنبر معه، ثم قال: آيها الناس سمعت نبيكم ﷺ يقول: احفظوني في عترتي وذرتي، فمن حفظني فيهم حفظه الله، ألا لعنة الله على من آذاني فيهم، ثلاثاً»^(٢).

وفي تفسير العياشي^(٣) عن أبي عبد الله ؑ قال:

«إن الله ليحفظ ولد المؤمن إلى ألف سنة، وأن الغلامين كان بينهما وبين أبويهما سبعمئة سنة».

(١) عيون أخبار الرضا ؑ: ج ٢ ص ٢٤-٢٥ ب ٣١ ح ٤.

(٢) الأُمالي للطوسي: ص ٧٠٣ مجلس ٤٠ ح ١٥٠٤.

(٣) تفسير العياشي: ج ٢ ص ٣٣٦ ح ٥٨.

الولد يشمل الذكر والأنثى

مسألة: لا فرق بين الذكر والأنثى في وجوب أو استحباب محفوظيتهما في أولادهما، فإن قوله عليه السلام: «يحفظ المرء في ولده» يشمل الرجل والمرأة، إذ المراد بالمرء: الإنسان، ولو كان المراد به ما هو جمع الرجل لكان الشمول بالملك، وكان ذكره من باب الغالب، ومن الواضح أن (الولد) يطلق على الذكر والأنثى. قال رسول الله ﷺ: «خير أولادكم البنات»^(١).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «ليس يتبع الرجل بعد موته من الأجر إلا ثلاث خصال: صدقة أجراها في حياته فهي تجري بعد موته، وسنة هدى سنّها فهي يعمل بها بعد موته، وولد صالح يستغفر له»^(٢)، فإن الولد يشملهما كما لا يخفى.

وقال عليه السلام: «إنّ الولد الصالح ريحانة من رياحين الجنة»^(٣).

وقال عليه السلام: «من سعادة المرء المسلم: الزوجة الصالحة، والمسكن الواسع، والمركب الهنيء، والولد الصالح»^(٤).

وقال عليه السلام: «من سعادة المرء الخلطاء الصالحون والولد البار»^(٥).

(١) مستدرک الوسائل: ج ١٥ ص ١١٦ ب ٣ ح ١٧٧٠٨.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٦ ص ١٧٤ ب ١٦ ح ٢١٢٧٥.

(٣) الكافي: ج ٦ ص ٣ باب فضل الولد ح ١٠.

(٤) دعائم الإسلام: ج ٢ ص ١٩٥ ف ٢ ح ٧٠٩.

(٥) مستدرک الوسائل: ج ١٥ ص ١١٣ ب ٢ ح ١٧٦٩٢.

حق الأجيال القادمة

مسألة: من الحقوق التي ينبغي مراعاتها حق الأجيال القادمة، على تفصيل ذكرناه في بعض الكتب الاقتصادية بالنسبة إلى حيازة المباحات وما أشبهه. فإن هناك فرقاً واضحاً بين ما لو أنها ﷺ قالت: (أما قال رسول الله)، وبين قولها ﷺ: «أما كان رسول الله أبي يقول» فإن الثاني دال على الاستمرار دون الأول.

وقد كان ﷺ يهتم بحقوق الأجيال القادمة أيضاً، خاصة بلحاظ أن (الولد) يشمل أبناء الأبناء أيضاً^(١)، وبمسؤولية المجتمع تجاه الجيل الجديد ممن توفي أبائهم بل حتى في حال حياة الآباء، خاصة إذا قلنا بأن (المرء يحفظ في ولده) دال بإطلاقه على حالتي الحياة والممات، إلا أن يقال بالانصراف، فتأمل. هذا مضافاً إلى كثرة الروايات والآيات الواردة في مطلق الذرية مما يدل على لزوم الاهتمام بهم.

قال تعالى حكاية عن امرأة عمران: ﴿وَأِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾^(٢).

(١) لاحظ قوله: (بنونا بنو أبنائنا)، ولاحظ إطلاق (ابن الرضا) على الإمام الهادي ﷺ والعسكري ﷺ ولاحظ قبل ذلك قوله تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾، سورة آل عمران: ٦١، وإطلاق (ابني رسول الله) على الحسن والحسين ﷺ فالشمول بالاطلاق، وإلا فبالملك.

(٢) سورة آل عمران: ٣٦.

وقال سبحانه: ﴿هَذَا لَكَ دَعَا زَكْرِيَّا رِيَّهُ قَالَ رَبُّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾^(١)

وقال تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾^(٢).

وقال سبحانه: ﴿وَأَصْلَحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾^(٣).

وفي الدعاء: «أعِزْ بكَ نَفْسِي وَأَهْلِي وَذُرِّيَّتِي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»^(٤).

وأيضاً: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَوْدِعُكَ نَفْسِي وَأَهْلِي وَمَالِي وَذُرِّيَّتِي وَدُنْيَايَ وَآخِرَتِي» الدعاء^(٥).

(١) سورة آل عمران: ٣٨.

(٢) سورة النساء: ٩.

(٣) سورة الأحقاف: ١٥.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٥٨٥-٥٨٦ باب دعوات موجزات ضمن ح ٢٤.

(٥) من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٢٧١ باب ما يستحب للمسافر ضمن ح ٢٤١٣.

سرعان ما أحدثتم^(١)

مصدرية الخطبة

مسألة: يلزم على المؤرخين أن يعدّوا خطبتها ﷺ مصدراً أساسياً ومعتمداً للأحداث التاريخية التي جرت في تلك الفترة، كما يلزم الانطلاق في (زاوية الرؤية) من المقاييس التي أعطتها ﷺ في هذه الخطبة: من تقييم للأحداث أو للأشخاص.

فإن الحق ما قالوه، والصواب ما بينوه (صلوات الله عليهم أجمعين).
وفي زيارة الجامعة: «الحق معكم وفيكم ومنكم وإليكم وأنتم أهله ومعدنه»^(٢).

وقال ﷺ: «سلم من صدقكم وهدى من اعتصم بكم»^(٣).
وقال رسول الله ﷺ: «.. فليوال علي بن أبي طالب وذريته من بعده فهم الأئمة وهم الأوصياء أعطاهم الله علمي وفهمي، لا يدخلونكم في باب ضلال، ولا يخرجونكم من باب هدى، لا تعلموهم فهم أعلم منكم»^(٤).
وقال ﷺ: «لا تعلموهم ولا تتقدموهم ولا تتخلفوا عنهم فإنهم مع الحق

(١) وفي بعض النسخ: (سرعان ما أجديتم فاكديتم) أجذب القوم أي أصابهم الجذب، وأكدى الرجل إذا قل خيره.

(٢) راجع البلد الأمين: ص ٢٩٩ أعمال شهر ذي الحجة.

(٣) راجع تهذيب الأحكام: ج ٦ ص ٩٧ ب ٤٦ ضمن ح ١.

(٤) راجع الخصال: ج ٢ ص ٥٥٨ احتجاج أمير المؤمنين ﷺ.

والحق معهم لا يزايلونه»^(١).

عن حذيفة بن أسيد قال سمعت رسول الله ﷺ يقول، وسأله سلمان عن الأئمة فقال: «الأئمة بعدي عدد نقباء بني إسرائيل تسعة من صلب الحسين ومنا مهدي هذه الأمة، ألا إنهم مع الحق والحق معهم فانظروا كيف تخلفوني فيهم»^(٢).

وعن عمران بن حصين قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال معاشر الناس إني راحل عن قريب ومنطلق إلى المغيب، أوصيكم في عترتي خيرا، فقام إليه سلمان فقال: يا رسول الله أليس الأئمة بعدك من عترتك، فقال: نعم الأئمة بعدي من عترتي بعدد نقباء بني إسرائيل تسعة من صلب الحسين ومنا مهدي هذه الأمة فمن تمسك بهم فقد تمسك بحبل الله لا تعلموهم فإنهم أعلم منكم واتبعوهم فإنهم مع الحق والحق معهم حتى يردوا علي الحوض»^(٣).

(١) راجع كتاب سليم بن قيس: ص ٦٤٦ ضمن الحديث الحادي عشر.

(٢) كفاية الأثر: ص ١٢٩-١٣٠ باب ما جاء عن حذيفة بن أسيد عن النبي ﷺ.

(٣) بحار الأنوار: ج ٣٦ ص ٣٣٠ ب ٤١ ح ١٨٨.

الإحداث في الدين

مسألة: الإحداث في الدين محرم، والإسراع في الإحداث محرم آخر، لأن الفترة الزمانية والفاصل الزمني بين الإحداث المتأخر وبين الإحداث المسارع إليه أيضاً من مصاديق الإثم، ولما سبق أيضاً في الأجزاء السابقة، ويمكن استفادة الحرمة للمسارعة نحو الباطل من كلامها ﷺ ههنا: «سرعان ما أحدثتم» بلحاظ كونها ﷺ في مقام الذم والقبح والعتاب، فليتأمل.

سُئل أمير المؤمنين ﷺ عن السنة والبدعة وعن الجماعة وعن الفرقة؟ فقال ﷺ: «السنة ما سن رسول الله ﷺ، والبدعة ما أحدث من بعده، والجماعة أهل الحق وإن كانوا قليلاً، والفرقة أهل الباطل وإن كانوا كثيراً»^(١). وقال ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد»^(٢). وقال ﷺ: «من تبسم في وجه مبتدع فقد أعان على هدم دينه»^(٣). وقال ﷺ: «من مشى إلى صاحب بدعة فوقره فقد مشى في هدم الإسلام»^(٤).

وقال ﷺ: «وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة»^(٥).

(١) معاني الأخبار: ص ١٥٥ باب معنى السنة والبدعة والجماعة والفرقة ح ٣.

(٢) فقه القرآن: ج ١ ص ١٣٣ باب أحكام الجمعة.

(٣) المناقب: ج ٤ ص ٢٥١.

(٤) ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: ص ٢٥٨ عقاب من ابتدع ديناً.

(٥) راجع الأمالي للشيخ المفيد: ص ٢١١ المجلس ٢٤ ضمن ح ١.

وقال عليه السلام: «اتبعوا ولا تبتدعوا»^(١).

وروي عن العالم عليه السلام أنه قال: «كل بدعة ضلالة وكل ضلالة إلى النار»^(٢).

وفي الحديث: «إن قليلا من سنة خير من كثير بدعة، ألا وإن كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة سبيلها إلى النار»^(٣).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن عند كل بدعة تكون من بعدي يكاد بها الإيمان ولما من أهل بيتي موكلا به يذب عنه ينطق بإلهام من الله ويعلن الحق وينوره ويرد كيد الكائدين ويعبر عن الضعفاء فاعتبروا يا أولي الأبصار وتوكلوا على الله»^(٤).

قولها عليها السلام: «سرعان ما أحدثتم»، سرعان: اسم فعل بمعنى: سريع، وفيه معنى التعجب، أي: ما أسرع ما أحدثتم في الدين وتركتم طريقة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم في ترك أهل بيته وخذلانهم عليهم السلام وعدم الدفاع عن المظلوم وفي التواني عن الأخذ بالحق الذي قرره أبي عليه السلام لي.

(١) دعائم الإسلام: ج ١ ص ١٤٣.

(٢) فقه الرضا عليه السلام: ص ٣٨٣ ب ١٠٧.

(٣) راجع نهج الحق: ص ٢٨٩.

(٤) الكافي: ج ١ ص ٥٤ باب البدع والرأي والمقاييس ح ٥.

وعجلان ذا إهالة

حفظ واستخدام الأمثال

مسألة: يستحب حفظ الأمثال التي استعملها المعصومون ﷺ واستخدامها وتداولها في شتى المحافل المناسبة، وبهذا القصد، فإنه نوع من إحياء أمرهم ﷺ فيما لو تعنون كذلك، إضافة إلى أن استخدام الأمثال في الخطاب يجعله أكثر تأثيراً، كما قالت (سلام الله عليها): «ذا إهالة».

وكذلك كان سائر الأئمة الطاهرين ﷺ يستخدمون الأمثال في الجملة، قال أمير المؤمنين علي (عليه الصلاة والسلام) كما في الخطبة الشقشقية:

شَتَان مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا وَيَوْمَ حَيَّانٍ أَخِي جَابِر^(١)

وقال الإمام الحسين ﷺ:

فَمَا إِنْ طَبْنَا جَبْنَ وَلَكِنْ مَنَايَنَا وَدَوْلَةَ آخِرِينَا^(٢)

إلى غير ذلك مما يجده المتبع في كلماتهم (صلوات الله عليهم أجمعين). وإنما كان استخدام الأمثال راجحاً لأنه أدعى للتأثير - كما سبق - وأقرب إلى القبول، إذ الناس عندما يعتادون شيئاً، يؤثر فيهم ذلك الشيء تأثيراً أسرع وأبلغ، بخلاف مجرد ذكر الواقع من دون المؤثرات، فإن تأثيره ليس بتلك المنزلة في كثير من الأحيان.

(١) الإرشاد: ج ١ ص ٢٨٨.

(٢) الاحتجاج: ج ٢ ص ٣٠٠، مثير الأحزان: ص ٥٥، اللهوف: ص ٩٨.

قال تعالى: ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾^(١).

وقال سبحانه: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾^(٢).

وقال عز وجل: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٤).

قولها ﷺ: «وعجلان ذا إهالة»، عجلان: اسم فعل بمعنى: عجل، وفيه معنى التعجب، أي: ما أعجل ترككم الإسلام وترككم للانتصار للمظلوم على الظالم.

والإهالة: عبارة عن الودك، وهو الدسومة في اللحم، قال الفيروز آبادي: قولهم: (سرعان ذا إهالة) أصلها: إن رجلاً كانت له نعجة عجفاء وكان رغامها^(٥) يسيل من منخريها لهزالها، ف قيل له: ما هذا الذي يسيل؟ فقال: ودكها، فقال السائل: سرعان ذا إهالة، ونصب إهالة على الحال، وذا إشارة إلى الرغام أي ما أسرع هذا الحيوان في سيلان رغامه وماء أنفه (بل دسم لحمه) أو ما أسرع دسومته في السيلان والجريان. على تقديرى الحال والتميز.. وهذا مثل يضرب لمن يسرع في الشيء الذي ليس له، فإن فذك لم تكن

(١) سورة إبراهيم: ٢٥.

(٢) سورة الرعد: ١٧.

(٣) سورة العنكبوت: ٤٣.

(٤) سورة الحشر: ٢١.

(٥) الرغام: المخاط.

لأولئك الذي غصبوها ، وقد أسرعوا في غصبها ، كما إن الحيوان لم يكن له ودك يخرج من أنفه .

والظاهر أن مقصودها (صلوات الله وسلامه عليها) التعجب المزيج بالاستنكار ، من مسارعة الأنصار وتعجيلهم ومبادرتهم إلى ترك سنة رسول الله ﷺ في عدم نصره ابنته ، مع قرب عهدهم به .

ولا تخفى دقة تشبيه حالتهم بالنعجة العجفاء التي يسيل ماء أنفها من الضعف والهزل والمرض ويتصور صاحبها - أو هكذا يحلو له أن يصور للآخرين - إنها معافاة سليمة سمينة بحيث تسيل دسومتها من أنفها .

فهكذا كان حال خلافتهم وسلطتهم ، فهي عجفاء مريضة هزيلة قبيحة المنظر وإن حاول أصحابها تصويرها سمينة سليمة ، فالعملية كلها تدليس وخداع لا أكثر .

ولكم طاقة بما أحاول، وقوة على ما أطلب وأزاول

نصرة أهل البيت (ع)

مسألة: يجب نصره أهل البيت (ع) فيما يحاولون وما يطلبون ويزاولون، فإن الله سبحانه وتعالى أوجب نصرتهم، وحرم خذلانهم، وكل من النصره والخذلان يعود نفعه إلى الناصر والخاذل.

وقد قال الرسول (ص): «منصور من نصره ومخذول من خذله»^(١).
وقال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(٢).
وقال سبحانه: ﴿مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾^(٣).
كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٤).
وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾^(٥).
وقد ذكرنا في بعض الكتب أن الذين نصروهم نصروا في الدنيا قبل الآخرة، والذي خذلوهم خذلوا في الدنيا قبل الآخرة.
وذلك مع ملاحظة معادلة (الامتداد الدنيوي) في ذريته وسمته وتاريخه،

(١) راجع كشف الغمة: ج ١ ص ١٤٨، والمناقب: ج ٣ ص ٥٦ عن الخطيب البغدادي في تاريخه.

(٢) سورة الشورى: ٢٣.

(٣) سورة سبأ: ٤٧.

(٤) سورة الأعراف: ٩٦.

(٥) سورة آل عمران: ١٤٤.

إذ النصر والخذلان لا يدوران مدار اللحظة، وليس آنيين حتى في مثل الجيش المنتصر والجيش المنخذل، فإن المقياس ليس في النصر التكتيكي بل المقياس العقلاني هو النصر الاستراتيجي^(١)، أما في الآخرة فالأمر واضح.

وفي حديث احتجاج بعض الأصحاب مع أبي بكر في أمر الخلافة «ثم قام أبو أيوب الأنصاري، فقال: اتقوا عباد الله في أهل بيت نبيكم وارددوا إليهم حقهم الذي جعله الله لهم، فقد سمعتم مثل ما سمع إخواننا في مقام بعد مقام لنبينا ﷺ ومجلس بعد مجلس يقول: أهل بيتي أئمتكم بعدي، ويومئ إلى علي ﷺ ويقول: هذا أمير البررة، وقاتل الكفرة، مخذول من خذله، منصور من نصره، فتوبوا إلى الله من ظلمكم إياه إن الله تواب رحيم ولا تتولوا عنه مدبرين، ولا تتولوا عنه معرضين.

قال الصادق ﷺ: فأفحم أبو بكر على المنبر حتى لم يجر جواباً، ثم قال: ولئيتكم ولست بخيركم، أقيلوني أقيلوني، فقال له عمر بن الخطاب: انزل عنها يا لكع إذا كنت لا تقوم بحجج قريش لم أقمت نفسك هذا المقام، والله لقد هممت أن أخلعك وأجعلها في سالم مولى أبي حذيفة» الحديث^(٢).

(١) وانطلاقاً من هذا المنطلق الفطري والعقلاني قال الشاعر:

زعموا بأن قتل الحسين يزيدهم لكنما قتل الحسين يزيداً

(٢) الاحتجاج: ص ٧٩ ذكر طرف مما جرى بعد وفاة رسول الله ﷺ من اللجاج والحجاج في أمر الخلافة.

العصيان المدني

مسألة: يلزم التحريض على العصيان المدني وعلى النهضة الشعبية ضد الحكومة الجائرة كلاً أو ضد قرار جائر منها، لو لم يكن لإحقاق الحق طريق آخر، وهذا ما صنعه فاطمة الزهراء ﷺ في مطاوي هذه الخطبة.

ومن الوسائل لذلك بعث الروح في الأفراد والفئات وإعادة ثقتهم بأنفسهم وتعريفهم بأن بمقدورهم ذلك لو أرادوا، كما قالت ﷺ: «ولكم طاقة بما أحاول وقوة على ما أطلب وأزاول».

قال ﷺ: «من أعان أخاه المؤمن على سلطان جائر أعانه الله على إجازة الصراط عند زلزلة الأقدام»^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «مجالسة الموتى مفسدة للقلوب، فقليل له: يا رسول الله وما مجالسة الموتى؟ قال: مجالسة كل ضال عن الإيمان وجائر في الأحكام»^(٢).

وقال أبو جعفر ﷺ: «من مشى إلى سلطان جائر فأمره بتقوى الله ووعظه وخوفه كان له مثل أجر الثقلين من الجن والإنس ومثل أعمالهم»^(٣).

وقال ﷺ: «من قواصم الظهر سلطان جائر يعصي الله وأنت تطيعه»^(٤).

(١) كشف الرية: ص ٩٣ الفصل الخامس.

(٢) راجع الأمالي للشيخ المفيد: ص ٣١٥ المجلس ٣٧ ضمن ح ٦.

(٣) الاختصاص: ص ٢٦١-٢٦٢ حديث في زيارة المؤمن لله.

(٤) راجع دعائم الإسلام: ج ٢ ص ٥٤١ ضمن ح ١٩٢٨ كتاب آداب القضاة.

وقال ﷺ: «لا دين لمن دان بولاية إمام جائر ليس من الله»^(١).

وقال ﷺ: «أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر»^(٢).

وقال ﷺ: «من آثر رضى رب قادر فليتكلم بكلمة عدل عند سلطان جائر»^(٣).

وقال ﷺ: «من دخل على إمام جائر فقرأ عليه القرآن يريد بذلك عرضاً من عرض الدنيا لعن القارئ بكل حرف عشر لعنات ولعن المستمع بكل حرف لعنة»^(٤).

وقال ﷺ: «إن شر الناس عند الله إمام جائر ضل وضل به»^(٥).

وفي الحديث القدسي قال تعالى: «لأعذبن كل رعية دانت بإمام جائر وإن كانت في نفسها برة تقية، ولأرحمن كل رعية دانت بإمام عادل مني، وإن كانت في نفسها غير برة تقية»^(٦).

(١) تأويل الآيات: ص ١٠٢ سورة البقرة.

(٢) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ٢ ص ١٢.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٤٨ ح ٨٠٢٩.

(٤) الاختصاص: ص ٢٦٢.

(٥) الجمل: ص ١٨٧ نصيحة أمير المؤمنين ﷺ لعثمان.

(٦) الصراط المستقيم: ج ٢ ص ١٢٧ ف ٤.

بين القوة والطاقة

مسألتان: القدرة من شرائط التكليف عقلاً؛ وأما شرعاً فإن الله سبحانه وتعالى تفضلاً منه ورحمة لم يكتف في تشريع التكليف بإناطتها بالقدرة العقلية فقط، بل لم يوجه التكليف عادة إلا مع توفر القدرة العرفية وعدم حصول العسر والحرَج الكثيرين وهكذا الضرر.

قال تعالى: ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «لا حرج لا حرج»^(٢).

وقال أبو جعفر عليه السلام: «لم يجعل الله تبارك وتعالى في الدين من حرج»^(٣).

وقال تعالى: ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾^(٤).

وقال سبحانه: ﴿رينا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به﴾^(٥).

والسؤال هو هل أنه من الممكن أن الله يحمل المرء ما لا طاقة له به؟ فإن تحميل الإنسان ما لا طاقة له به خلاف العدل، والله عادل بالضرورة، فما معنى هذا الطلب؟

(١) سورة الحج: ٧٨.

(٢) راجع الكافي: ج ٤ ص ٥٠٤ باب من قدم شيئاً أو أخره من مناسكه ضمن ح ٢.

(٣) راجع الكافي: ج ١ ص ١٩١ باب في أنّ الأئمة شهداء الله (عزوجل) ضمن ح ٤.

(٤) سورة البقرة: ١٨٥.

(٥) سورة البقرة: ٢٨٦.

والجواب: أن المراد نهاية الطاقة مما يكون عسراً وحرَجاً لا أصل الطاقة، فالطلب هو طلب عدم تحميل ما هو عسر وحرَج، وإذا لاحظنا التكليف الإلهية نرى النادر منها - كالجهد - عسرياً أو حرَجياً، وذلك لمصلحة العبد نفسه أو لضرورة وحكمة أهم، إذ ضرر عدم الجهد أكبر وأكثر.

قال في (متشابه القرآن): قوله تعالى: ﴿لَا تَكْلِفْ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾^(١) الوسع دون الطاقة.

قال الشاعر:

كلفتها الوسع في سيري لها أصلاً والوسع منها دون الجهد والرخذ

وفي هذا دلالة على بطلان قول المجبرة من أن الله تعالى يكلف العبد ما لا قدرة له عليه^(٢).

سئل الإمام الرضا (عليه السلام) ف قيل له: هل يكلف الله العباد ما لا يطيقون؟ فقال (عليه السلام): «الله أعدل من ذلك»^(٣).

وفي التفسير: قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ أي ما يشتد تكليفه من العبادات المتعبة، يقال والله ما أستطيع النظر إليك ولا أطيق الاكتحال برويتك مع أنه يراه^(٤).

ولعل الفرق بين القوة والطاقة: أن الطاقة تطلق على القوى الكامنة في

(١) سورة البقرة: ٢٣٣.

(٢) راجع متشابه القرآن: ج ١ ص ١٤٦.

(٣) راجع متشابه القرآن: ج ١ ص ١٤٦.

(٤) راجع متشابه القرآن: ج ١ ص ١٤٦.

الإنسان نفسه، بخلاف القوة فإنها أعم، إذ قد تكون في غيره بسبب عشيرة أو سلاح أو مال أو جاه أو ما أشبه ذلك، وقد قال النبي لوط (عليه الصلاة والسلام): ﴿لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد﴾^(١).

ولا يخفى أن القوة اللازمة لنصرة فاطمة الزهراء (ع) وأخذ حقها من الغاصبين كانت موجودة في القوم، مضافاً إلى أن ذلك من باب الجهاد الذي يجب على الإنسان تحمل الضرر فيه وما أشبه.

وفي حديث المناشدة قال (ع): «أنشدكم بالله أتعلمون أن الله عز وجل أنزل في سورة الحج ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾»^(٢) إلى آخر السورة فقام سلمان فقال: يا رسول الله من هؤلاء الذين أنت عليهم شهيد وهم شهداء على الناس الذين اجتباهم ولم يجعل عليهم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم؟

قال (ع): «عنى بذلك ثلاثة عشر رجلاً خاصة دون هذه الأمة».

فقال سلمان: بينهم لنا يا رسول الله؟

فقال (ع): «أنا وأخي علي وأحد عشر من ولدي».

قالوا: اللهم نعم.

قال (ع): «أنشدكم بالله أتعلمون أن رسول الله (ص) قام خطيباً ولم يخطب

بعد ذلك، فقال: يا أيها الناس إنني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل

(١) سورة هود: ٨٠.

(٢) سورة الحج: ٧٧.

بيتي فتمسكوا بهما لا تضلوا فإن اللطيف الخبير أخبرني وعهد إليّ أنهما لن يفرقا حتى يردا عليّ الحوض» فقام عمر بن الخطاب وهو شبه المغضب فقال: يا رسول الله أكل أهل بيتك؟ قال: «لا ولكن أوصيائي منهم أولهم أخي ووزير وخليفتي في أمتي وولي كل مؤمن ومؤمنة بعدي هو أولهم، ثم ابني الحسن، ثم ابني الحسين، ثم تسعة من ولد الحسين، واحد بعد واحد حتى يردوا عليّ الحوض، شهداء لله في أرضه وحججه على خلقه وخزان علمه ومعادن حكمته، من أطاعهم فقد أطاع الله، ومن عصاهم فقد عصى الله».

فقالوا كلهم: نشهد أن رسول الله ﷺ قال ذلك^(١).

(١) راجع الاحتجاج: ج ١ ص ١٤٩.

تبرير التقاعس

مسألة: يحرم (تبرير) عدم التصدي للطغاة بـ (عدم القدرة) أو (قوة الحكومة) أو (التخويف من بطشها) في كثير من الحالات، حيث إن القدرة موجودة، وكان من مصاديق ذلك كثير من الأنصار والمهاجرين الذي أجمعهم الخوف وأقعدهم عن نصرته الحق، ولذلك قالت (صلوات الله عليها) إتماماً للحجة عليهم وإرشاداً للأجيال القادمة: «ولكم طاقة بما أحاول».

وعند دراسة نفسية المجتمعات البشرية على مر التاريخ نكتشف أن الكثير من الذي تعللوا في عدم الدفاع عن الحق بعدم المقدرة على التصدي للحكومة، كاذبون أو مخادعون، قال تعالى: ﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة  ولو ألقى معاذيره﴾^(١).

قال : «إذا دعاك الرجل لتشهد له على دين أو حق لم ينبغ لك أن تقاعس عنه»^(٢).

وعن أبي عبد الله  قال: «أيا مؤمن منع مؤمناً شيئاً مما يحتاج إليه وهو يقدر عليه من عنده أو من عند غيره أقامه الله يوم القيامة مسوداً وجهه مزرقه عيناه مغلوله يده إلى عنقه فيقال: هذا الخائن الذي خان الله ورسوله ثم يؤمر به إلى النار»^(٣).

(١) سورة القيامة: ١٤-١٥.

(٢) الكافي: ج ٧ ص ٣٨٠ باب الرجل يدعى إلى الشهادة ح ٣.

(٣) وسائل الشيعة: ج ١٦ ص ٣٨٧-٣٨٨ ب ٣٩ ح ٢١٨٣٦.

وعن الصادق عليه السلام قال: «من رأى أخاه على أمر يكرهه فلم يردده عنه وهو يقدر عليه فقد خانته»^(١).

وقال عليه السلام: «من سأل أخوه المؤمن حاجة من ضر فممنعه من سعة وهو يقدر عليها من عنده أو من عند غيره حشره الله يوم القيامة مغلولاً يده إلى عنقه حتى يفرغ الله من حساب الخلق»^(٢).

وقال عليه السلام: «ما من مؤمن يخذل أخاه وهو يقدر على نصرته إلا خذله الله في الدنيا والآخرة»^(٣).

وقال عليه السلام: «أيا مؤمن سأل أخاه المؤمن حاجة وهو يقدر على قضائها فردده بها سلط الله عليه شجاعاً في قبره ينهش أصابعه»^(٤).

وقال عليه السلام: «أيا مؤمن أتى أخاه في حاجة فإنما ذلك رحمة من الله ساقها إليه وسببها له فإن قضى حاجته كان قد قبل الرحمة بقبولها وإن رده عن حاجته وهو يقدر على قضائها فإنما رد عن نفسه رحمة من الله عز وجل ساقها إليه وسببها له وذخر الله عز وجل تلك الرحمة إلى يوم القيامة حتى يكون المردود عن حاجته هو الحاكم فيها إن شاء صرفها إلى نفسه وإن شاء صرفها إلى غيره»^(٥).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أيا رجل مسلم أتاه رجل مسلم في حاجة

(١) راجع الأملاني للصدوق: ص ٢٦٩-٢٧٠ المجلس ٤٦ ضمن ح ١.

(٢) مشكاة الأنوار: ص ١٨٦ ب ٤ ف الأول في اتخاذ الأخوان.

(٣) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٢٦٧-٢٦٨ ب ١٤٦ ح ١٦٢٧٤.

(٤) مستدرک الوسائل: ج ١٢ ص ٤٣٧ ب ٣٨ ح ١٤٥٥٦.

(٥) راجع الكافي: ج ٢ ص ١٩٣-١٩٤ باب قضاء حاجة المؤمن ضمن ح ٥.

وهو يقدر على قضائها فمنعه إياها غيره الله يوم القيامة تعيرا شديدا وقال له :
أتاك أخوك في حاجة قد جعلت قضاها في يدك فمنعته إياها زهدا منك في ثوابها
وعزتي لا أنظر إليك في حاجة معذبا كنت أو مغفورا لك»^(١).

وعن أبي عبد الله (ع) قال : «أما رجل من شيعتنا أتاه رجل من إخواننا
فاستعان به في حاجة فلم يعنه وهو يقدر، ابتلاه الله عزوجل بأن يقضي حوائج
عدو من أعدائنا يعذبه الله عليه يوم القيامة»^(٢).

وعن أبي عبد الله (ع) قال : «لم يدع رجل معونة أخيه المسلم حتى يسعى
فيها ويواسيه إلا ابتلي بمعونة من يأثم ولا يؤجر»^(٣).

وعن أبي الحسن (ع) قال : «من قصد إليه رجل من إخوانه مستجيرا به في
بعض أحواله فلم يجره بعد أن يقدر عليه فقد قطع ولاية الله عزوجل»^(٤).

وعن أبي بصير قال : سمعت أبا عبد الله (ع) يقول : «أما رجل من
أصحابنا استعان به رجل من إخوانه في حاجة ولم يبالغ فيها بكل جهد فقد خان
الله ورسوله والمؤمنين» قال أبو بصير : قلت لأبي عبد الله (ع) : ما تعني بقولك
والمؤمنين؟ قال : «من لدن أمير المؤمنين (ع) إلى آخرهم»^(٥).

وعن أبي جميلة قال : سمعت أبا عبد الله (ع) يقول : «من مشى في حاجة

(١) الأماشي للطوسي : ص ٩٩ المجلس ٤ ح ١٥٢.

(٢) ثواب الأعمال : ص ٢٤٩ عقاب من استعان به المؤمن فلم يعنه.

(٣) الكافي : ج ٢ ص ٣٦٦ باب من استعان به أخوه فلم يعنه ح ٣.

(٤) وسائل الشيعة : ج ١٦ ص ٣٨٦ ب ٣٧ ح ٢١٨٣٤.

(٥) المحاسن : ج ١ ص ٩٨ ب ٢٨ ح ٦٥.

أخيه ثم لم يناصحه فيها كان كمن خان الله ورسوله وكان الله خصمه»^(١).
وعن أبي الحسن الثالث ﷺ عن آبائه ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «لا تخب
راجيك فيمقتك الله ويعاديك»^(٢).
هذا كله بالنسبة إلى المؤمن العادي فكيف بأهل البيت ﷺ والتقاعس عن
حقهم.

عدالة الصحابة

مسألة: يستفاد من كلامها ﷺ هذا: أن الحاضرين في المسجد آنذاك (إلا
من خرج بالدليل) عاصون آثمون حينما سمعوا بظلامتها وكانوا قادرين على
دفعها فلم يفعلوا.
وحيث إن هذه المعصية من الكبائر بل من أكبرها وأشدّها^(٣) لذلك فإن هذا
الموقف منهم وتخاذلهم عن نصره فاطمة الزهراء ﷺ وأهل البيت ﷺ أسقط من
كان عادلا منهم عن العدالة كما هو واضح.
فكل ما يشترط فيه العدالة لا حق لهم فيه^(٤) ولا حجة لقولهم فيه^(١)، أما

(١) الكافي: ج ٢ ص ٣٦٣ باب من لم يناصح أخاه المؤمن ح ٤.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ١٢ ص ٤٣٥ ب ٣٨ ح ١٤٥٤٨.

(٣) لأنه تخاذل عن نصره سيدة نساء العالمين وعن نصره أمير المؤمنين علي وهو الإمام على الخلق أجمعين،
وإيذاء لها ﷺ و(من آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله) ومن كان كذلك (أكبه الله على منخره في
النار).

(٤) كإمامة الجماعة والقضاء.

ما يكفي فيه الوثاقة فمن ثبتت وثاقته يكون حاله كما في بني فضال حيث سألو: كيف نعمل بكتبهم وبيوتنا منها ملاء، فقال ﷺ: «خذوا بما رووا وذرُوا ما رأوا»^(٢)، وكذا ما ورد في كتب ابن أبي العزاقر بعد ما ذم وخرجت فيه اللعنة^(٣) على تفصيل مذكور في محله.

ولا يكتفي في عدالة الشخص بمعرفة حاله قبل هذه القضية إلا إذا علم أنه لم يكن من الساكتين والمتخاذلين، قال ﷺ: «السكوت عند الضرورة بدعة»^(٤)، ولو شك فهل أن وقوعه طرفاً للعلم الإجمالي قادح في استصحاب حاله أم لا، رغم كونه من شبهة الكثير في الكثير؟ فتأمل.

وقد ورد في الحديث الشريف: قال سليم ثم أقبل ﷺ على سلمان فقال: «إن القوم ارتدوا بعد رسول الله ﷺ إلا من عصمة الله بآل محمد»^(٥). وعن أمير المؤمنين ﷺ قال: «إن الناس كلهم ارتدوا بعد رسول الله ﷺ غير أربعة»^(٦).

وهكذا في مقتل الإمام الحسين ﷺ حيث ورد عن أبي عبد الله ﷺ قال: «ارتد الناس بعد قتل الحسين ﷺ إلا ثلاثة»^(٧).

(١) كالشهادة.

(٢) الغيبة للطوسي: ص ٣٩٠.

(٣) الغيبة للطوسي: ص ٣٩١-٣٩٢.

(٤) غوالي اللثالي: ج ١ ص ٢٩٣ ف ١٠ ح ١٧٥.

(٥) الاحتجاج: ج ١ ص ٨٦ ذكر طرف مما جرى بعد وفاة رسول الله ﷺ.

(٦) كتاب سليم بن قيس: ص ٥٩٨ الحديث الرابع.

(٧) رجال الكشي: ص ١٢٣ ح ١٩٤، يحيى بن أم طویل.

قولها ﷺ: «ولكم طاقة بما أحاول»، أي: بما أريد من استرجاع فذك لأن الأنصار كانوا أقوياء^(١) فكان عليهم أن يواجهوا ابن أبي قحافة ويشمروا سواعدهم لاسترجاع فذك، ولو فعلوا ذلك لردت فذك، إلا أنهم سكتوا ولم يتصدوا للدفاع.

قولها ﷺ: «وقوة على ما أطلب وأزاول» يقال: (زاوله) أي: مارسه وعمل لإصلاحه مثلاً، فان فاطمة (عليها الصلاة والسلام) كانت تزاوول مسئولية كبرى ومهمة خطيرة في محاولتها استرجاع فذك، والأنصار كانت لهم قوة على مساعدتها في استرجاع حقها المغتصب.

علماً بأن (فذك) لم تكن مجرد قطعة أرض بل كانت (رمزاً) للحقيقة، وكاشفاً عن كل من جبهتي الحق والباطل، أي كان لها جانب طريقي وموضوعي، ولذلك حد الإمام موسى بن جعفر ﷺ حدود فذك بحدود الدولة الإسلامية. روى علي بن أسباط قال: سئل موسى بن جعفر ﷺ عن حدود فذك؟ فقال: «حدها الأول عرش مصر، والحد الثاني دومة الجندل، والحد الثالث تيماء، والحد الرابع جبال أحد من المدينة»^(٢).

ومن هنا يعلم أن «ما أطلب» ليس مقتصراً على فذك، بل سائر الحقوق المضیعة أيضاً، ومنها الخلافة المغتصبة، ويفهم ذلك بالقرائن المقامية والمقالية الأخرى، وإن كان الظاهر المطالبة بفناء فحسب.

(١) بل أن أربعين شخصاً لو استعدوا لكفى كما يفهم من الأحاديث.

(٢) الطرائف: ج ١ ص ٢٥٢ ح ٣٥٠.

أَتَقُولُونَ مَاتَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أدلة الخصم

مسألة: استعراض أدلة الخصم في مقام الرد جائز، بل راجح وربما وجب، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿١﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٢﴾﴾^(١). وقال سبحانه: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾^(٢). وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾﴾^(٣).

وقال عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴿٤﴾﴾^(٤).

وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿٥﴾﴾^(٥).

(١) سورة يس: ٧٨-٧٩.

(٢) سورة البقرة: ٨٠.

(٣) سورة البقرة: ٨٨.

(٤) سورة البقرة: ٢٧٥.

(٥) سورة المائدة: ١٠٤.

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١).

وقال عز وجل: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغَضِبُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾^(٢).

وكما ذكرت الصديقة الطاهرة ﷺ في هذه الخطبة عدداً من استدلالاتهم أو من دوافعهم، ومنها: «أتقولون مات محمد؟

ولا يخفى أن الجواب محذوف وهذا من قبيل قوله سبحانه: ﴿أَمَنْ هُوَ قَانَتْ آنَاءُ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(٣)، وما أشبه ذلك كما ذكره البلغاء^(٤).

أي: أتقولون إن محمداً ﷺ مات وانتهى الأمر، أي فسقط التكليف عنا، أهذا هو الصحيح، كلا وألف كلا، إذ أن تكاليف الإسلام تكاليف دائمة، سواء مات الرسول ﷺ أم بقي على قيد الحياة، فإذا كانت حجتكم للتواني والتكاسل أن الرسول ﷺ قد مات وانقطع أمره فهذا خطأ بين، لأن أوامر الرسول ﷺ لا تنقطع بموته.

(١) سورة الأنعام: ٣٧.

(٢) سورة المائدة: ١٨.

(٣) سورة الزمر: ٩.

(٤) راجع كتاب (البلاغة) للإمام الشيرازي ﷺ.

قال الإمام الصادق (ع): «حلال محمد حلال إلى يوم القيامة، وحرامه حرام إلى يوم القيامة ولأن عندنا صحيفة طولها سبعون ذراعاً وما خلق الله حلالاً ولا حراماً إلا فيها ... حتى أرش الخدش وما سواها، والجلدة ونصف الجلدة»^(١).

وفي الخبر: «إن النبي (ص) كان يخبر عن وفاته بمدة ويقول قد حان مني خفوق من بين أظهركم، وكانت المنافقون يقولون: لئن مات محمد لنخرب دينه، فلما كان موقف الغدير قالوا: بطل كيدنا، فنزلت: ﴿اليوم يؤسّ الذين كفروا﴾^(٢) الآية»^(٣).

وعن الإمام الباقر (ع) قال في قوله: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾^(٤) «الآية نزلت فيهم، وذلك حيث اجتمعوا فقالوا لئن مات محمد لم نسمع لعلي (ع) ولا لأحد من أهل بيته»^(٥).

وفي تفسير القمي: قال رسول الله (ص): «أيها الناس إنني تارك فيكم الثقلين، قالوا: يا رسول الله ما الثقلان، قال: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فانه قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يراد عليّ الحوض كإصبعي هاتين، وجمع بين سبابتيه، ولا أقول كهاتين، وجمع بين سبابتيه والوسطى فتفضل هذه

(١) راجع بصائر الدرجات: ص ١٤٨ ب ١٣ باب آخر فيه أمر الكتب ضمن ح ٧.

(٢) سورة المائدة: ٣

(٣) المناقب: ج ٣ ص ٤٠ فصل في قصة يوم الغدير.

(٤) سورة آل عمران: ٣١.

(٥) المناقب: ج ٣ ص ٢٠٥ فصل في بغضه (ع).

على هذه» فاجتمع قوم من أصحابه وقالوا: يريد محمد أن يجعل الإمامة في أهل بيته، فخرج أربعة نفر منهم إلى مكة ودخلوا الكعبة وتعاهدوا وتعاقدوا وكتبوا فيما بينهم كتاباً: إن مات محمد أو قتل أن لا يردوا هذا الأمر في أهل بيته أبداً، فانزل الله على نبيه في ذلك ﴿أَمْ أَبْرَمُوا أَمْراً فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ * أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ^(١) الحديث^(٢).

وعن سليمان بن خالد قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ﴾^(٣) قال: «فلان، قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾»^(٤) فلان وفلان وابن فلان أمينهم، حين اجتمعوا فدخلوا الكعبة فكتبوا بينهم كتاباً إن مات محمد أن لا يرجع الأمر فيهم أبداً»^(٥).

قال العلامة المجلسي عليه السلام: أبو فلان أبو عبيدة^(٦).

وفي الحديث أن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وآله الذين ارتدوا بعده قالوا: قد قال محمد في مسجد الخيف ما قال^(٧) وقال هاهنا ما قال وإن رجع إلى المدينة يأخذنا بالبيعة له - أي لعلي عليه السلام - فاجتمعوا أربعة عشر نفرأً وتآمروا على قتل رسول الله صلى الله عليه وآله وقعدوا في العقبة، وهي عقبة هرشى بين الجحفة والأبواء، فقعدوا سبعة

(١) سورة الزخرف: ٧٩-٨٠.

(٢) تفسير القمي: ج ١ ص ١٧٣ خطبة النبي صلى الله عليه وآله يوم الغدير.

(٣) سورة المجادلة: ١٠.

(٤) سورة المجادلة: ٧.

(٥) تفسير القمي: ج ٢ ص ٣٥٦.

(٦) بحار الأنوار: ج ٢٨ ص ٨٦ ب ٣ ح ٢.

(٧) أي في أمر ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام وخلافته من بعده.

عن يمين العقبة وسبعة عن يسارها لينفروا ناقة رسول الله ﷺ، فلما جن الليل تقدم رسول الله ﷺ في تلك الليلة العسكر فأقبل ينعس على ناقته، فلما دنا من العقبة ناداه جبرئيل: يا محمد إن فلانا وفلانا وفلانا قد قعدوا لك.

فنظر رسول الله ﷺ فقال: «من هذا خلفي».

فقال حذيفة اليماني: أنا يا رسول الله حذيفة بن اليمان.

قال: سمعت ما سمعت.

قال: بلى.

قال: فاكنتم.

ثم دنا رسول الله ﷺ منهم فناداهم بأسمائهم.

فلما سمعوا نداء رسول الله ﷺ فروا ودخلوا في غمار الناس وقد كانوا

عقلوا رواحلهم فتركوها ولحق الناس برسول الله ﷺ وطلبوهم وانتهى رسول الله ﷺ إلى رواحلهم فعرفهم.

فلما نزل قال ﷺ: «ما بال أقوام تحالفوا في الكعبة إن مات محمد أو قتل

ألا يردوا هذا الأمر في أهل بيته أبدا».

فجاءوا إلى رسول الله ﷺ فحلفوا أنهم لم يقولوا من ذلك شيئا ولم

يريدوه ولم يكتموا شيئا من رسول الله ﷺ، فأنزل الله ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا

قَالُوا﴾ أن لا يردوا هذا الأمر في أهل بيت رسول الله ﷺ ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ

الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾ من قتل رسول الله ﷺ

﴿وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ

وَأِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ

مِنْ وَلِيِّ وَلَا نَصِيرٍ»^(١) فرجع رسول الله ﷺ إلى المدينة وبقي بها محرم والنصف من صفر لا يشتكي شيئاً ثم ابتدأ به الوجد الذي توفي فيه رسول الله ﷺ.

قولها ﷺ: «أتقولون مات محمد ﷺ» فيه إشارة وتذكير أيضاً بالآية الشريفة: ﴿أَفْتَنَ مَاتَ أَوْ قَتَلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾^(٢).

عند أمن الإضلال

مسألة: يختص جواز استعراض أدلة الخصم بما لم يوجب الإضلال، كما هو واضح، وذلك كما لو كان السائل - أو الجمهور - بحيث لو طرحت عليه الشبهة لأثرت فيه دون أن يقتنع بعدها بالجواب أو الأجوبة، وقد أمرنا الأئمة أن لا نكلم الناس إلا على قدر عقولهم^(٣)، وقال ﷺ: «إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم»^(٤)، ولو كان القراء أو المستمعون مختلفين من هذه الجهة لوحظ ذلك أيضاً، أو الأهم أو ما أشبهه.

ومثله حكم كتب الضلال حيث قال الفقهاء بحرمة حفظها والتكسب بها إلا للرد، قال في المقنعة: «ولا يحل كتب الكفر وتجليده الصحف إلا لإثبات الحجج في فسادها، والتكسب بحفظ كتب الضلال وكتبه على غير ما ذكرناه

(١) سورة التوبة: ٧٤.

(٢) سورة آل عمران: ١٤٤.

(٣) انظر التوحيد: ص ١٢٠ ب ٨ ضمن ح ٢٢.

(٤) الكافي: ج ١ ص ٢٣ كتاب العقل والجهل ح ١٥.

حرام»^(١).

قال الشيخ (ع) في المكاسب: «حفظ كتب الضلال حرام في الجملة، بلا خلاف كما في التذكرة والمنتهى، ويدل عليه مضافاً إلى حكم العقل بوجوب قطع مادة الفساد، والذم المستفاد من قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٢) والأمر بالإعراض عن قول الزور، وقوله (ع) فيما تقدم من رواية تحف العقول: إنما حرم الله تعالى الصناعة التي هي حرام كلها التي يجيء منها الفساد محضاً، إلى آخر الحديث. بل قوله (ع) قبل ذلك: أو يقوى به الكفر والشرك من جميع وجوه المعاصي أو باب يوهن به الحق، إلى آخره»^(٣).

قال رسول الله (ص): «إن الله غافر كل ذنب إلا من أحدث ديناً أو اغتصب أجيراً أجره أو رجل باع حراً»^(٤).

وعن أبي عبد الله (ع) قال: كان رجل في الزمن الأول طلب الدنيا من حلال فلم يقدر عليها، وطلبها من حرام فلم يقدر عليها، فأتاه الشيطان فقال له: يا هذا إنك قد طلبت الدنيا من حلال فلم تقدر عليها فطلبتها من حرام فلم تقدر عليها، أفلا أدلك على شيء تكثر به دنياك ويكثر به تبعك؟ فقال: بلى.

(١) المقنعة: ص ٥٨٨-٥٨٩ باب المكاسب.

(٢) سورة لقمان: ٦.

(٣) إيصال الطالب إلى المكاسب: ج ٢ ص ١٧٩-١٨٠ السابعة حفظ كتب الضلال.

(٤) وسائل الشيعة: ج ١٩ ص ١٠٨ ب ٥ ح ٢٤٢٥٦.

قال : تبدع دينا وتدعو إليه الناس .

ف فعل ، فاستجاب له الناس فأطاعوه فأصاب من الدنيا ، ثم إنه فكر فقال :
ما صنعت ابتدعت دينا ودعوت الناس إليه وما أرى لي توبة إلا أن آتي من دعوته
إليه فأرده عنه .

فجعل يأتي أصحابه الذين أجابوه فيقول : إن الذي دعوتكم إليه باطل
ولما ابتدعته .

فجعلوا يقولون : كذبت هو الحق ولكنك شككت في دينك فرجعت عنه .
فلما رأى ذلك عمد إلى سلسلة فوتد لها وتدا ثم جعلها في عنقه وقال :
لا أحلها حتى يتوب الله عليّ .

فأوحى الله عز وجل إلى نبي من الأنبياء : قل لفلان : وعزتي وجلالي لو
دعوتني حتى تنقطع أوصالك ما استجبت لك حتى ترد من مات على ما دعوته
إليه فيرجع عنه»^(١) .

وعن الثمالي : قال سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل : ﴿وَمَنْ
أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغْيِرْ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾^(٢) ، قال : «عنى الله بها من اتخذ
دينه رأيه من غير إمام من أئمة الهدى»^(٣) .

وعن سماعة بن مهران عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له : قول الله تبارك
وتعالى : ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ

(١) من لا يحضره الفقيه : ج ٣ ص ٥٧٢-٥٧٣ باب معرفة الكبائر ح ٤٩٥٨ .

(٢) سورة القصص : ٥٠ .

(٣) بصائر الدرجات : ص ١٣ ب ٨ ح ٣ .

جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً^(١). فقال: «من أخرجها من ضلال إلى هدى فقد أحياها، ومن أخرجها من هدى إلى ضلال فقد قتلها»^(٢).
وعن الصادق عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «من دعي إلى ضلال لم يزل في سخط الله حتى يرجع منه»^(٣).

لا تقاعس بموت القائد

مسألة: يحرم تبرير التقاعس^(٤) بموت القائد أو غيابه، أو بعدم قيام الآخرين بالدور المناط بهم، كما نجد كثيراً من الناس يتعلل لعدم العمل بأن العالم الفلاني أو التجمع الفلاني لم يقوم بواجبه من الإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما أشبه أفأقوم بهما أنا؟، بل لو كان الأمر واجباً كفائياً ولم يقوم من فيه الكفاية لوجب على الشخص أن يؤديه فكيف بالواجب العيني.
قال عليه السلام: «إذا ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فليأذنوا بوقاع من الله»^(٥).

وخطب أمير المؤمنين عليه السلام الناس فحمد الله وأثنى عليه وذكر ابن عمه

(١) سورة المائدة: ٣٢.

(٢) المحاسن: ج ١ ص ٢٣١-٢٣٢ ب ١٨ ح ١٨١.

(٣) بحار الأنوار: ج ٢ ص ٢٢ ب ٨ ح ٦٤.

(٤) التقاعس: هو من تقاعس فلان إذا لم ينفذ ولم يعض لما كلف، راجع معاني الأخبار: ص ٣٤٦ باب معنى الاقيعس.

(٥) أعلام الدين: ص ٤٠٧ باب ما جاء من عقاب الأعمال.

محمدا ﷺ فصلى عليه ثم قال: «أما بعد فإنه إنما هلك من كان قبلكم بحيث ما عملوا من المعاصي ولم ينههم الربانيون والأحبار عن ذلك، فإنهم لما تماردوا في المعاصي نزلت بهم العقوبات فأمرُوا بالمعروف وانهوا عن المنكر واعلموا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقربان أجلا ولا يقطعان رزقا، فإن الأمر ينزل من السماء إلى الأرض كقطر المطر إلى كل نفس ما قدر الله من زيادة ونقصان فإن أصابت أحدكم مصيبة في أهل ومال ونفس ورأى عند أخيه عقوبة فلا يكونن عليه فتنة ينتظر إحدى الحسينين إما داع إلى الله فما عند الله خير له وإما الرزق من الله فإذا هو ذو أهل ومال والبنون لحرث الدنيا والعمل الصالح لحرث الآخرة وقد يجمعهما الله لأقوام»^(١).

وقال أمير المؤمنين ﷺ: «من ترك إنكار المنكر بقلبه ويده ولسانه فهو ميت الأحياء»^(٢).

وعن أمير المؤمنين ﷺ قال: «إن أول ما تقلبون إليه من الجهاد: الجهاد بأيديكم، ثم الجهاد بقلوبكم، فمن لم يعرف قلبه معروفا ولم ينكر منكرا نكس قلبه فجعل أسفله أعلاه فلا يقبل خيرا أبدا»^(٣).

وروي أن رجلا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: أخبرني ما أفضل الأعمال؟

فقال ﷺ: «الإيمان بالله».

(١) الزهد: ص ١٠٥-١٠٦ ب ٢٠ ح ٢٨٨.

(٢) غوالي اللثالي: ج ٣ ص ١٨٨ باب الجهاد ح ٢٤.

(٣) بحار الأنوار: ج ٩٧ ص ٨٢ ب ١ ح ٦.

قال : ثم ماذا؟

قال : «ثم صلة الرحم».

قال : ثم ماذا؟

قال : «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

فقال الرجل : فأبي الأعمال أبغض إلى الله؟

قال : «الشرك بالله».

قال : ثم ماذا؟

قال : «قطيعة الرحم».

قال : ثم ماذا؟

قال : «الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف»^(١).

وعن أحدهما  أنه قال : «ويل لمن لا يدين الله بالأمر بالمعروف والنهي

عن المنكر»^(٢).

(١) بحار الأنوار: ج ٩٧ ص ٨٢ ب ١ ح ٤٤.

(٢) الزهد: ص ١٩ ب ٢ ح ٤١.

فخطب جليل، استوسع وهنه^(١)، واستنهر فتقه، وانفتق رتقه^(٢).

آثار وفاة الرسول ﷺ

مسألة: يستفاد من كلامها ﷺ هاهنا وما سيأتي من تصريحاتها: إن وفاته ﷺ (خطب جليل استوسع وهيه...) في شتى الجهات: تكوينياً وتشريعياً، لهذا العالم ولسائر العوالم، سياسياً واجتماعياً، وفكرياً وعملياً، حالياً ومستقبلياً...

وذلك للإطلاق وحذف المتعلق، وللقرائن والتصريحات اللاحقة منها ﷺ، والألفاظ المشككة^(٣) في مثل المقام تحمل على أعلى المراتب.

وقد ورد في زيارته ﷺ يوم السبت بعد الاسترجاع ثلاثاً: «أصبنا بك يا حبيب قلوبنا، فما أعظم المصيبة بك، حيث انقطع عنا الوحي وحيث فقدناك فإننا لله وإنا إليه راجعون»^(٤).

روي بالأسانيد عن علي بن أبي طالب ؓ أنه قال: «قدم على رسول الله ﷺ حبر من أحبار اليهود فقال: يا رسول الله قد أرسلني إليك قومي وقالوا إنه عهد إلينا نبينا موسى بن عمران وقال إذا بعث بعدي نبي اسمه محمد وهو عربي فامضوا إليه واسألوه أن يخرج لكم من جبل هناك سبع نوق حمر الوبر

(١) وفي بعض النسخ: (استوسع وهيه).

(٢) وفي بعض النسخ: (واستنهر فتقه، وفقد راتقه، وأظلمت الأرض واكتأبت لخيرة الله).

(٣) ف (جليل) لفظ له مراتب.

(٤) جمال الأسبوع: ص ٢٩-٣٠ ذكر زيارة النبي ﷺ في يوم السبت.

سود الحديق، فإن أخرجها لكم فسلموا عليه وآمنوا به واتبعوا النور الذي أنزل معه، فهو سيد الأنبياء ووصيه سيد الأوصياء وهو منه كمثل أخي هارون مني. فعند ذلك قال عليه السلام: الله أكبر قم بنا يا أخا اليهود.

قال: فخرج النبي عليه السلام والمسلمون حوله إلى ظاهر المدينة وجاء إلى جبل فبسط البردة وصلى ركعتين وتكلم بكلام خفي وإذا الجبل يصير صريحا عظيما فانشق وسمع الناس حنين النوق.

فقال: اليهود مد يدك، فإننا نشهد أن لا إله إلا الله وأنت محمد رسول الله عليه السلام وأن جميع ما جئت به صدق وعدل، يا رسول الله فأمهلني حتى أمضي إلى قومي وأخبرهم ليقبضوا عدتهم منك ويؤمنوا بك.

قال: فمضى الخبر إلى قومه بذلك ففروا بأجمعهم وتجهزوا للمسير وساروا يطلبون المدينة ليقبضوا عدتهم، فلما دخلوا المدينة وجدوها مظلمة مسودة بفقد رسول الله عليه السلام وقد انقطع الوحي من السماء وقد قبض عليه السلام وجلس مكانه أبو بكر، فدخلوا عليه وقالوا: أنت خليفة رسول الله عليه السلام؟

قال: نعم.

قالوا: أعطنا عدتنا من رسول الله عليه السلام.

قال: وما عدتكم؟

قالوا: أنت أعلم منا بعدتنا إن كنت خليفته حقا، وإن لم تكن خليفته

فكيف جلست مجلس نبيك بغير حق لك ولست له أهلا؟

فقام وقعد وتحير في أمره ولم يعلم ماذا يصنع، وإذا برجل من المسلمين قد

قام وقال: اتبعوني حتى أدلكم على خليفة رسول الله عليه السلام.

قال: فخرج اليهود من بين يدي أبي بكر وتبعوا الرجل حتى أتوا إلى منزل فاطمة الزهراء ﷺ فطرقوا الباب وإذا الباب قد فتح وخرج إليهم علي وهو شديد الحزن على رسول الله ﷺ فلما رأهم قال: أيها اليهود تريدون عدتكم من رسول الله ﷺ؟

قالوا: نعم.

فخرج معهم إلى ظاهر المدينة إلى الجبل الذي صلى عنده رسول الله ﷺ فلما رأى مكانه تنفس الصعداء وقال: بأبي وأمي من كان بهذا الموضع منذ هنيئة ثم صلى ركعتين وإذا بالجبل قد انشق وخرجت النوق وهي سبع نوق. فلما رأوا ذلك قالوا بلسان واحد: نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ وأن ما جاء به النبي ﷺ من عند ربنا هو الحق وأنت خليفة حقا ووصيه ووارث علمه، فجزاه الله وجزاك عن الإسلام خيرا، ورجعوا إلى بلادهم مسلمين موحدين»^(١).

الخطب الجليل

مسألة: يستحب إلفات الناس إلى أن موت الرسول ﷺ خطب جليل، استوسع وهنه... فإن بيان وفيات المعصومين ﷺ وآثارها كبيان أفراحهم ومواليدهم داخل في قوله ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى اطلع إلى الأرض فاخترنا واختار لنا شيعة ينصروننا ويفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا»^(٢)، وهو من

(١) الفضائل: ص ١٣٠-١٣٢.

(٢) الخصال: ج ٢ ص ٦٣٥، وتأويل الآيات: ص ٦٤١ سورة الحديد.

المشاركة الوجدانية المحبوبة عقلاً قبل أن تكون محبوبة شرعاً.

قال الإمام الرضا (ع): «من تذكر مصابنا فبكى وأبكى لم تبك عينه يوم تبكي العيون، ومن جلس مجلساً يحيى فيه أمرنا لم يميت قلبه يوم تموت فيه القلوب»^(١).

وفي الخصال عن أبي جعفر (ع) قال: «تزاوروا في بيوتكم، فإن ذلك حياة لأمرنا، رحم الله عبداً أحى أمرنا»^(٢).

وقال (ع) في وصف شيعة علي أمير المؤمنين (ع): «المتبازلون في ولايتنا، المتحابون في مودتنا، المتزاورون لإحياء أمرنا»^(٣).

وهكذا من الراجح تذكير الناس بوفاة الأئمة المعصومين (ع) وشهادتهم، وكذلك شهادة فاطمة الزهراء (ع)، وهكذا بالنسبة إلى القادة العلماء وما ينجم عنها من الخسائر الكبيرة، وذلك من مصاديق (التعظيم) ومن أسباب التفاف الناس حول مبادئهم أكثر فأكثر، ومن علل تمسك الناس بالأحياء منهم أكثر فأكثر، وقد ورد في زيارة عاشوراء: «مصيبه ما أعظمها وأعظم رزيتها في الإسلام وفي جميع السماوات والأرض»^(٤).

فعن الهروي قال سمعت الإمام الرضا (ع) يقول: «رحم الله عبداً أحى

(١) الأملالي للشيخ الصدوق: ص ٧٣ المجلس ١٧ ح ٤.

(٢) الخصال: ج ١ ص ٢٢ ح ٧٧.

(٣) الخصال: ج ٢ ص ٣٩٧ في الشيعة سبع خصال ضمن ح ٤.

(٤) انظر مصباح الكفعمي: ص ٤٨٤، والبلد الأمين: ص ٢٧٠، وكامل الزيارات: ص ١٧٧ ب ٧١ ثواب

من زار الحسين (ع) يوم عاشوراء..

أمرنا، فقلت له: فكيف يحيى أمركم؟ قال: يتعلم علومنا ويعلمها الناس، فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا»^(١).

وقال ﷺ: «حبيبونا إلى الناس ولا تبغضونا إليهم»^(٢).

وقال ﷺ: «رحم الله من حبنا إلى الناس ولم يكرهنا إليهم»^(٣).

تخليد ذكرى الرسول ﷺ

مسألة: يستحب الاهتمام بذكرى وفاة النبي ﷺ وتخليد ذكره.

وكذلك بالنسبة إلى سائر المعصومين (عليهم الصلاة والسلام).

بل وكذلك ذويهم كالسيدة زينب (عليها الصلاة والسلام) وأبي طالب ﷺ

وحمزة ﷺ ومن أشبههم، فإن قوله ﷺ: «المرء يحفظ في ولده»^(٤) يجري في

القربى أيضاً، وإنما جاء ذكر (الولد) من باب المثال الأظهر والمصداق الأوضح.

ويؤيده بل يدل عليه قوله سبحانه: ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى

ببعض في كتاب الله﴾^(٥).

وفي الحديث عن الأزدي عن أبي عبد الله ﷺ قال: «تجلسون وتتحدثون،

قال: قلت: جعلت فداك نعم، قال: إن تلك المجالس أحبها، فأحيوا أمرنا، انه

(١) معاني الأخبار: ص ١٨٠ باب معنى قول الصادق ﷺ من تعلم علماً ليباري به ضمن ح ١.

(٢) الحكايات: ص ٩٣، وأعلام الدين: ص ١٤٣، وفقه الإمام الرضا ﷺ: ص ٣٥٦.

(٣) الأمالي للشيخ المفيد: ص ٣١ المجلس ٤ ضمن ح ٤.

(٤) المناقب: ج ٢ ص ٢٠٦، شرح نهج البلاغة: ج ١٦ ص ٢١٢ ب ٤٥ ف ١.

(٥) سورة الأنفال: ٧٥، وسورة الأحزاب: ٦.

مَنْ ذَكَرْنَا أَوْ ذُكِّرْنَا عِنْدَهُ فَخَرَجَ مِنْ عَيْنِهِ مِثْلُ جَنَاحِ ذِبَابَةٍ غَفَرَ اللَّهُ ذَنْبَهُ وَلَوْ كَانَتْ أَكْثَرَ مِنْ زَبَدِ الْبَحْرِ»^(١).

وقال أبو جعفر (ع): «رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا حَبَسَ نَفْسَهُ عَلَيْنَا، رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَى أَمْرَنَا»^(٢).

وعن أبي عبد الله (ع) في وصاياه لشييعته: «فَإِنْ فِي لِقَاءِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا حَيَاةً لِأَمْرِنَا» ثم قال: «رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَى أَمْرَنَا»^(٣).

وعن الإمام الباقر (ع): «إِنَّمَا شِيعَةُ عَلِيِّ الْمُبَازِلُونَ فِي وَلَايَتِنَا، الْمُتَحَابُّونَ فِي مَوَدَّتِنَا، الْمُتَزَاوِرُونَ لِإِحْيَاءِ أَمْرِنَا» الحديث^(٤).

وعن أبي عبد الله (ع): «اقْرَأْ مَوَالِينَا السَّلَامَ وَأَوْصِهِمْ بِتَقْوَى اللَّهِ الْعَظِيمِ.. وَأَنْ يَتَلَقَّوْا فِي بَيْوتِهِمْ فَإِنْ لِقَاءَهُمْ حَيَاةً لِأَمْرِنَا» ثم رفع يده فقال: «رَحِمَ اللَّهُ مَنْ أَحْيَى أَمْرَنَا»^(٥).

وقال الإمام الصادق (ع): «نَفْسُ الْمَهْمُومِ لَظْلَمْنَا تَسْبِيحًا، وَهَمَّهُ لَنَا عِبَادَةٌ»^(٦).

قولها (ع): «فَخُطِبَ جَلِيلٌ اسْتَوْسَعَ وَهْنَهُ» (الخطب): الشأن، و(جليل):

(١) ثواب الأعمال: ص ١٨٧ ثواب من ذكر عنده أهل البيت (ع)...

(٢) كمال الدين: ج ٢ ص ٦٤٤ باب ما روي في ثواب المنتظر للفرج ضمن ح ٢.

(٣) مصادقة الإخوان: ص ٣٤ باب اجتماع الإخوان في محادثتهم ضمن ح ٦.

(٤) صفات الشيعة: ص ١٣ ح ٢٣.

(٥) الاختصاص: ص ٢٩.

(٦) الأمالي للطوسي: ص ١١٥ المجلس ٤ ح ١٧٨.

أي عظيم ، و(استوسع) بمعنى : اتسع ، و(الوهن) عبارة عن : الضعف .
 أي : إن الوهن والضعف الذي نجم عن وفاة الرسول ﷺ قد توسع
 واتسع ، حتى عم الضعف صفوف المسلمين .
 قولها ﷺ : «واستنهر فتقه» الإستهجار : استفعال من النهر بالتحريك ،
 بمعنى : السعة أي : اتسع .
 و(الفتق) عبارة عن الشق وهو ضد الرق ، كأنه ثوب اتسع فتقه فصعب
 رتقه مرة ثانية .

الأمم ومسيرة الانحطاط

مسألة: مسيرة الانحراف في الأمم تبدأ بخطوة ثم تتسع ، وهكذا في الفرد .
 ولعل استخدامها ﷺ صيغة (الاستفعال) في الفعلين للتنبيه على قاعدة
 عامة في مسيرة الأمم المنحطة ، من جهة أن من طبيعة الوهن أن يتسع ، ومن
 طبيعة الفتق أن يتزايد ، فكأنهما يطلبان مزيداً من الوهن والفتق ، مثل :
 (استخرج) بمعنى : طلب الخروج ، ومثل : (استنسر) في قول الشاعر : (ان البغات
 بأرضنا تستنسر) .

أي : تطلب أن تكون نسراً ، فإن الأصل في الاستفعال الطلب ، فهو إشارة
 إلى سنة اجتماعية وقاعدة هامة في علم النفس الاجتماعي ، فإن التخاذل في
 الأمم ما إن يبدأ حتى يتسع ويتزايد ، والفتن ما إن تلوح حتى تتكاثر ويعضد
 بعضها بعضاً ، والمعاصي كذلك ، فقد ورد أن السيئات بعضها آخذ بعنق بعض ،

وهكذا، فإن أمواج الفساد الخلقي في الأمم وسائر المحرمات كالربا والنفاق والتخاذل عن نصرة المظلوم و... تبدأ ضعيفة ثم تتسع وتمتد باطراد، فهي كالأمراض المعدية إلا أن يقف بوجهها عامل قوي.

ومما لا شك فيه أن وقفها (ع) ضد هذه التموجات قد كبح من انطلاقها الهائلة إلى حد كبير، وكذلك كانت ثورة الإمام الحسين (ع)، وإلا لما بقي من الإسلام حتى الاسم، ولعم الظلم كل الكون بأقبح صورة حتى مجاهيل المستقبل.

ويستشعر من استخدامها (صلوات الله عليها) صيغة الاستفعال بالمعنى الذي ذكر: أن فيه تلميحاً إلى تضاعف حجم مسؤوليتهم مع علمهم بأن الفتنة في استنهار، والوهن في توسع، وبذلك فإن تخليهم عن الدفاع عن خليفة رسول الله (ﷺ): الإمام علي بن أبي طالب (ع) - وهو^(١) الطريق الوحيد للتعويض عن خلأ فقد الرسول (ﷺ) ولجبر الكسر ورتق الفتق - يحملهم كافة المضاعفات السلبية والمعاصي المستقبلية التي تنتج عن موقفهم هذا.

قولها (ع): «وانفتق رتقه» الرتق ضد الفتق، كما يخاط الثوب المفتوق، وانفتق أي: صار مرة ثانية منفتقاً بعد أن رتق، فالرسول (ﷺ) رتق الاجتماع رتقاً صحيحاً، بعد ما كانوا في الجاهلية منفتقين ثم بموت الرسول (ﷺ) انفتق ذلك الرتق ورجعوا إلى جاهليتهم الأولى.

(١) أي الدفاع عن خلفته (ع).

امتداد النبوة

مسألة: هناك بعدان من الأبعاد الاجتماعية والعقائدية والسياسية والاقتصادية وغيرها، التي أشارت ﷺ إليهما بهاتين الجملتين: (استنهر فتقه وانفتق رتقه):

١: إن الرسول ﷺ رتق كثيراً مما كان منفتقاً في المجتمع وأدى ما عليه بأحسن ما يمكن.

٢: إن على خليفته ﷺ المنصوص عليه بأمر من الله عز وجل أن يرتق ما بقي من الفتق أو ما سيحصل منه، فإن قصر فترة عمره ﷺ الشريف وكثرة المشاكل والحروب وعدم قابلية القابل في الكثيرين ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾^(١) وكثرة المنافقين والفتن لم تسمح بأن يحول كل مثالب المجتمع إلى محاسن، ولذلك أمره الله تعالى بأن يعين من يواصل المسيرة الإلهية الإصلاحية بقوله: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين﴾^(٢).

هذا مضافاً إلى الفتق الذي سيحدث بعده ﷺ، فإنه بحاجة إلى من يكون بمنزلة نفس النبي ﷺ لكي يرتقه رتقاً صحيحاً.

وهي ﷺ تشير إلى هذين البعدين في خطبتها الشريفة، فقد استنهر واتسع

(١) سورة القصص: ٥٦.

(٢) سورة المائدة: ٦٧.

ما كان منفتقاً، وقد انفتق ما رتقه عليها السلام.

وفي الدعاء: «اللهم اشعب بهم الصدع، وارتق بهم الفتق، وأمت بهم الجور، وأظهر بهم العدل، وزين بطول بقائهم الأرض»^(١).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة: «فصدع بما أمر به وبلغ رسالات ربه فلم الله به الصدع ورتق به الفتق وألف به الشمل بين ذوي الأرحام بعد العداوة الواغرة في الصدور والضغائن القادحة في القلوب»^(٢).

وفي نهج البلاغة أيضاً: «إن الله بعث محمداً عليه السلام نذيراً للعالمين، وأميناً على التنزيل، وأنتم معشر العرب على شر دين، وفي شر دار مُنيخون، بين حجارة خشن وحيات صم، تشربون الكدر وتأكلون الجشب وتسفكون دماءكم وتقطعون أرحامكم، الأصنام فيكم منصوبة والآثام بكم معصوبة»^(٣).

وفيه أيضاً: «إن الله سبحانه بعث محمداً وليس أحد من العرب يقرأ كتاباً ولا يدعي نبوة، فساق الناس حتى بوأهم محلّتهم وبلغهم منجاتهم فاستقامت قناتهم واطمأنت صفاتهم»^(٤).

وفيه أيضاً: «ابتعثه بالنور المضيء والبرهان الجلي والمنهاج البادي والكتاب الهادي، أسرته خير أسرة وشجرته خير شجرة، أغصانها معتدلة وثمارها متهدلة، مولده بمكة وهجرته بطيبة، علا بها ذكره وامتد منها صوته، أرسله

(١) انظر مصباح الكفعمي: ص ٦٥٣ ف ٤٦ فيما يعمل في شهر شوال.

(٢) نهج البلاغة، الخطب: ٢٦ من خطبة له عليه السلام وفيها يصف العرب قبل البعثة.

(٣) نهج البلاغة، الخطب: ٢٦ من خطبة له عليه السلام وفيها يصف العرب قبل البعثة.

(٤) نهج البلاغة، الخطب: ٣٣ من خطبة له عليه السلام عند خروجه لقتال أهل البصرة.

بحجة كافية وموعظة شافية ودعوة متلافية، أظهر بها الشرائع المجهولة وقمع به البدع المدخولة وبين به الأحكام المفصولة»^(١).

وقال ﷺ: «فبعث الله محمدا ﷺ بالحق ليخرج عباده من عبادة الأوثان إلى عبادته، ومن طاعة الشيطان إلى طاعته، بقرآن قد بينه وأحكمه ليعلم العباد ربهم إذ جهلوه وليقروا به بعد إذ جحدوه وليثبتوه بعد إذ أنكروه، فتجلى لهم سبحانه في كتابه من غير أن يكونوا رأوه بما أراهم من قدرته وخوفهم من سطوته وكيف محق من محق بالمثلث واحتصد من احتصد بالنقمة»^(٢).

وروي عن أمير المؤمنين ﷺ أنه قال عند توجههما^(٣) إلى مكة للاجتماع مع عائشة في التأليب عليه، بعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه: «أما بعد فإن الله عزوجل بعث محمدا ﷺ للناس كافة وجعله رحمة للعالمين، فصعد بما أمر به، وبلغ رسالة ربه، فلم به الصدع ورتق به الفتق وآمن به السبل وحقق به الدماء وألف به بين ذوي الإحن والعداوة والوغر في الصدور والضغائن الراسخة في القلوب، ثم قبضه الله إليه حميداً لم يقصر في الغاية التي إليها أدى الرسالة ولأبلغ شيئاً كان في التقصير عنه القصد، وكان من بعده ما كان من التنازع في الإمرة، فتولى أبو بكر وبعده عمر ثم تولى عثمان، فلما كان من أمره ما كان أتيتموني فقلتم: بايعنا، فقلت: لا أفعل، قلتم: بلى، فقلت: لا وقبضت يدي

(١) نهج البلاغة، الخطب: ١٦١ من خطبة له ﷺ في صفة النبي وأهل بيته.

(٢) نهج البلاغة، الخطب: ١٤٧ من خطبة له ﷺ في الغاية من البعثة.

(٣) أي طلحة والزبير.

فبسطتموها ونازعتكم فجذبتموها وحتى تداكتم علي كتداكك الإبل الهيم
على حياضها يوم ورودها حتى ظننت أنكم قاتلي وأن بعضكم قاتل بعض
وبسطت يدي فبايعتموني مختارين وبايعني في أولكم طلحة والزبير طائعين غير
مكرهين، ثم لم يلبثا أن استأذناني في العمرة والله يعلم أنهما أرادا الغدرة،
فجددت عليهما العهد في الطاعة وأن لا يبغيا الأمة الغوائل فعاهداني ثم لم يفيا
لي ونكثا بيعتي ونقضا عهدي فعجبا لهما من انقيادهما لأبي بكر وعمر
وخلافهما لي ولست بدون أحد الرجلين ولو شئت أن أقول لقلت: اللهم
اغضب عليهما بما صنعا وأظفرني بهما»^(١).

(١) بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٩٨ ب ١ ح ٦٩.

وأظلمت الأرض لغيبته، وكسفت الشمس والقمر^(١)، وانتشرت النجوم لمصيبته

لجان الرصد العلمي

مسألة: ينبغي تشكيل لجان من ذوي الخبرة والاختصاص في الفلك وعلم طبقات الأرض^(٢) وغيرهما للقيام بمحاولة الرصد العلمي للارتباط التكويني بين عالم التشريع وعالم التكوين، وبين ظواهر من عوالم التكوين تطرقت الروايات إلى بيان أنها معلولة أو ملازمة لوقائع معينة اجتماعية أو فكرية أو قلبية أو ما أشبه، كتأثير صلة الرحم في سعة الرزق وتأجيل الأجل وما أشبه^(٣).

وكبكاء السماء والأرض لموت المؤمن، حيث ورد في غير المؤمنين: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾^(٤).

وكالأمور المذكورة في هذه الخطبة الشريفة التي وقعت بعد وفاة الرسول ﷺ من ظلمة الأرض وكسوف الشمس والقمر واندثار النجوم.

وكشف القمر للرسول ﷺ^(٥).

والحمرة في الأفق لقتل الإمام الحسين عليه السلام^(٦).

(١) وفي بعض النسخ: (وكسفت النجوم).

(٢) ما يسمى بالجيولوجيا.

(٣) انظر علل الشرائع: ص ٢٤٨، وكشف الغمة: ج ٢ ص ٢٠٦.

(٤) سورة الدخان: ٢٩.

(٥) قال تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ سورة القمر: ١.

(٦) المناقب: ج ٤ ص ٥٤ فصل في آياته بعد وفاته ﷺ.

وغير ذلك.

فإن هذه الوقائع الكونية قد دل عليها القرآن الكريم أو الأحاديث الصحيحة دون شك، إلا أن دفع شبهات المكذبين الذين لا يؤمنون بالغيب والذين يشككون ضعاف الإيمان واجب، ومن طرقه التطرق لإثبات كل ذلك بالطرق العلمية.

أما ما ورد من قول النبي ﷺ: (إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله) الخ. حسب ما يرويه البعض في قصة موت إبراهيم (صلوات الله عليه) فيلزم البحث السندي والدلالي لتعارضها مع ما ذكر، فإنه لا شك في انكساف الشمس وانخساف القمر في وفاة النبي ﷺ وكذلك كسفت الشمس لقتل الإمام الحسين عليه السلام.

قال العلامة المجلسي رحمته الله: (بيان، قوله ﷺ: «آيتان» أي علامتان من علامة وجوده وقدرته وعلمه وحكمته (لا ينكسفان لموت أحد) أي لمحض الموت بل إذا كان بسبب سوء فعال الأمة واستحقوا العذاب والتخويف أمكن أن ينكسفا لذلك كما في شهادة الحسين عليه السلام فإنها كانت بفعل الأمة الملعونة فاستحقوا بذلك التخويف والعذاب بخلاف وفاة إبراهيم عليه السلام فإنه لم يكن بفعلهم)^(١).

وقال رحمته الله في موضع آخر: (بيان: «لموت أحد» أي لمحض الموت لأنه من فعله سبحانه فلا يغضب به على عباده إلا أن يكون بسبب فعلهم فيغضب عليهم لذلك كواقعة الحسين عليه السلام)^(٢).

(١) بحار الأنوار: ج ٧٨ ص ٣٨٠-٣٨١ ب ١٠.

(٢) بحار الأنوار: ج ٨٨ ص ١٥٥ ب ٦ ح ١٢.

ومن الممكن أن تكون تلك الرواية من باب التقية.

لا يقال: إذا كان الكسوف والخسوف يقعان نتيجة نظام كوني دقيق وحركات كونية بالغة الدقة كما ذكره أهل النجوم والفلك، فأبي ربط لهما بالذنوب. كما في الروايات. أو بموت العظماء كما في هذه الأحاديث؟
لأنه يقال: من الممكن أن الله سبحانه وتعالى. هو الخالق الحكيم القادر. نظم الكون وفقاً لهذه الأحداث لأنه كان يعلم بعلمه الأزلي أوقات الذنوب والعظائم من الأمور فكانت الهندسة للكون بحيث يتطابق زمن الخسوف والكسوف مع وقوع الذنوب الكثيرة أو موت العظماء، فلا منافاة بين العلة الواقعية والعلة الظاهرية^(١).

صلة الأرحام والآثار التكوينية

قالت فاطمة الزهراء ﷺ: «صلة الأرحام منماة للعدد»^(٢).

وقال ﷺ: «صلة الأرحام منساة في الأعمار، وحسن الجوار عمارة للديار، وصدقة السر مثراة للمال»^(٣).

(١) لتوضيح ذلك نذكر المثال التالي: مهندس حكيم بنى داراً أو قلعة محكمة ثم زودها بأجهزة رصد واستكشاف (كعين إلكترونية مرتبطة بجهاز كمبيوتر) بحيث لو أن أي شخص حاول كسر الباب أو الدخول من النافذة فإن صفارات الإنذار ستنتقل وستسقط عليه شبكة تحتجزه في نفس النقطة فإن هذا التلازم بين دخول الشخص وبين صفارات الإنذار وسقوط الشبكة هو من هندسة مهندس قدير ولا ينسف قانون العلية والنظم والحاكم في القلعة. التي تدار كل مرافقها كمبيوترياً. بل يؤكد.

(٢) علل الشرائع: ص ٢٤٨.

(٣) كشف الغمة: ج ٢ ص ٢٠٦.

وقال عليه السلام: «صلة الأرحام تزكي الأعمال، وتنمي الأموال، وتدفع البلوى، وتيسر الحساب، وتنسى في الأجل»^(١).
وقال عليه السلام: «صلة الأرحام وحسن الجوار زيادة في الأموال»^(٢).

بكاء الأرض على المؤمن

عن علي بن رئاب قال: سمعت أبا الحسن الأول عليه السلام يقول: «إذا مات المؤمن بكت عليه الملائكة وبقاع الأرض التي كان يعبد الله عليها وأبواب السماء التي كان يصعد أعماله فيها» الحديث^(٣).
وقال عليه السلام: «إذا مات المؤمن بكت عليه بقاع الأرض التي كان يعبد الله عز وجل فيها والباب الذي كان يصعد منه عمله وموضع سجوده»^(٤).
وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما من مؤمن يموت في أرض غربة يغيب فيها بواكيه إلا بكته بقاع الأرض التي كان يعبد الله عليها وبكته أبواب السماء التي كان يصعد فيها عمله»^(٥).

الكون في قتل الحسين عليه السلام

في الأمالي للشيخ الطوسي بسنده عن عمار بن أبي عمار قال: (أمطرت

(١) تحف العقول: ٢٩٩.

(٢) صحيفة الرضا عليه السلام: ص ٨٥ ح ١٩٦.

(٣) الكافي: ج ٣ ص ٢٥٤ باب النوادر ضمن ح ١٣.

(٤) من لا يحضره الفقيه: ج ١ ص ١٣٩ باب غسل الميت ح ٣٨١.

(٥) وسائل الشيعة: ج ٥ ص ١٨٧-١٨٨ ب ٤٢ ح ٦٢٩٢.

السماء يوم قتل الحسين (عليه السلام) دما عبيطا^(١).

وعن زرارة قال : قال أبو عبد الله (عليه السلام) : «يا زرارة إن السماء بكت على الحسين أربعين صباحا بالدم ، وإن الأرض بكت أربعين صباحا بالسواد ، وإن الشمس بكت أربعين صباحا بالكسوف والحمرة ، وإن الجبال تقطعت وانتثرت ، وإن البحار تفجرت ، وإن الملائكة بكت أربعين صباحا على الحسين (عليه السلام) وما اختضبت منا امرأة ولا ادهنت ولا اكتحلت ولا رجلت حتى أتانا رأس عبيد الله بن زياد ، وما زلنا في عبرة بعده ، وكان جدي إذا ذكره بكى حتى تملأ عيناه لحيته وحتى يبكي لبكائه رحمة له من رآه ، وإن الملائكة الذين عند قبره ليكون فيبكي لبكائهم كل من في الهواء و السماء من الملائكة ، ولقد خرجت نفسه (عليه السلام) فزفرت جهنم زفرة كادت الأرض تنشق لزفرتها ، ولقد خرجت نفس عبيد الله بن زياد ويزيد بن معاوية فشهقت جهنم شهقة لولا أن الله حبسها بخزانها لأحرقت من على ظهر الأرض من فورها ولو يؤذن لها ما بقي شيء إلا ابتلعت ، ولكنها مأمورة مصفودة ، ولقد عنت على الخزان غير مرة حتى أتاه جبرئيل فضربها بجناحه فسكنت وأنها لتبكيه وتندبه وأنها لتلظى على قاتله ، ولولا من على الأرض من حجج الله لنقضت الأرض وأكفأت بما عليها ، وما تكثر الزلازل إلا عند اقتراب الساعة ، وما من عين أحب إلى الله ولا عبرة من عين بكت ودمعت عليه (عليه السلام) وما من باك يبكيه إلا وقد وصل فاطمة (عليها السلام) وأسعدها عليه ووصل رسول الله (ﷺ) وأدى حقنا ، وما من عبد يحشر إلا وعيناه باكية إلا الباكين على جدي

(١) الأماي للطوسي : ص ٣٣٠ المجلس ١١ ح ٦٥٩ .

الحسين عليه السلام فإنه يحشر وعينه قريرة والبشارة تلقاه والسرور بين على وجهه والخلق في الفرع وهم آمنون، والخلق يعرضون وهم حداث الحسين عليه السلام تحت العرش وفي ظل العرش لا يخافون سوء يوم الحساب، يقال لهم: ادخلوا الجنة، فيأبون ويختارون مجلسه وحديثه، وإن الحور لترسل إليهم أنا قد اشتقناكم مع الولدان المخلدين فما يرفعون رؤوسهم إليهم لما يرون في مجلسهم من السرور والكرامة، وإن أعداءهم من بين مسحوب بناصيته إلى النار ومن قائل ما لنا من شافعين ولا صديق حميم وإنهم ليرون منزلهم وما يقدر أن يدنوا إليهم ولا يصلون إليهم، وإن الملائكة لتأتيهم بالرسالة من أزواجهم ومن خدامهم على ما أعطوا من الكرامة، فيقولون: نأتيكم إن شاء الله، فيرجعون إلى أزواجهم بمقالاتهم فيزدادون إليهم شوقا إذا هم خبروهم بما هم فيه من الكرامة وقربهم من الحسين عليه السلام فيقولون: الحمد لله الذي كفانا الفرع الأكبر وأهوال القيامة ونجانا مما كنا نخاف، ويؤتون بالمراكب والرحال على النجائب فيستوون عليها وهم في الثناء على الله والحمد لله والصلاة على محمد وآله حتى ينتهوا إلى منازلهم»^(١).

وقصة الحمرة وبكاء السماء والأرض وما أشبه روته العامة أيضا:

ففي صحيح مسلم في تفسير قوله تعالى ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾^(٢) قال: (لما قتل الحسين بن علي عليه السلام بكت السماء وبكاؤها حمرتها)^(٣).

(١) كامل الزيارات: ص ٨٠-٨١ ب ٢٦ ح ٦.

(٢) سورة الدخان: ٢٩.

(٣) الطرائف: ج ١ ص ٢٠٣ فيما جاء في الحسين عليه السلام وأنه قتل مظلوماً ح ٢٩٣.

وروى الثعلبي في تفسير هذه الآية: (أن الحمرة التي مع الشفق لم يكن قبل قتل الحسين ﷺ) ^(١).

وروى الثعلبي أيضا يرفعه قال: (مطرنا دما بأيام قتل الحسين ﷺ) ^(٢).
وفي تاريخ النسوي قال أبو قبيل: (لما قتل الحسين بن علي ﷺ كسفت الشمس كسفة بدت الكواكب نصف النهار حتى ظننا أنها هي) ^(٣). وروى أبو نعيم في دلائل النبوة، والنسوي في المعرفة: قالت نصرية الأزدية: (لما قتل الحسين ﷺ أمطرت السماء دما وحبابنا وجرارنا صارت مملوءة دما) ^(٤).

ظلمة الأرض

قولها ﷺ: «وأظلمت الأرض لغيبته»، الظلام قد يطلق على المعنوي ^(٥)، وقد يطلق على المادي، وكذلك النور قال سبحانه: ﴿الله نور السماوات والأرض﴾ ^(٦).

قال المفسرون: إن النور هو الظاهر بنفسه المظهر لغيره، فالنور الحقيقي هو الله الظاهر بنفسه المظهر لكل ما عداه من كتم العدم، أو يقال: هو جل اسمه نور معنوي للسماوات والأرض، أو خالق لنورهما.

(١) الطرائف: ج ١ ص ٢٠٣ فيما جاء في الحسين ﷺ وأنه قتل مظلوماً ح ٢٩٤.

(٢) الطرائف: ج ١ ص ٢٠٣ فيما جاء في الحسين ﷺ وأنه قتل مظلوماً ح ٢٩٥.

(٣) المناقب: ج ٤ ص ٥٤ فصل في آياته بعد وفاته ﷺ.

(٤) المناقب: ج ٤ ص ٥٤ فصل في آياته بعد وفاته ﷺ.

(٥) كما يقال: اظلم قلبه أو يعيش في ظلمات الجهل.

(٦) سورة النور: ٣٥.

فالتفسير بأنه المنور^(١) لا انحصار به بعد إمكان جعله معنوياً أيضاً، فتأمل.
والمراد بالظلمة ههنا: المعنوية - ولا تبعد المادية أيضاً - فكما أن الإنسان يبصر الأمور التكوينية بحاسة الباصرة بسبب النور، كذلك يبصر بحسه الباطني الأشياء الواقعية بسبب أنوار الله المعنوية، وأهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) هم أنوار الله تعالى، كما ورد في زيادة الجامعة: «خلقكم الله أنواراً فجعلكم بعرشه محدقين حتى منّ علينا بكم»^(٢).

وهل المراد أنهم عليهم السلام كانوا أنواراً ظاهرة ثم صاروا أنواراً واقعية في هذا العالم، أو أنهم كانوا هناك أيضاً أنواراً واقعية ثم تفضل الله بهم علينا؟ احتمالان.
ويحتمل إرادة الظلمة - في قولها عليها السلام - المقابلة للنور المراد به أشعة نورانية من نمط آخر^(٣).

قولها عليها السلام: «وانتشرت النجوم لمصيبت» ظاهره: إرادة المعنى الحقيقي بأن انتشرت النجوم بسبب وفاة رسول الله ﷺ وأنها تراءت للناظرين متناثرة كما رئيت متناثرة في موت بعض العلماء، أو غير ذلك من المعاني.

وفي بعض النسخ: (وكسفت النجوم) وهو كما سبق ظاهر في الحقيقة.
أو المراد أنها تذكرت وانكدرت بسبب موت الرسول ﷺ فإنه ﷺ كان نوراً للأرض وللسماء بجعل الله سبحانه.

(١) أي معطي الضياء والنور وخالقهما في السماوات والأرض.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٦١٣ زيارة جامعته لجميع الأئمة عليهم السلام ضمن ح ٣٢١٣.

(٣) كما أن الإنسان يبصر بنور الشمس ويبصر في الظلام بالأشعة تحت الحمراء.

وأكدت الآمال وخشعت الجبال

أمل الكون

مسألة: إن الرسول الأعظم ﷺ هو أمل الكون بأجمعه وقد أرسله الله عز وجل ﴿رحمة للعالمين﴾^(١).

قولها ﷺ: «وأكدت الآمال»، يقال: أكدى فلان أي: بخل أو قل خيره. فمعنى إكداء الآمال هنا: أن الآمال انقطعت بفقد الرسول ﷺ لأنه ﷺ كان موضع أمل الآملين.

ثم إنها ﷺ ذكرت قولها (أكدت الآمال) في وسط ذكرها لمجموعة من الحوادث السماوية والطوارئ الكونية على الكرة الأرضية، مما قد يستظهر منه أن المراد بالآمال ليس (الآمال) البشرية فحسب، بل (الآمال الكونية) التي كانت معقودة به ﷺ إذ كان وجوده خيراً وبركة لكافة العوالم، وبوفاته ﷺ انقطع منها ما كان منوطاً بحياته وإن بقي ما هو معلق على أصل وجوده وما استمر بأهل بيته الطاهرين ﷺ.

قولها ﷺ: «وخشعت الجبال» فكما أن الإنسان يخشع أمام العظيم من الأمور، كذلك سائر المخلوقات والحقائق الكونية والتي من أظهرها في الأرض الجبال، فإنها تخشع من خشية الله وهيبته أوليائه.

قال سبحانه: ﴿فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا

(١) سورة الأنبياء: ١٠٧.

طائعين^(١).

وقال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا
مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾^(٢).

وقال سبحانه: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ
الْجِبَالُ هَدًّا * أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾^(٣).

وخشوع الجبل إما ضعف صلابته كما قال سبحانه بالنسبة إلى آثار
القيامة:

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالُ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ
نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾^(٤).

وقال سبحانه: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا *
فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لَا تَبْقَى فِيهَا غِوَجًا وَلَا أَمْتًا * يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ
الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾^(٥).

وقال تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا * وَيُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا * فَكَانَتْ
هَبَاءً مُنْبَثًا﴾^(٦).

(١) سورة فصلت: ١١.

(٢) سورة الحشر: ٢١.

(٣) سورة مريم: ٩٠-٩١.

(٤) سورة الكهف: ٤٧.

(٥) سورة طه: ١٠٥-١٠٨.

(٦) سورة الواقعة: ٤-٦.

وقال سبحانه: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿١٦﴾﴾.

وقال سبحانه: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيباً مَهِيلاً ﴿١٧﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٨﴾﴾.

وقال سبحانه: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴿١٩﴾﴾.

وإما احتمال تأثره، فمن الواضح أن الكون كله قابل للتأثر.

قال تعالى: ﴿فَأَبِينْ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنِ مِنْهَا ﴿٢٠﴾﴾.

وقال سبحانه: ﴿يَسْبَحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴿٢١﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿وَأَنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبَحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴿٢٢﴾﴾.

وقال سبحانه: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا

(١) سورة الحاقة: ١٤-١٥.

(٢) سورة المعارج: ٩.

(٣) سورة المزمل: ١٤.

(٤) سورة المرسلات: ١٠.

(٥) سورة القارعة: ٥.

(٦) سورة الأحزاب: ٧٢.

(٧) سورة الجمعة: ١.

(٨) سورة الإسراء: ٤٤.

فَاعِلِينَ^(١).

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ^(٢)﴾. وقال سبحانه: ﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ^(٣)﴾.

ويدل على تأثر الكون وتفاعله وفهمه، متواتر الآيات والروايات. تواتراً إجمالياً. ومنها: شهادة جلود الإنسان عليه في يوم القيامة، قال تعالى: ﴿قَالُوا لَجُلُودُهُمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا^(٤)﴾.

وقال سبحانه: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ^(٥)﴾.

وشهادة بقاع الأرض للإنسان بالصلاة عليها وما أشبه.

وخطاب الزمن للإنسان: (أنا يوم جديد وغداً عليك شهيد).

قال لقمان: «يا بني إن كل يوم يأتيك يوم جديد، يشهد عليك عند رب

كريم»^(٦).

(١) سورة الأنبياء: ٧٩.

(٢) سورة الحج: ١٨.

(٣) سورة ص: ١٨.

(٤) سورة فصلت: ٢١.

(٥) سورة فصلت: ٢٠.

(٦) راجع الاختصاص: ص ٣٤٠ بعض وصايا لقمان الحكيم لابنه (ع).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «ما من يوم يمر على ابن آدم إلا قال له ذلك اليوم: يا ابن آدم أنا يوم جديد وأنا عليك شهيد فقل في خيراً وأعمل في خيراً، أشهد لك به يوم القيامة فإنك لن تراني بعده أبداً»^(١).

وعن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال: «إن الليل إذا أقبل نادى مناد بصوت يسمعه الخلائق إلا الثقلين: يا ابن آدم إني خلق جديد، إني على ما في شهيد، فخذ مني، فإني لو قد طلعت الشمس لم أرجع إلى الدنيا، ثم لم تزد في حسنة ولم تستعقب في من سيئة، وكذلك يقول النهار إذا أدبر الليل»^(٢).

وقال الإمام الصادق عليه السلام في حديث: «فيقولون لله يا رب هؤلاء ملائكتك يشهدون لك، ثم يحلفون بالله ما فعلوا من ذلك شيئاً وهو قول الله ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾»^(٣)، وهم الذين غصبوا أمير المؤمنين عليه السلام فعند ذلك يختم الله على ألسنتهم ويطلق جوارحهم فيشهد السمع بما سمع مما حرم الله ويشهد البصر بما نظر به إلى ما حرم الله وتشهد اليدان بما أخذتا وتشهد الرجلان بما سعتا فيما حرم الله ويشهد الفرج بما ارتكب مما حرم الله»^(٤).

وعن الصادق عليه السلام في حديث أنه قال: «صلوا من المساجد في بقاع مختلفة

(١) روضة الواعظين: ج ٢ ص ٣٩٣ مجلس في ذكر الأوقات وما يتعلق بها.

(٢) محاسبة النفس: ص ١٤.

(٣) سورة المجادلة: ١٨.

(٤) تفسير القمي: ج ٢ ص ٢٦٤ سورة السجدة، شهادة الجوارح يوم القيامة.

فإن كل بقعة تشهد للمصلي عليها يوم القيامة»^(١).

وعن أبي جعفر عليه السلام أن علي بن الحسين عليه السلام كان يصلي في اليوم واللييلة ألف ركعة كما كان يفعل أمير المؤمنين عليه السلام كان له خمسمائة نخلة وكان يصلي عند كل نخلة ركعتين»^(٢).

وعن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وآله في وصيته له: «يا أبا ذر ما من رجل يجعل جبهته في بقعة من بقاء الأرض إلا شهدت له بها يوم القيامة، وما من منزل نزله قوم إلا وأصبح ذلك المنزل يصلي عليهم أو يلعنهم، يا أبا ذر ما من صباح ولا رواح إلا وبقاع الأرض ينادي بعضها بعضاً: يا جارة هل مراكبك اليوم ذاكر لله أو عبد وضع جبهته عليك ساجداً لله تعالى، فمن قائلة لا ومن قائلة نعم، فإذا قالت نعم اهتزت وانشرحت وترى أن لها الفضل على جارتها»^(٣).

وعن عبد الله بن علي الزرادي قال سأل أبو كهمس أبا عبد الله عليه السلام فقال: يصلي الرجل نوافله في موضع أو يفرقها؟ قال: «لا، بل هاهنا وهاهنا فإنها تشهد له يوم القيامة»^(٤)، قال الصدوق عليه السلام: (يعني أن بقاء الأرض تشهد له)^(٥).

(١) وسائل الشيعة: ج ٥ ص ١٨٨ ب ٤٢ ح ٦٢٩٣.

(٢) وسائل الشيعة: ج ٥ ص ١٨٨ ب ٤٢ ح ٦٢٩٤.

(٣) الأمالي للطوسي: ص ٥٣٤ المجلس ١٩.

(٤) تهذيب الأحكام: ج ٢ ص ٣٣٥ ب ١٥ ح ٢٣٧.

(٥) وسائل الشيعة: ج ٥ ص ١٨٦ ب ٤٢.

وأضيع الحرم

من خسائر فقد النبي ﷺ

مسألة: إن النبي ﷺ كان الحافظ الأشد لكل الحرمات، ومن المعلوم أن بفقده ﷺ حصل الضياع للحرمات، وقد كان شعاره ﷺ حفظ الحرمات، كما أمر بالنداء في يوم فتح مكة:

اليوم يوم المرحمة اليوم تحفظ الحرمات

بدل قول المنادي:

اليوم يوم الملحمة اليوم تسبى الحرمات^(١)

ومن هذا يفهم - عرفاً - لزوم حفظ الحرم، من غير فرق بين أن يكون حريماً إنسانياً، أو حريم الأرض والبئر وما أشبه، مما ذكر في مختلف الكتب، ككتاب إحياء الموات، وكتاب النكاح في باب الحقوق، وغير ذلك، وقد ألمعنا إلى جملة منها في (الفقه: الحقوق)^(٢).

قولها ﷺ: «وأضيع الحرم» يحتمل فيه ثلاثة معان:

١: إن وفاة رسول الله ﷺ سبب ضياع حريمه، أي أهل بيته وذلك بظلم

القوم لهم.

(١) راجع (ولأول مرة في تاريخ العالم) فتح مكة، للإمام الشيرازي تكل. وانظر شرح النهج: ج ١٧

ص ٢٧٢، ذكر الخبر عن فتح مكة.

(٢) موسوعة الفقه: ج ١٠٠ كتاب الحقوق.

٢: إنه سبب ضياع حريم المسلمين بل وغيرهم أيضاً ممن كانوا يتمتعون بحمايته، لأن الرسول ﷺ كان يحفظ ويحمي حرم الناس بأجمعهم من المسلمين وغيرهم.

٣: إنه سبب ضياع الأعم من ذلك أي كل حرمة من حرم الإسلام وحرمة المسلمين وغيرهما^(١)، فإن رسول الله ﷺ كان شديد الحماية والحراسة لكل حرمة.

لكن المنصرف الأول، والإطلاق يقتضي الثالث، وإن كان لا يبعد الثاني أيضاً.

عن أبي عبد الله (ع) قال: «لله عز وجل في بلاده خمس حُرُم: حرمة رسول الله ﷺ، وحرمة آل رسول الله ﷺ، وحرمة كتاب الله عز وجل، وحرمة كعبة الله، وحرمة المؤمن»^(٢).

وقال (ع): «إن لله تبارك وتعالى حرَمات: حرمة كتاب الله وحرمة رسول الله ﷺ وحرمة بيت المقدس وحرمة المؤمن»^(٣).

وقال (ع): «إن لله عز وجل في الأرض حرَمات: حرمة كتاب الله وحرمة رسول الله وحرمة أهل البيت وحرمة الكعبة وحرمة المسلم وحرمة المسلم»^(٤).

(١) الظاهر أن المراد الحرم التكوينية.

(٢) الكافي: ج ٨ ص ١٠٧ حديث أبي بصير مع المرأة ح ٨٢.

(٣) بحار الأنوار: ج ٧١ ص ٢٣٢ ب ١٥.

(٤) المؤمن: ص ٧٣ ب ٨ ح ٢٠١.

وفي يوم عاشوراء عندما وقف الإمام الحسين عليه السلام على ولده علي الأكبر عليه السلام قال: «قتل الله قوما قتلوك، ما أجرأهم على الله وعلى انتهاك حرمة الرسول، وانهملت عيناه بالدموع ثم قال: على الدنيا بعدك العفاء»^(١).

وفي دعاء النذبة المروي عن الإمام الحجة عليه السلام: «لم يمتثل أمر رسول الله ﷺ في الهادين بعد الهادين والأمة مصرة على مقتته، مجتمعة على قطيعة رحمه، وإقصاء ولده، إلا القليل ممن وفى لرعاية الحق فيهم، فقتل من قتل، وسُبي من سُبي، وأقصى من أقصى، وجرى القضاء لهم بما يُرجى له حسن المثوبة» الدعاء»^(٢).

وعن الحسن بن عطية قال: كان أبو عبد الله عليه السلام واقفا على الصفا، فقال له عباد البصري: حديث يروى عنك، قال: «وما هو»، قال: قلت: حرمة المؤمن أعظم من حرمة هذه البنية، قال: «قد قلت ذلك، إن المؤمن لو قال لهذه الجبال أقبلني أقبلت»! قال: فنظرت إلى الجبال قد أقبلت، فقال لها: «على رسلك إنني لم أردك»^(٣).

وقال عليه السلام: «حرمة المؤمن الفقير أعظم عند الله من سبع سماوات وسبع أرضين والملائكة والجبال وما فيها»^(٤).

وقال عليه السلام: «حرمة المؤمن ميتا كحرمة حيا»^(٥).

(١) إعلام الوری: ص ٢٤٦ الفصل الرابع.

(٢) إقبال الأعمال: ص ٢٩٦.

(٣) الاختصاص: ص ٣٢٥ حديث في زيارة المؤمن لله.

(٤) إرشاد القلوب: ج ١ ص ١٩٤ ب ٥٢.

(٥) الصراط المستقيم: ج ٣ ص ١١٥.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «مكة حرم الله والمدينة حرم رسول الله صلى الله عليه وآله والكوفة حرمي لا يريد بها جبار بحادثة إلا قصمه الله»^(١).

وعن زرارة بن أعين عن أبي جعفر عليه السلام قال: «حرم رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة ما بين لابتيها صيدها، وحرّم عليه السلام ما حولها بريداً في بريد أن يختلى خلاها أو يعضد شجرها إلا عودي الناضح»^(٢).

وقال عليه السلام: «حريم قبر الحسين عليه السلام خمس فراسخ من أربعة جوانب القبر»^(٣).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «حريم المسجد أربعون ذراعاً، والجوار أربعون داراً من أربعة جوانبها»^(٤). وروي: «أن حريم المسجد أربعون ذراعاً من كل ناحية»^(٥). وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «حريم النخلة طول سعتها»^(٦).

وعن الصادق عليه السلام عن أبيه عليه السلام: «أن علياً عليه السلام كان يقول: حريم البئر العادية خمسون ذراعاً، إلا أن يكون إلى عطن أو إلى الطريق فيكون أقل من ذلك خمسة وعشرين ذراعاً، وحريم البئر المحدثه خمسة وعشرون ذراعاً»^(٧). وقال عليه السلام: «حريم النهر حافتاه وما يليها»^(٨).

(١) الكافي: ج ٤ ص ٥٦٣ باب تحريم المدينة ح ١.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٥٦١ باب تحريم المدينة وفضلها ح ٣١٤٨.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ١٠ ص ٣٢٠ ب ٥٠ ح ١٢٠٨٨.

(٤) وسائل الشيعة: ج ٥ ص ٢٠٢ ب ٦٣٣١.

(٥) من لا يحضره الفقيه: ج ٣ ص ١٠٢ باب حكم الحريم ضمن ح ٣٤١٩.

(٦) قرب الإسناد: ص ٦٢.

(٧) بحار الأنوار: ج ١٠١ ص ٢٥٣ ب ٢ ح ٢.

(٨) الكافي: ج ٥ ص ٢٩٦ باب جامع في حريم الحقوق ح ٧.

وأزيلت الحرمه^(١) عند مماته

الحرمه والحريم

مسأله: يستحب بيان أن الحرمه أزيلت عند ممات الرسول ﷺ.

ولا يخفى أن الحريم غير الحرمه، إذ الحرمه ذاتية والحريم عرضية وبالتبع^(٢)، مثلاً: حرمه الإنسان ذاتية، أما حرمه ذويه باعتباره عرضية، فلهم حرمه حريم ذلك الإنسان المحترم، وربما اجتمعت الذاتية والعرضية بالاعتبارين. وللکعبة مثلاً حرمه، أما مكة فهي من الحريم، فتأمل، وهكذا. فهي ﷺ أشارت إلى أمرين نجما عن وفاته ﷺ: إضاعة الحريم، وهتك الحرمه.

والظاهر أن المراد بـ (أزيلت الحرمه) أن القوم أزالوا حرمه رسول الله ﷺ وهتكوها ﷺ وضربوا بها عرض الجدار، بناء على كون المراد بالحرمه المعنى الخاص أو العام، أما لو أريد بها المعنى الأعم^(٣) فإن الإزالة في بعدها التكويني عندئذٍ تسند لجاعل^(٤) سببته ﷺ لتلك الحرمه التكوينية. هذا وجملتها هذه بلحاظ أن الحرمه عبارة عما لا يحل انتهاكه، تقرب أن يكون المراد بـ (أزيلت الحرمه) في الجملة السابقة المعنى الأوسط.

(١) وفي بعض النسخ: (وأديلت الحرمه) من الإدالة بمعنى الغلبة، وفي بعضها: (وأزيلت الرحمه).

(٢) أي أن حرمه الحريم اكتسابية.

(٣) الشامل للحرمه التكوينية.

(٤) أي الله سبحانه وتعالى.

قال علي بن الحسين (ع) في حديث: «إن الله تعالى مسخ هؤلاء لاصطياد السمك فكيف ترى عند الله عز وجل حال من قتل أولاد رسول الله (ص) وهتك حرمة، إن الله تعالى وإن لم يمسخهم في الدنيا فإن المعد لهم من عذاب الآخرة أضعاف عذاب المسخ»^(١).

وفي وصية النبي (ص) عند قرب وفاته: «معاشر الأنصار، ألا فاسمعوا ومن حضر، ألا إن فاطمة بابها بابي وبيتها بيتي، فمن هتكه فقد هتك حجاب الله» قال عيسى - راوي الحديث -: فبكى أبو الحسن (ع) طويلاً وقطع بقية كلامه وقال: هُتِكَ والله حجاب الله، هُتِكَ والله حجاب الله، هُتِكَ والله حجاب الله يا أمه صلوات الله عليها»^(٢).

وقال (ع) أيضاً في وصيته عند قرب وفاته: «واعلم يا علي أنني راض عمن رضيت عنه ابنتي فاطمة، وكذلك ربي وملائكته، يا علي ويل لمن ظلمها، وويل لمن ابتزها حقها، وويل لمن هتك حرمتها، وويل لمن أحرق بابها، وويل لمن آذى خليلها، وويل لمن شاقها وبارزها، اللهم إني منهم بريء، وهم مني براء»^(٣).

وقد دخلت أم سلمة على فاطمة (ع) فقالت لها: كيف أصبحتِ عن ليلتكِ يا بنت رسول الله؟

(١) تفسير الإمام العسكري (ع): ص ٢٧٠ قصة أصحاب السبت ضمن ح ١٣٧.

(٢) راجع بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ٤٧٧ ب ١ ضمن ح ٢٧.

(٣) راجع بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ٤٨٥ ب ١ ضمن ح ٣١.

قالت: «أصبحت بين كمد وكرب، فقد النبي وظلم الوصي، هتك والله حجابيه، من أصبحت إمامته مقبضة مقتضبة على غير ما شرع الله في التنزيل، وسنها النبي ﷺ في التأويل، ولكنها أحقاد بدرية وترات أحذية كانت عليها قلوب النفاق مكتمنة»^(١).

حق أم حكم

مسألة: الحريم والحرمة هل هما حق أم حكم؟
الظاهر: أن بعض المصاديق حق كحريم الدار، وبعضها حكم كحرمة هتك المؤمن.

قال ﷺ: «من استهان بحرمة المسلمين فقد هتك ستر إيمانه»^(٢).
وقال الإمام الصادق ﷺ: «من هتك ستر مؤمن هتك الله ستره يوم القيامة»^(٣).

وعن أبي عبد الله ﷺ قال: «إن أمرنا مستور مقنع بالميثاق فمن هتك علينا أذله الله»^(٤).

وفي الحديث: «ومن هتك حجاب غيره انكشفت عورات بيته»^(٥).

(١) راجع بحار الأنوار: ج ٤٣ ص ١٥٦-١٥٧ ب ٧ ضمن ح ٥.

(٢) راجع بحار الأنوار: ج ٧١ ص ٢٢٧ ب ١٥ ضمن ح ٢١.

(٣) راجع مستدرک الوسائل: ج ٩ ص ١٠٩ ب ١٣٠ ضمن ح ١٠٣٧٣.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٢٢٦ باب الكتمان ح ١٥.

(٥) انظر تحف العقول: ص ٨٨ وصية الإمام أمير المؤمنين لابنه الحسين ﷺ.

وقال الإمام الصادق (ع): «لو لم يكن للحساب مهولة إلا حياء العرض على الله عزوجل وفضيحة هتك الستر على المخفيات لحق للمرء ألا يهبط من رؤوس الجبال ولا يأوي إلى عمران ولا يأكل ولا يشرب ولا ينام إلا عن اضطرار متصل بالتلف، ومثل ذلك يفعل من يرى القيامة بأهوالها وشدائدها قائمة في كل نفس ويعاين بالقلب الوقوف بين يدي الجبار، حينئذ يأخذ نفسه بالمحاسبة كأنه إلى عرصاتها مدعو وفي غمراتها مسؤول، قال الله عزوجل: ﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾^(١)»^(٢).

(١) سورة الأنبياء: ٤٧.

(٢) انظر مصباح الشريعة: ص ٨٥ ب ٣٨ في الحساب.

إعادة ما أضيع

مسألة: يجب السعي على مر الأزمان لإعادة ما أمكن إعادته مما أضيع من حريم الرسول ﷺ ومما أزيل من حرمة ﷺ.

وفي الجانب التكويني يمكن إعادة مآزال ولو في الجملة عبر الدعاء وما أشبه لتعجيل الظهور، فإن به ﷺ تشرق الأرض بنور ربها، وتعود المياه إلى مجاريها. وفي الدعاء: «اللهم عجل فرجه وأيده بالنصر وانصر ناصريه واخذل خاذليه»^(١).

وفي دعاء العهد: «اللهم أرني الطلعة الرشيدة والغرة الحميدة، واكحل بصري بنظرة مني إليه، وعجل فرجه وسهل مخرجه، اللهم اشدد أزره وقوّ ظهره وطوّل عمره، اللهم اعمره به بلادك وأحي به عبادك»^(٢).

وفي دعاء للإمام الجواد عليه السلام في قنوته: «وأنت اللهم بعبادك وذوي الرغبة إليك شفيق وبإجابة دعائهم وتعجيل الفرج عنهم حقيق»^(٣).

(١) كمال الدين: ج ٢ ص ٥١٣ الدعاء في غيبة القائم ﷺ ضمن ح ٤٣.

(٢) راجع مستدرک الوسائل: ج ٥ ص ٧٤ ب ٢٢ ضمن ح ٥٣٨٨.

(٣) انظر مهج الدعوات: ص ٥٩ قنوت الإمام محمد بن علي بن موسى عليه السلام.

فتلك والله النازلة الكبرى والمصيبة العظمى

من مستثنيات كراهة القسم

مسألة: قد سبق أن من الجائز - بالمعنى الأعم الشامل للوجوب -: القسم لبيان أهمية الأمر، وهنا قد أقسمت  لبيان شدة المصيبة. ومن هذا القبيل تكرار القسم في القرآن الحكيم. كما أن رسول الله  وأمير المؤمنين علياً (عليه الصلاة والسلام) كانا يحلفان في موارد، كما نرى ذلك في كلامهما . أما ما ورد من كراهة القسم، مثل قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾^(١) فالمراد به الاستخفاف باسم الله سبحانه وتعالى، بأن يكون اسم الله معرضاً لليمين بدون أن يكون هناك أهمية توجب ذلك. أو المراد الأعم من ذلك ومن القسم كاذباً. أو القسم من دون أهمية في الموضوع، أو ما أشبه. عن أبي عبد الله  في قول الله عز وجل: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾^(٢) قال: «إذا دعيت لصلح بين اثنين فلا تقل عليّ يمين ألا أفعل»^(٣).

(١) سورة البقرة: ٢٢٤.

(٢) سورة البقرة: ٢٢٤.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٢١٠ باب الإصلاح بين الناس ح ٦.

وعن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾^(١)، قال: «يعني الرجل يحلف أن لا يكلم أخاه و ما أشبه ذلك أو لا يكلم أمه»^(٢).

وعن محمد بن مسلم قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى لا إله غيره ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا﴾ قال: «هو قول الرجل لا والله، وبلى والله»^(٣).

وفي الحديث القدسي: «يا عيسى لا تحلف باسمي كاذبا فيهتز عرشي غضبا»^(٤).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا علي لا تحلف بالله كاذبا ولا صادقا من غير ضرورة، ولا تجعل الله عرضة ليمينك فإن الله لا يرحم ولا يرعى من حلف باسمه كاذبا»^(٥).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا أدّعي عليك مال ولم يكن له عليك، فأراد أن يحلفك، فإن بلغ مقدار ثلاثين درهما فأعطه ولا تحلف، وإن كان أكثر من ذلك فاحلف ولا تعطه»^(٦).

(١) سورة البقرة: ٢٢٤.

(٢) وسائل الشيعة: ج ٢٣ ص ٢٢٣ ب ١١ ح ٢٩٤٢١.

(٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ١١١-١١٢ من سورة البقرة ح ٣٣٧.

(٤) الأمالي للصدوق: ص ٥١٩ المجلس ٧٨ ضمن ح ١.

(٥) انظر تحف العقول: ص ١٤ وصية رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أمير المؤمنين عليه السلام.

(٦) الكافي: ج ٧ ص ٤٣٥ باب كراهية اليمين ح ٦.

وعن أبي عبد الله (ع) قال: «اجتمع الحواريون إلى عيسى (ع) فقالوا: يا معلم الخير أرشدنا، فقال: إن موسى نبي الله (ع) أمركم أن لا تحلفوا بالله كاذبين، وأنا أمركم أن لا تحلفوا بالله كاذبين ولا صادقين»^(١).

وقال أمير المؤمنين (ع): «بيعوا ولا تحلفوا، فإن اليمين ينفق السلعة ويمحق البركة»^(٢).

وقال رسول الله (ص): «لا تحلفوا إلا بالله، ومن حلف بالله فليصدق، ومن حلف له بالله فليرض، ومن حلف له بالله فلم يرض فليس من الله في شيء»^(٣).

وقال (ع): «لا تحلفوا بأبائكم ولا بالأنداد، ولا تحلفوا إلا بالله، ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون»^(٤).

النازلة الكبرى

مسألة: يستحب بيان أن موت الرسول (ص) هي النازلة الكبرى والمصيبة العظمى وتأکید ذلك.

فإن مثل هذه التأكيدات تبين قدر النبي الأعظم (ص) وقيمه ولو بقدر، مما يسبب التفاف الناس حوله أكثر فأكثر، فإن من عادة الناس أن يلتفوا حول

(١) وسائل الشيعة: ج ٢٣ ص ١٩٧ ب ١ ح ٢٩٣٥٤.

(٢) انظر مستدرک الوسائل: ج ١٣ ص ٢٧٣ ب ٢٠ ضمن ح ١٥٣٣١.

(٣) تهذيب الأحكام: ج ٨ ص ٢٨٤ ب ٤ ح ٣٢.

(٤) غوالي اللثالي: ج ٣ ص ٤٤٤ باب الإيمان ح ٦.

العظماء ، وكل ما ازدادوا معرفة بعظمتهم كان التفافهم حولهم أكثر ، وكلما التف الناس حول الرسول ﷺ أكثر كانوا بمنجى ومأمن من مشاكل الدنيا وعذاب الآخرة ﴿ ما سألتكم من أجر فهو لكم ﴾^(١).

قال ﷺ : « من أصيب بمصيبة فليذكر مصابه بالنبي ﷺ فإنه من أعظم المصائب »^(٢).

وقال النبي ﷺ : « يا علي من أصيب بمصيبة فليذكر مصيبته بي فإنها من أعظم المصائب »^(٣).

وقال ﷺ : « إذا أصبتم بمصيبة فاذكروا مصيبتى فإنها أعظم المصائب »^(٤). وعن الشعبي ، عن صعصعة بن صوحان قال : فلما بلغ عليا عليه السلام موت الأشر قال : « إنا لله وإنا إليه راجعون والحمد لله رب العالمين ، اللهم إني أحسبه عندك فإن موته من مصائب الدهر ، فرحم الله مالكا ، فقد وفى بعهدة وقضى نجه ولقي ربه ، مع أنا قد وطنا أنفسنا على أن نصبر على كل مصيبة بعد مصابنا برسول الله ﷺ فإنها أعظم المصائب »^(٥).

وقال النبي ﷺ : « إن الله ليكتب الدرجة العالية في الجنة فلا يبلغها عبده فلا يزال يتعهد بالبلاء حتى يبلغها وإذا أصبتم بمصيبة فاذكروا مصيبتى فإنها

(١) سورة سبا : ٤٧.

(٢) الكافي : ج ٣ ص ٢٢٠ باب التعزي ح ١.

(٣) المناقب : ج ١ ص ٢٣٨ فصل في وفاته ﷺ.

(٤) روضة الواعظين : ج ٢ ص ٤٢٣ مجلس في ذكر فضل الصبر.

(٥) الفارات : ج ١ ص ١٦٩ خبر قتل الأشر عليه السلام.

أعظم المصائب»^(١).

وأنشأ أمير المؤمنين عليه السلام:

الموت لا والداً يُبقي ولا ولداً هذا السبيل إلى أن لا ترى أحداً
هذا النبي ولم يخلد لأمته لو خلد الله خلقاً قبله خلد
للموت فينا سهام غير خاطئة من فاته اليوم سهم لم يفته غداً^(٢)

وقالت فاطمة الزهراء عليها السلام:

إذا مات يوماً ميت قلّ ذكره وذكر أبي منذ مات والله أزيد
تذكرت لما فرق الموت بيننا فعزيت نفسي بالنبي محمد
فقلت لها إن الممات سبيلنا ومن لم يمت في يومه مات في غد^(٣)

وهذا لا ينافي الاهتمام الأكثر بعزاء الإمام الحسين عليه السلام فإن ذلك بأمرهم

(صلوات الله عليهم أجمعين).

كما لا ينافي الأخبار التالية أيضاً:

قال لقمان: «يا بني إن أشد العدم عدم القلب، وإن أعظم المصائب مصيبة الدين، وأسنى المرزئة مرزأته»^(٤).

(١) مشكاة الأنوار: ص ٣٠٠ ف ٧ في الشدائد والبلايا.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ٥٢٢-٥٢٣ ب ٢.

(٣) انظر المناقب: ج ١ ص ٢٣٨ فصل في وفاته عليه السلام، وبحار الأنوار: ج ٢٢ ص ٥٢٣ ب ٢.

(٤) قصص الأنبياء للراوندي: ص ١٩٦ ف ٦ في حديث لقمان ح ٢٤٦.

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «أعظم المصائب الجهل»^(١).

وقال (عليه السلام): «المصيبة بالدين أعظم المصائب»^(٢).

وقال (عليه السلام): «أعظم المصائب و الشقاء الوله بالدنيا»^(٣).

التوسع في معنى (احتمال التأثير)

مسألة: (كشف الحقيقة) واجب في الجملة، ويكفي في التأثير احتمالاه عقلاً ولو في المستقبل للأجيال القادمة، وذلك من وجوه ذكرهم (صلوات الله عليهم) لبعض العلامات المبهمة لما قبل الظهور.

وأما ما ذكرته (عليه السلام) ههنا فتأثيره كان فعلياً ومستقبلياً.

قال الشهيد الثاني (رحمته الله) في شرح اللمعة في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: (وتجوز التأثير، بأن لا يكون التأثير ممتنعاً، بل ممكناً بحسب ما يظهر له من حاله، وهذا يقتضي الوجوب ما لم يعلم عدم التأثير وإن ظن عدمه، لأن التجوز قائم مع الظن، وهو حسن)^(٤).

وقال المحقق الأردبيلي (رحمته الله): (نعم لا يبعد استحبابه مع احتمال التأثير مع ظن عدمه، إن كان مسقطاً للوجوب، لاحتمال حصول نفع، فتأمل)^(٥).

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٧٣ الجهل شر المصائب ح ١١٠٥.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٨٦ الدين هو الملاك ح ١٤٢٨.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٤٠ الدنيا وحبها سبب الشقاء ح ٢٤٦٢.

(٤) شرح اللمعة: ج ٢ ص ٤١٥.

(٥) مجمع الفائدة: ج ٧ ص ٥٣٩.

وقال المحقق السبزواري رحمته الله: (هل يعتبر مجرد التجويز وإن كان احتمال التأثير بعيداً، أو عدم غلبة الظن أو العلم بعدم التأثير، ظاهر بعض عباراتهم يقتضي الأول، وظاهر بعضها الثاني، ولعل نظر الأول على الآية) ^(١).
والتفصيل في الفقه ^(٢).

عن أبي جعفر عليه السلام قال: «يكون في آخر الزمان قوم ينبع فيهم قوم مرءون ينفرون وينسكون، حدثاء سفهاء، لا يوجبون أمراً بمعروف ولا نهياً عن منكر إلا إذا أمنوا الضرر، يطلبون لأنفسهم الرخص والمعاذير» إلى أن قال: «هنالك يتم غضب الله عليهم فيعمهم بعقابه» ^(٣).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «من مشى إلى سلطان جائر فأمره بتقوى الله ووعظه وخوفه كان له مثل أجر الثقلين من الجن والإنس ومثل أعمالهم» ^(٤).
وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «إن الله لا يعذب العامة بذنب الخاصة إذا عملت الخاصة بالمنكر سراً من غير أن تعلم العامة، فإذا عملت الخاصة بالمنكر جهاراً فلم تغير ذلك العامة استوجب الفريقان العقوبة من الله عز وجل» ^(٥).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن المعصية إذا عمل بها العبد سرا لم تضر إلا

(١) كفاية الأحكام: ص ٨٢.

(٢) انظر موسوعة الفقه، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للإمام الشيرازي رحمته الله: ج ٤٨ ص ١٨٠ - ١٨٢.

(٣) وسائل الشيعة: ج ١٦ ص ١٢٩ ب ٢ ح ٢١١٥٧.

(٤) الاختصاص: ص ٢٦١-٢٦٢ حديث في زيارة المؤمن لله.

(٥) وسائل الشيعة: ج ١٦ ص ١٣٥-١٣٦ ب ٤ ح ٢١١٧٤.

عاملها، فإذا عمل بها علانية ولم يغير عليه أضرت بالعامّة» قال جعفر بن محمد ﷺ: «وذلك أنه يذل بعمله دين الله ويقتدي به أهل عداوة الله»^(١).

وعن أبي عبد الله ﷺ قال: «ما أقر قوم بالمنكر بين أظهرهم لا يغيرونه إلا أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده»^(٢).

وعن أبي جعفر ﷺ في حديث قال: «أوحى الله إلى شعيب النبي ﷺ أنني معذب من قومك مائة ألف، أربعين ألفاً من شرارهم وستين ألفاً من خيارهم، فقال ﷺ: يا رب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار؟ فأوحى الله عز وجل إليه: داهنوا أهل المعاصي ولم يغضبوا لغضبي»^(٣).

وعن أبي عبد الله ﷺ عن أبيه عن جده علي بن الحسين ﷺ قال: «قال موسى بن عمران ﷺ: يا رب من أهلك الذين تظلمهم في ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك؟ فأوحى الله إليه: الطاهرة قلوبهم والتربة أيديهم الذين يذكرون جلالتي إذا ذكروا ربهم» إلى أن قال: «والذين يغضبون لمحارمي إذا استحلّت مثل النمر إذا حُرد»^(٤).

(١) ثواب الأعمال: ص ٢٦١ عقاب من قرب المنكر.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٦ ص ١٣٧ ب ٤ ح ٢١١٧٦.

(٣) قصص الأنبياء للجزائري: ص ٢١٤ ب ١١ في قصص شعيب ﷺ.

(٤) انظر مستدرک الوسائل: ج ٣ ص ٣٦١ ب ٣ ضمن ح ٣٧٨٢.

ذكر الحقيقة

مسألة: (ذكر الحقيقة) أمر، والتأكيد عليها أمر ثان، والبرهنة عليها أمر ثالث، والكل واجب في الجملة.

وهذا ما فعلته (ع) في هذه الجمل المتلاحقة وفي طول الخطبة، فإنها (ع) تارة اكتفت بالأول وأخرى ضمت إليه الثاني وثالثة ثلثت.

قولها (ع): «فتلك والله النازلة الكبرى» النازلة أي التي تنزل من السماء، كما قال أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام): في كل يوم ينزل البلاء إلى الأرض كقطر المطر^(١).

والمعنى: أن الحوادث تقع في صفوف البشر بصورة مستمرة، فهذا يموت وهذا يقتل وهذا يسقط في هوة وهذا يغرق وهذا يحترق بيته وهذا يفتقر وما أشبه ذلك، ولكن موت رسول الله ﷺ أكبر من كل تلك النوازل والمصائب إذ أن كل مصيبة تخص فرداً أو أفراداً أو شعباً أو شعوباً، أما موت رسول الله ﷺ فمصيبة تعم كل العالمين لأنه ﷺ في حياته كان رحمة للعالمين، وبموته حرم العالمون من رحمة وجوده الشريف، وإن كان ﷺ بعد موته أيضاً كحياته رحمة للناس حيث يستغفر لهم وإن الله ببركته يتفضل عليهم، إلى غير ذلك.

قولها (ع): (والمصيبة العظمى) فإن الناس أصيبوا بمصيبة كبيرة لا يعرف مداها إلا الله سبحانه وتعالى.

(١) انظر الكافي: ج ٥ ص ٥٧ باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضمن ح ٦ وفيه: «إن الأمر ينزل من السماء إلى الأرض كقطر المطر».

وفي الحديث: قال ﷺ: «إن البلاء أسرع إلى المؤمن التقى من المطر إلى قرار الأرض»^(١).

وفي صحيفة الرضا ﷺ عن الإمام الرضا ﷺ عن آبائه ﷺ: «إن في كتاب علي ﷺ: أن أشد الناس بلاء النبيون ثم الوصيون، ثم الأمثل فالأمثل، وإنما يتلى المؤمن على قدر أعماله الحسنة، فمن صح دينه وحسن عمله اشتد بلاؤه، ومن سخط دينه وضعف عمله قلّ بلاؤه، وإن البلاء أسرع إلى المؤمن التقى من المطر إلى قرار الأرض، وذلك أن الله عز وجل لم يجعل الدنيا ثواباً لمؤمن ولا عقوبة لكافر»^(٢).

وعن سلمان بن غانم قال: سألتني أبو عبد الله ﷺ: «كيف تركت الشيعة»؟

فقلت: تركت الحاجة فيهم والبلاء أسرع إليهم من الميزاب السريع في ماء المطر.

فقال: «الله المستعان» ثم قال: «أيسرك الأمر الذي أنت عليه أم مائة ألف»؟

قلت: لا والله، ولا جبال تهامة ذهباً.

فقال: «من أغنى منك ومن أصحابك، ما على أحدكم ولو ساح في الأرض يأكل من ورق الشجر ونبت الأرض حتى يأتيه الموت»^(٣).

(١) انظر وسائل الشيعة: ج ٣ ص ٢٦٢ ب ٧٧ ضمن ح ٣٥٩١.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ٢ ص ٤٤٠-٤٤١ ب ٦٥ ح ٢٤٠٨.

(٣) مشكاة الأنوار: ص ٢٩٢ ف ٦ في الابتلاء والاختبار.

رحمة للعالمين

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١).

وفي الحديث القدسي قال الله تعالى لعيسى بن مريم عليه السلام: «ثم إنني أوصيك يا ابن مريم البكر البتول بسيد المرسلين وحيبي منهم، أحمد صاحب الجمل الأحمر والوجه الأقرم المشرق بالنور، الطاهر القلب، الشديد البأس، الحي المتكرم، فإنه رحمة للعالمين وسيد ولد آدم عندي»^(٢).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن الله تبارك وتعالى بعثني رحمة للعالمين»^(٣).

وقال صلى الله عليه وآله: «إنما أنا رحمة مهداة»^(٤).

وقد روي أنه: قام رسول الله صلى الله عليه وآله على الصفا ونادى في أيام الموسم: يا أيها الناس إنني رسول الله رب العالمين، فرمقه الناس بأبصارهم، قالها ثلاثا. ثم انطلق صلى الله عليه وآله حتى أتى المروة، ثم وضع يده في أذنه ثم نادى ثلاثا بأعلى صوته: يا أيها الناس إنني رسول الله، ثلاثا.

فرمقه الناس بأبصارهم، ورماه أبو جهل (قبحه الله) بحجر فشج بين عينيه، وتبعه المشركون بالحجارة، فهرب صلى الله عليه وآله حتى أتى الجبل فاستند إلى موضع يقال له: المتكأ، وجاء المشركون في طلبه، وجاء رجل إلى علي بن أبي طالب عليه السلام وقال: يا علي قد قُتل محمد.

(١) سورة الأنبياء: ١٠٧.

(٢) الأموال للصديق: ص ٥١٩-٥٢٠ المجلس ٧٨.

(٣) انظر روضة الواعظين: ج ٢ ص ٤٦٤ مجلس في ذكر الخمر والربا.

(٤) كشف الغمة: ج ١ ص ٨ ذكر أسمائه صلى الله عليه وآله.

فانطلق ﷺ إلى منزل خديجة ﷺ فدق الباب ، فقالت : خديجة من هذا؟
قال : أنا علي .

قالت : يا علي ما فعل محمد؟

قال : لا أدري ، إلا أن المشركين قد رموه بالحجارة ، وما أدري أحي هو أم
ميت ، فأعطيني شيئاً فيه ماء وخذي معك شيئاً من هيس وانطلقيني بنا نلتمس
رسول الله ﷺ فإننا نجده جائعاً عطشاناً .

فمضى ﷺ حتى جاز الجبل وخديجة ﷺ معه ، فقال علي : يا خديجة
استبطني الوادي حتى أستظهره ، فجعل ينادي : يا محمداه ، يا رسول الله ،
نفسي لك الفداء ، في أي واد أنت ملقى؟

وجعلت خديجة تنادي : من أحس لي النبي المصطفى ، من أحس لي
الربيع المرتضى ، من أحس لي المطرود في الله ، من أحس لي أبا القاسم؟
وهبط عليه جبرئيل ﷺ فلما نظر إليه النبي ﷺ بكى وقال : ما ترى ما
صنع بي قومي ، كذبوني وطرّدوني وخرجوا عليّ! .

فقال : يا محمد ناولني يدك ، فأخذ يده فأقعه على الجبل ، ثم أخرج من
تحت جناحه درنوكاً من درانيك الجنة منسوجاً بالدر والياقوت وبسطه حتى جلل
به جبال تهامة ، ثم أخذ بيد رسول الله ﷺ حتى أقعده عليه ثم قال له جبرئيل :
يا محمد أتريد أن تعلم كرامتك على الله؟

قال : نعم .

قال : فادع إليك تلك الشجرة تجبك .

فدعاها ، فأقبلت حتى خرت بين يديه ساجدة.

فقال : يا محمد مرها ترجع.

فأمرها ، فرجعت إلى مكانها.

وهبط عليه إسماعيل حارس السماء الدنيا فقال : السلام عليك يا رسول

الله ، قد أمرني ربي أن أطيعك ، أفتأمرني أن أنثر عليهم النجوم فأحرقهم؟

وأقبل ملك الشمس فقال : السلام عليك يا رسول الله ، أأمرني أن آخذ

عليهم الشمس فأجمعها على رؤوسهم فتحرقهم؟

وأقبل ملك الأرض فقال : السلام عليك يا رسول الله ، إن الله عزوجل قد

أمرني أن أطيعك ، أفتأمرني أن آمر الأرض فتجعلهم في بطنها كما هم على

ظهرها؟

وأقبل ملك الجبال فقال : السلام عليك يا رسول الله ، إن الله قد أمرني أن

أطيعك ، أفتأمرني أن آمر الجبال فتقلب عليهم فتحطمهم؟

وأقبل ملك البحار فقال : السلام عليك يا رسول الله ، قد أمرني ربي أن

أطيعك ، أفتأمرني أن آمر البحار فتغرقهم؟

فقال رسول الله ﷺ : قد أمرتم بطاعتي؟

قالوا : نعم.

فرفع رأسه إلى السماء ونادى :

إني لم أبعث عذابا ، إنما بعثت رحمة للعالمين ، دعوني وقومي فإنهم

لا يعلمون.

ونظر جبرئيل ﷺ إلى خديجة تجول في الوادي فقال: يا رسول الله ألا ترى إلى خديجة، قد أبكت لبكائها ملائكة السماء، ادعها إليك فأقرئها مني السلام وقل لها: إن الله يقرئك السلام وبشرها أن لها في الجنة بيتا من قصب لا نصب فيه ولا صخب، لؤلؤاً مكللاً بالذهب.

فدعاها النبي ﷺ والدماء تسيل من وجهه على الأرض وهو يمسحها ويردها، قالت: فذاك أبي وأمي، دع الدمع يقع على الأرض.
قال: أخشى أن يغضب رب الأرض على من عليها.

فلما جن عليهم الليل انصرفت خديجة ﷺ ورسول الله ﷺ وعليه ﷺ ودخلت به منزلها، فأقعده على الموضع الذي فيه الصخرة وأظلمت بصخرة من فوق رأسه وقامت في وجهه تستره ببردها، وأقبل المشركون يرمونه بالحجارة فإذا جاءت من فوق رأسه صخرة وقته الصخرة، وإذا رموه من تحته وقته الجدران الحيط، وإذا رمي من بين يديه وقته خديجة ﷺ بنفسها وجعلت تنادي: يا معشر قريش ترمي الحرة في منزلها، فلما سمعوا ذلك انصرفوا عنه وأصبح رسول الله ﷺ وغدا إلى المسجد يصلي»^(١).

(١) راجع بحار الأنوار: ج ١٨ ص ٢٤١-٢٤٤ ب ١ ضمن ح ٨٩.

لا مثلها نازلة ولا بائقة عاجلة

النكرة في سياق النفي

مسألة: النكرة في سياق النفي أو النهي تفيد العموم^(١)، على ما ذكرناه في الأصول^(٢).

فإن كل ما نزل على البشر من المصائب لم يكن بمنزلة موت الرسول ﷺ في الأهمية، وكذلك ما سيحل على البشر بعد الرسول ﷺ وإلى يوم القيامة. قولها ﷺ: «لا مثلها نازلة» فإن تلك النوازل صغار بالنسبة إلى هذه النازلة وهي موت رسول الله ﷺ.

قولها ﷺ: «ولا بائقة عاجلة» البائقة: الداهية والطامة، والمراد بالعاجلة: في هذه الدنيا في مقابل المحشر الذي هو بائقة آجلة، ففي البوائق العاجلة في الدنيا لا شبيه لموت الرسول ﷺ إطلاقاً.

وربما يكون (بائقة عاجلة) في قبال مصيبة كفاجعة الطف، أو ما قبلها: كمقتل أمير المؤمنين ﷺ، فإن الفاصل بين استشهادهما (صلوات الله عليهما) كان ثلاثين سنة، وباعتبار كونه ﷺ نفس رسول الله ﷺ يتضح المعنى أكثر.

قال الراوي في بيان ما وقع في مقتل أمير المؤمنين ﷺ: فاصطفقت أبواب الجامع، وضجت الملائكة في السماء بالدعاء، وهبت ريح عاصف سوداء

(١) فان (نازلة) و(بائقة) نكرتان وقعتا في سياق النفي.

(٢) راجع (الأصول) للإمام الشيرازي تفتت: ص ٥١٧ طبع دار العلوم، الطبعة الخامسة ٢٠٠٠م ١٤٢١هـ.

مظلمة ، ونادى جبرئيل ﷺ بين السماء والأرض بصوت يسمعه كل مستيقظ :
«تهدمت والله أركان الهدى ، وانطمست والله نجوم السماء وأعلام التقى ،
وانفصمت والله العروة الوثقى ، قُتل ابن عم محمد المصطفى ، قُتل الوصي
المجتبى ، قُتل علي المرتضى ، قُتل والله سيد الأوصياء ، قتله أشقى الأشقياء»^(١).
هذا وقد تأمر القوم على قتل علي ﷺ في مواطن عديدة منها ليلة العقبة
حينما تأمروا على قتل رسول الله ﷺ.

قال الإمام العسكري ﷺ : «لقد رامت الفجرة الكفرة ليلة العقبة قتل
رسول الله ﷺ على العقبة ، ورام من بقي من مردة المنافقين بالمدينة قتل علي بن
أبي طالب ﷺ فما قدروا على مغالبة ربهم ، حملهم على ذلك حسدهم لرسول
الله ﷺ في علي ﷺ لما فخم من أمره وعظم من شأنه ، من ذلك أنه لما خرج من
المدينة وقد كان خلفه عليها قال له : إن جبرئيل أتاني قال لي : يا محمد إن العلي
الأعلى يقرئك السلام ويقول لك : يا محمد إما أن تخرج أنت وتقيم علي أو
يخرج علي وتقيم أنت ، لا بد من ذلك ، فإن عليا قد نذبه لإحدى اثنتين لا يعلم
أحد كنه جلال من أطاعني فيهما وعظيم ثوابه غيري.

فلما خلفه أكثر المنافقون الطعن فيه فقالوا : مله وسئمه وكره صحبته.
فتبعه علي ﷺ حتى لحقه وقد وجد مما قالوا فيه ، فقال رسول الله ﷺ : ما
أشخصك عن مركزك؟

قال : بلغني عن الناس كذا وكذا.

(١) راجع بحار الأنوار : ج ٤٢ ص ٢٨٢ ب ١٢٧.

فقال له : أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي.

فانصرف علي عليه السلام إلى موضعه ، فدبروا عليه أن يقتلوه ، وتقدموا في أن يحفروا له في طريقه حفيرة طويلة قدر خمسين ذراعاً ثم غطوها بحصر رقاق ونثروا فوقها يسيراً من التراب بقدر ما غطوا وجوه الحصر وكان ذلك على طريق علي عليه السلام الذي لا بد له من سلوكه ، ليقع هو ودابته في الحفيرة التي قد عمقوها ، وكان ما حوالي المحفور أرضاً ذات حجارة ، دبروا على أنه إذا وقع مع دابته في ذلك المكان كبسوه بالأحجار حتى يقتلوه.

فلما بلغ علي عليه السلام قرب المكان لوى فرسه عنقه وأطاله الله فبلغت جحفلته أذنه وقال : يا أمير المؤمنين قد حفرها هنا ودبر عليك الحتف ، وأنت أعلم لا تمر فيه .

فقال له علي عليه السلام : جزاك الله من ناصح خيراً كما تدبر تدبيري فإن الله عزوجل لا يخليك من صنعه الجميل ، وسار حتى شارف المكان فتوقف الفرس خوفاً من المرور على المكان ، فقال علي عليه السلام : سر ياذن الله سالماً سوياً عجيباً شأنك بديعاً أمرك ، فتبادرت الدابة ، فإذا الله عزوجل قد متن الأرض وصلبها ولأم حفرها وجعلها كسائر الأرض ، فلما جاوزها علي عليه السلام لوى الفرس عنقه ووضع جحفلته على أذنه ثم قال : ما أكرمك على رب العالمين ، جوزك على هذا المكان الخاوي.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : جازاك الله بهذه السلامة عن تلك النصيحة التي نصحتني ، ثم قلب وجه الدابة إلى ما يلي كفلها والقوم معه ، بعضهم كان أمامه

وبعضهم خلفه، وقال: اكشفوا عن هذا المكان، فكشفوا عنه فإذا هو خاو ولا يسير عليه أحد إلا وقع في الحفيرة.

فأظهر القوم الفزع والتعجب مما رأوا، فقال علي ﷺ للقوم: أتدرون من عمل هذا؟

قالوا: لا ندري.

قال علي ﷺ: لكن فرسي هذا يدري، يا أيها الفرس كيف هذا ومن دبر هذا؟

فقال الفرس: يا أمير المؤمنين إذا كان الله عز وجل يبرم ما يروم جهال الخلق نقضه أو كان ينقض ما يروم جهال الخلق إبرامه فالله هو الغالب والخلق هم المغلوبون، فعل هذا يا أمير المؤمنين فلان وفلان وفلان إلى أن ذكر العشرة بمواطاة من أربعة وعشرين هم مع رسول الله ﷺ في طريقه، ثم دبروا هم على أن يقتلوا رسول الله ﷺ على العقبة والله عز وجل من وراء حياطة رسول الله ﷺ وولي الله لا يغلبه الكافرون، الحديث»^(١).

يوم عاشوراء

عن عبد الله بن الفضل الهاشمي قال: قلت لأبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق ﷺ: يا ابن رسول الله كيف صار يوم عاشوراء يوم مصيبة وغم وجزع وبكاء دون اليوم الذي قبض فيه رسول الله ﷺ واليوم الذي مات فيه فاطمة ﷺ واليوم الذي قتل فيه أمير المؤمنين ﷺ واليوم الذي قتل فيه الحسن ﷺ بالسم؟

(١) تفسير الإمام العسكري ﷺ: ص ٣٨٠-٣٨٢ واقعة ليلة العقبة ضمن ح ٢٦٥.

فقال: «إن يوم قتل الحسين (ع) أعظم مصيبة من جميع سائر الأيام، وذلك أن أصحاب الكساء الذين كانوا أكرم الخلق على الله تعالى كانوا خمسة، فلما مضى عنهم النبي (ص) بقي أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين (ع)، فكان فيهم للناس عزاء وسلوة، فلما مضت فاطمة (ع) كان في أمير المؤمنين والحسن والحسين (ع) للناس عزاء وسلوة، فلما مضى منهم أمير المؤمنين (ع) كان للناس في الحسن والحسين (ع) عزاء وسلوة، فلما مضى الحسن (ع) كان للناس في الحسين عزاء وسلوة، فلما قتل الحسين (ع) لم يكن بقي من أهل الكساء أحد للناس فيه بعده عزاء وسلوة فكان ذهابه كذهاب جميعهم، كما كان بقاؤه كبقاء جميعهم، فلذلك صار يومه أعظم الأيام مصيبة».

قال عبد الله بن الفضل الهاشمي: فقلت له: يا ابن رسول الله فلم لم يكن للناس في علي بن الحسين (ع) عزاء وسلوة مثل ما كان لهم في آبائه (ع)؟

فقال: «بلى، إن علي بن الحسين كان سيد العابدين وإماما وحجة على الخلق بعد آبائه الماضين ولكنه لم يلق رسول الله (ص) ولم يسمع منه وكان علمه وراثته عن أبيه عن جده عن النبي (ص) وكان أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين (ع) قد شاهدتهم الناس مع رسول الله (ص) في أحوال في أن يتوالى، فكانوا متى نظروا إلى أحد منهم تذكروا حاله من رسول الله (ص) وقول رسول الله (ص) له وفيه، فلما مضوا فقد الناس مشاهدة الأكرمين على الله عز وجل ولم يكن في أحد منهم فقد جميعهم إلا في فقد الحسين (ع) لأنه مضى في آخرهم، فلذلك صار يومه أعظم الأيام مصيبة».

قال عبد الله بن الفضل الهاشمي : فقلت له : يا ابن رسول الله فكيف سميت العامة يوم عاشوراء يوم بركة؟
فبكى ﷺ ثم قال : «لما قُتل الحسين ﷺ تقرب الناس بالشام إلى يزيد فوضعوا له الأخبار وأخذوا عليها الجوائز من الأموال ، فكان مما وضعوا له أمر هذا اليوم وأنه يوم بركة ليعدل الناس فيه من الجزع والبكاء والمصيبة والحزن إلى الفرح والسرور والتبرك والاستعداد فيه ، حكم الله بيننا وبينهم»^(١).

(١) علل الشرائع : ج ١ ص ٢٢٥-٢٢٧ ب ١٦٢ ح ١.

أعلن بها كتاب الله جل ثناؤه في أفئيتكم

علاقة القرآن والعترة

مسألة: الظاهر أن هنالك ترابطاً ثبوتياً وإثباتياً بين كتاب الله التشريعي وكتابه التكويني.

والمصداق الأجلى لذلك: الترابط بين القرآن الناطق^(١) والصامت، و«لن يفترقا»^(٢) يشير فيما يشير إلى ذلك أيضاً.

وقولها عليها السلام: «أعلن» من الشواهد على ذلك.

قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس إني فرطكم وأنتم واردون عليّ الحوض، ألا وإني سائلكم عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يلقياني، وسألت ربي ذلك فأعطانيه، ألا وإني قد تركتهما فيكم كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ولا تسبقوهم فتفرقوا، ولا تقصروا عنهم فتهلكوا، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم»^(٣).

وقال ﷺ: «إني تارك فيكم خليفتين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»^(٤).

(١) إشارة إلى أهل البيت عليهم السلام.

(٢) إشارة إلى حديث الثقلين، حيث قال رسول الله ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن

تضلوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض» وسائل الشيعة: ج ٢٧

ص ٣٣ ب ٥ ح ٣٣١٤٤.

(٣) الإرشاد: ج ١ ص ١٨٠.

(٤) كمال الدين: ج ١ ص ٢٤٠ ب ٢٢ ح ٦٠.

وعن جابر قال : قال أبو جعفر عليه السلام : دعا رسول الله ﷺ أصحابه بمنى فقال : يا أيها الناس إني تارك فيكم الثقلين أما إن تمسكتم بهما لن تضلوا : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ، ثم قال : أيها الناس إني تارك فيكم حرمت الله : كتاب الله وعترتي والكعبة البيت الحرام ، ثم قال أبو جعفر عليه السلام : «أما كتاب الله فحرفوا^(١) ، وأما الكعبة فهدموا ، وأما العترة فقتلوا ، وكل ودائع الله فقد تبروا»^(٢).

وعن الصادق عليه السلام عن أبيه عن جده علي بن الحسين عن أبيه عليه السلام قال : «سُئل أمير المؤمنين عليه السلام عن معنى قول رسول الله ﷺ : إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ، فقليل له : من العترة ؟ فقال : أنا والحسن والحسين والأئمة التسعة من ولد الحسين تاسعهم مهديهم وقائمهم ، لا يفارقون كتاب الله ولا يفارقهم حتى يردوا على رسول الله ﷺ حوضه»^(٣).

وقال عليه السلام : «عليكم بالقرآن ، فإنه الشفاء النافع ، والدواء المبارك ، عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن اتبعه» ثم قال : «أتدرون من المتمسك به ، الذي يتمسكه ينال هذا الشرف العظيم ، هو الذي يأخذ القرآن وتأويله عنا أهل البيت وعن وسائطنا السفراء عنا إلى شيعتنا»^(٤).

وعن سليم بن قيس قال : خرج علينا علي بن أبي طالب عليه السلام ونحن في

(١) أي حرفوا معناه ولم يعملوا به.

(٢) بصائر الدرجات : ص ٤١٣-٤١٤ ب ١٧ ح ٣.

(٣) كشف الغمة : ج ٢ ص ٥٠٩ ب ٢٥.

(٤) انظر وسائل الشيعة : ج ٢٧ ص ٣٣ ب ٥ ضمن ح ٣٣١٤٣.

المسجد فاحتوشناه فقال: «سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني عن القرآن فإن في القرآن علم الأولين والآخرين، لم يدع لقائل مقالا، ولا يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم وليسوا بواحد ورسول الله ﷺ كان واحدا منهم، علمه الله سبحانه إياه و علمنيه رسول الله ﷺ ثم لا يزال في عقبه إلى يوم تقوم الساعة، ثم قرأ: ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾^(١)، فأنا من رسول الله ﷺ بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة، والعلم في عقبنا إلى أن تقوم الساعة، ثم قرأ: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾^(٢)، ثم قال: كان رسول الله عقب إبراهيم ونحن أهل البيت عقب إبراهيم وعقب محمد ﷺ»^(٣).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «نحن أهل البيت لا يقاس بنا أحد، فينا نزل القرآن وفينا معدن الرسالة»^(٤).

وقال رسول الله ﷺ: «يا عليّ مثلك في أمّتي مثل ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾»^(٥)، فمن أحبّك بقلبه فكأنما قرأ ثلث القرآن، ومن أحبّك بقلبه وأعانك بلسانه فكأنما قرأ ثلثي القرآن، ومن أحبّك بقلبه وأعانك بلسانه ونصرك بيده فكأنما قرأ القرآن كله»^(٦).

(١) سورة البقرة: ٢٤٨.

(٢) سورة الزخرف: ٢٨.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة: ص ٥٤٠ سورة الزخرف وما فيها من الآيات.

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢ ص ٦٦ ب ٣١ ح ٢٩٧.

(٥) سورة الإخلاص: ١.

(٦) الخصال: ج ٢ ص ٥٨٠ أبواب السبعين، لأمر المؤمنين عليهم السلام سبعون منقبة.

وقال النبي ﷺ: في حديث: «بما تعجبون، إن القرآن أربعة أرباع، فربع فينا أهل البيت خاصة، وربع في أعدائنا، وربع حلال وحرام، وربع فرائض وأحكام، وإن الله أنزل في علي ﷺ كرائم القرآن»^(١).

وقال أبو عبد الله ﷺ: «إن الله جعل ولايتنا أهل البيت قطب القرآن وقطب جميع الكتب، عليها يستدير محكم القرآن وبها نوهت الكتب، ويستبين الإيمان، وقد أمر رسول الله ﷺ أن يقتدى بالقرآن وآل محمد، وذلك حيث قال في آخر خطبة خطبها: إني تارك فيكم الثقلين الثقل الأكبر والثقل الأصغر، فأما الأكبر فكتاب ربي وأما الأصغر فعترتي أهل بيتي، فاحفظوني فيهما فلن تضلوا ما تمسكتم بهما»^(٢).

وقال رسول الله ﷺ في حديث: «أخي ووزير ووارثي ووصيي وخليفتي في أمتي وولي كل مؤمن بعدي، ثم ابني الحسن والحسين ثم تسعة من ولد الحسين واحد بعد واحد، القرآن معهم وهم مع القرآن، لا يفارقونه ولا يفارقهم حتى يردوا عليّ الحوض»^(٣).

(١) تفسير فرات الكوفي: ص ٢٤٩ سورة مريم، ضمن ح ٢٤٨.

(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ٥ في فضل القرآن ح ٩.

(٣) انظر الاحتجاج: ج ١ ص ١٤٨ احتجاجه ﷺ على جماعة كثيرة من المهاجرين.

الرسول الأعظم عليه السلام والقرآن الكريم

مسألة: من اللازم سبر أغوار شدة ارتباط الرسول عليه السلام بالقرآن الكريم، وبصورة عامة استكشاف عمق العلاقة التشريعية والتكوينية بين العترة المطهرة عليهم السلام والكتاب المبين، عبر دراسة الأبعاد الجلية والخفية في عبارات وإشارات ولطائف وحقائق القرآن الكريم^(١).

وقولها عليها السلام «أعلن» من مصاديق ذلك، والإعلان كان في آيات عديدة. حيث قال سبحانه: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَانْهَم مَيِّتُونَ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾^(٣).

وقال سبحانه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾^(٤).

وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾^(٥).

وذكر البعض بأن المسلمين كانوا يتوقعون البقاء والخلود في الحياة الدنيا لما رأوا من معاجز الرسول عليه السلام ووجاهته عند الله سبحانه وتعالى، لكن الله أعلن أن كل شيء هالك إلا وجهه وأعلن أن الرسول عليه السلام ميت أيضاً بصورة خاصة.

(١) للمزيد راجع الموسوعة الفقهية للإمام الشيرازي رحمته الله كتاب حول القرآن الكريم: ج ٩٨ ص ٢٤٧-٢٦٠.

(٢) سورة الزمر: ٣٠.

(٣) سورة الأنبياء: ٣٤.

(٤) سورة العنكبوت: ٥٧.

(٥) سورة الأنبياء: ٣٥.

ولعل كلامها ﷺ تعريض بالذين أنكروا موت الرسول ﷺ وبيان لأن هذا القائل لا يعرف حتى أوضح الآيات في كتاب الله سبحانه^(١).

حيث ورد: أنه لما قبض رسول الله ﷺ أقبل عمر بن الخطاب يقول: والله ما مات محمد وإنما غاب كغيبه موسى عن قومه!، وإنه سيظهر بعد غيبته، فما زال يردد هذا القول ويكرّره حتى ظنّ الناس أن عقله قد ذهب، فأتاه أبو بكر وقد اجتمع الناس عليه يتعجبون من قوله، فقال: اربع على نفسك يا عمر من يمينك التي تحلف بها، فقد أخبرنا الله عز وجل في كتابه، فقال: يا محمد ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾^(٢). فقال عمر: وإنّ هذه الآية لفي كتاب الله يا أبا بكر! فقال: نعم. فقال: نعم، أشهد بالله لقد ذاق محمد الموت^(٣).

وقال ابن أبي الحديد:

روى جميع أصحاب السيرة أن رسول الله ﷺ لما توفي كان أبو بكر في منزله بالسّنع، فقام عمر بن الخطاب فقال: ما مات رسول الله ﷺ ولا يموت حتى يظهر دينه على الدين كله!، وليرجعن فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم ممن أرجف بموته، ولا أسمع رجلا يقول مات رسول الله ﷺ إلا ضربته بسيفي، فجاء أبو بكر وكشف عن وجه رسول الله ﷺ، وقال: بأبي وأمي طبت حيا وميتا، والله لا يذيقك الله الموتين أبدا، ثم خرج والناس حول عمر وهو يقول لهم: إنه لم يمّت، ويحلف، فقال له: أيها الحالف على رسلك، ثم قال: من

(١) سورة الزمر: ٣٠.

(٢) سورة الزمر: ٣٠.

(٣) كمال الدين: ج ١ ص ٣١-٣٢ إثبات الغيبة والحكمة فيها.

كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله، فإن الله حي لا يموت، قال الله تعالى ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾^(١)، وقال: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾^(٢)، قال عمر: فو الله ما ملكت نفسي حيث سمعتها أن سقطت إلى الأرض، وقد علمت أن رسول الله ﷺ قد مات^(٣).

وفي البحار: قال رسول الله ﷺ: «لما نزلت هذه الآية ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾^(٤)، قلت: يا رب أيموت الخلائق ويبقى الأنبياء، فنزلت: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾^(٥)»^(٦).

وعن ابن عباس والسدي: لما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾^(٧)، قال رسول الله ﷺ: «ليتني أعلم متى يكون ذلك» فنزلت سورة النصر، فكان يسكت بين التكبير والقراءة بعد نزولها فيقول: «سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه» فقليل له في ذلك، فقال: «أما إن نفسي نعت إليّ» ثم بكى بكاء شديداً، فقليل: يا رسول الله أو تبكي من الموت وقد غفر الله لك ﴿مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾^(٨) قال: «فأين هول المطلع وأين ضيقة

(١) سورة الزمر: ٣٠.

(٢) سورة آل عمران: ١٤٤.

(٣) شرح نهج البلاغة: ج ٢ ص ٤٠-٤١ حديث السقيفة.

(٤) سورة الزمر: ٣٠.

(٥) سورة العنكبوت: ٥٧.

(٦) بحار الأنوار: ج ٦ ص ٣٢٨ ب ٢ ح ٨.

(٧) سورة الزمر: ٣٠.

(٨) سورة الفتح: ٢.

القبر وظلمة اللحد وأين القيامة والأهوال» فعاش بعد نزول هذه السورة عاما^(١).

وفي تفسير فرات بن إبراهيم عن نوف البكالي عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «جاءت جماعة من قريش إلى النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله انصب لنا علما يكون لنا من بعدك لنهتدي ولا نضل كما ضلت بنو إسرائيل بعد موسى بن عمران، فقد قال ربك: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾^(٢) ولسنا نطمع أن تعمّر فينا ما عمر نوح في قومه وقد عرفت منتهى أجلك ونريد أن نهتدي ولا نضل. قال ﷺ: إنكم قريبو عهد بالجاهلية وفي قلوب أقوام أضغان وعسيت إن فعلت أن لا تقبلوا ولكن من كان في منزله الليلة آية من غير ضير فهو صاحب الحق.

قال: فلما صلى رسول الله ﷺ العشاء وانصرف إلى منزله سقط في منزلي نجم أضاءت له المدينة وما حولها وانفلق بأربع فلق انشعبت في كل شعبة فلقة من غير ضير.

قال نوف: قال لي جابر بن عبد الله: إن القوم أصروا على ذلك وأمسكوا، فلما أوحى الله إلى نبيه أن ارفع ضبع ابن عمك قال: يا جبرئيل أخاف من تشتت قلوب القوم فأوحى الله إليه: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(٣)

(١) المناقب: ج ١ ص ٢٣٤ فصل في وفاته ﷺ.

(٢) سورة الزمر: ٣٠.

(٣) سورة المائدة: ٦٧.

فأمر النبي ﷺ بلالا أن ينادي بالصلاة جامعة، فاجتمع المهاجرون والأنصار فصعد المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال: يا معشر قريش لكم اليوم الشرف صفوا صفوفكم، ثم قال: يا معشر العرب لكم اليوم الشرف صفوا صفوفكم، ثم قال: يا معشر الموالي لكم اليوم الشرف صفوا صفوفكم، ثم دعا بدواة قرطاس فأمر فكتب فيه: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، قال: شهدتم؟

قالوا: نعم.

قال: أفتعلمون أن الله مولاكم؟

قالوا: اللهم نعم.

قال: أفتعلمون أنني مولاكم؟

قالوا: اللهم نعم.

قال: فقبض على ضبع علي بن أبي طالب عليه السلام فرفعه للناس حتى تبين

بياض إبطيه ثم قال: من كنت مولاه فهذا علي مولاه، ثم قال: اللهم وال من

والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله، فأنزل الله تعالى:

﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ *

إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(١) فأوحى إليه: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ

مِنْ رَبِّكَ﴾^(٢).

(١) سورة النجم: ١-٤.

(٢) تفسير فرات الكوفي: ص ٤٥٠-٥٤١ من سورة النجم ح ٤٥٠.

وفي تفسير القمي : ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ يعني أمير المؤمنين عليه السلام ومن غصبه حقه ، ثم ذكر أيضا أعداء آل محمد ومن كذب على الله وعلى رسوله وادعى ما لم يكن له فقال ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ﴾ يعني بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله من الحق وولاية أمير المؤمنين عليه السلام ، ثم ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام فقال : ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾ يعني أمير المؤمنين عليه السلام ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾^(١).

وفي تفسير القمي أيضا :

﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون﴾^(٢) فإنه لما أخبر الله نبيه بما يصيب أهل بيته بعده وادعاء من ادعى الخلافة دونهم اغتم رسول الله صلى الله عليه وآله فأنزل الله عز وجل : ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة﴾ أي نختبرهم ﴿والينا ترجعون﴾ فأعلم ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله أنه لا بد أن يموت كل نفس^(٣).

وعن يعقوب الأحمر قال :

دخلنا على أبي عبد الله عليه السلام نغزيه بإسماعيل ، فترحم عليه ثم قال : «إن الله عز وجل نعى إلى نبيه صلى الله عليه وآله نفسه فقال ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾^(٤) وقال

(١) تفسير القمي : ج ٢ ص ٢٤٩ سورة الزمر.

(٢) سورة الأنبياء : ٣٤.

(٣) تفسير القمي : ج ٢ ص ٧٠ سورة الأنبياء.

(٤) سورة الزمر : ٣٠.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾^(١)، ثم أنشأ يحدث فقال: إنه يموت أهل الأرض حتى لا يبقى أحد، ثم يموت أهل السماء حتى لا يبقى أحد إلا ملك الموت وحملة العرش وجبرئيل وميكائيل، قال: فيجيء ملك الموت حتى يقوم بين يدي الله عز وجل، فيقال له: من بقي، وهو أعلم، فيقول: يا رب لم يبق إلا ملك الموت وحملة العرش وجبرئيل وميكائيل، فيقال: قل لجبرئيل وميكائيل فليموتا، فيقول الملائكة عند ذلك: يا رب رسولك وأمينك، فيقول: إني قد قضيت على كل نفس فيها الروح الموت، ثم يجيء ملك الموت حتى يقف بين يدي الله عز وجل فيقال له: من بقي، وهو أعلم، فيقول: يا رب لم يبق إلا ملك الموت وحملة العرش، فيقول: قل لحملة العرش فليموتا، قال: ثم يجيء كثيباً حزينا لا يرفع طرفه، فيقال له: من بقي، فيقول: يا رب لم يبق إلا ملك الموت، فيقال له: مت يا ملك الموت، فيموت، ثم يأخذ الأرض بيمينه والسموات بيمينه ويقول: أين الذين كانوا يدعون معي شريكا، أين الذين كانوا يجعلون معي إلها آخر^(٢).

وفي حديث وفاة رسول الله ﷺ قال ﷺ: «فنزل ملك الموت فقال له جبرئيل: يا ملك الموت احفظ وصية الله في روح محمد ﷺ، وكان جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره وملك الموت أخذ بروحه ﷺ فلما كشف الثوب عن وجه رسول الله نظر إلى جبرئيل فقال له: عند الشدائد تخذلني، فقال: يا محمد ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ فروي عن ابن عباس أن

(١) سورة العنكبوت: ٥٧.

(٢) الكافي: ج ٣ ص ٢٥٦ باب النوادر ح ٢٥.

رسول الله ﷺ في ذلك المرض كان يقول: ادعوا إليّ حبيبي، فجعل يدعى له رجل بعد رجل، فيعرض عنه، ف قيل لفاطمة: امضي إلى علي، فما نرى رسول الله ﷺ يريد غير علي، فبعثت فاطمة إلى علي عليه السلام فلما دخل فتح رسول الله ﷺ عينيه وتهلل وجهه ثم قال: إليّ يا علي، إليّ يا علي، فما زال عليه السلام يدينه حتى أخذه بيده وأجلسه عند رأسه ثم أغمى عليه، فجاء الحسن والحسين عليهما السلام يصيحان ويكيان حتى وقعا على رسول الله ﷺ فأراد علي عليه السلام أن ينحيهما عنه، فأفاق رسول الله ﷺ ثم قال: يا علي دعني أشمهما ويشماني وأتزوّد منهما ويتزوّدان مني أما إنهما سيظلمان بعدي ويقتلان ظلما، فلعنة الله على من يظلمهما، يقول ذلك ثلاثا، ثم مد يده إلى علي عليه السلام فجذبه إليه حتى أدخله تحت ثوبه الذي كان عليه ووضع فاه على فيه وجعل يناجيه مناجاة طويلة حتى خرجت روحه الطيبة ﷺ فأنسل علي عليه السلام من تحت ثيابه وقال: أعظم الله أجوركم في نبيكم، فقد قبضه الله إليه، فارتفعت الأصوات بالضجة والبكاء، ف قيل لأمير المؤمنين عليه السلام: ما الذي ناجاك به رسول الله ﷺ حين أدخلك تحت ثيابه؟ فقال: علمني ألف باب يفتح لي كل باب ألف باب»^(١).

(١) الأما لي للصدوق: ص ٦٣٧-٦٣٨ المجلس ٩٢.

لفظ الجلالة

مسألة: يستحب - تأسيساً بها (عليها السلام) ولغيره أيضاً - أن يتبع لفظ الجلالة «الله» بما يدل على التعظيم مثل: (جل ثناؤه) كما قالت (عليها السلام)، أو (عز وجل) أو (تبارك وتعالى) أو غير ذلك.

وهكذا بالنسبة إلى عظماء الدين كالأنبياء والأئمة (عليهم الصلاة والسلام) فيقال بالنسبة إلى النبي: (صلى الله عليه وآله وسلم)، وبالنسبة إلى الأئمة: (عليهم الصلاة والسلام)، وبالنسبة إلى الأنبياء السابقين: (صلوات الله عليه) بعد الصلاة على الرسول (عليه وآله) فتقول مثلاً: (على نبينا وآله عليه الصلاة والسلام) كما ورد بذلك الخبر.

فعن معاوية بن عمار قال: ذكرت عند أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) بعض الأنبياء فصليت عليه، فقال: «إذا ذكر أحد من الأنبياء فابدأ بالصلاة على محمد وآله ثم عليه صلى الله عليه وآله وسلم وأله وعلى جميع الأنبياء»^(١).

والظاهر أن ما ذكرناه ليس خاصاً باسم الجلالة، وإنما يعم كل أسماء الله سبحانه وتعالى كالرب والقدوس وما أشبه ذلك، بل ينبغي التعظيم بعد ذكر ضميره جل اسمه أيضاً، مثلاً يقال: (فانه جل ثناؤه قال كذا)، وهكذا في سائر الضمائر، وفي دعاء كميل: «وأنت جل ثناؤك قلت مبتدئ»^(٢)، إلى غير ذلك مما لا يخفى على من راجع الأدعية وكلماتهم (صلوات الله عليهم أجمعين).

(١) وسائل الشيعة: ج ٧ ص ٢٠٨ ب ٤٣ ح ٩١٢٩.

(٢) مصباح المتعبد: ص ٢٤٨.

وهكذا بالنسبة إلى الضمير العائد إلى رسول الله ﷺ وأهل بيته الطاهرين ﷺ.

قال رسول الله ﷺ: «البخيل حقاً من ذكرت عنده فلم يصلّ علي»^(١).
وقال ﷺ: «إنّ البخيل كل البخيل الذي إذا ذكرت عنده لم يصلّ علي»^(٢).

وقال ﷺ في حديث: «ومن ذكرت عنده فلم يصل علي فلم يغفر له فأبعده الله»^(٣).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا ذكر النبي ﷺ فأكثروا الصلاة عليه، فإنه من صلى على النبي صلاة واحدة صلى الله عليه ألف صلاة في ألف صف من الملائكة، ولم يبق شيء مما خلقه الله إلا صلى على العبد لصلاة الله وصلاة ملائكته، فمن لم يرغب في هذا فهو جاهل مغرور قد برئ الله منه ورسوله وأهل بيته»^(٤).

وعن ابن القداح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى عليّ صلى الله عليه وملائكته فمن شاء فليقل ومن شاء فليكثر»^(٥).
وعن محمد بن مسلم عن أحدهما عليه السلام قال: «ما في الميزان شيء أثقل من

(١) وسائل الشيعة: ج ٧ ص ٢٠٤ ب ٤٢ ح ٩١١٩.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ٥ ص ٣٥٣ ب ٣٥ ح ٦٠٦٩.

(٣) انظر الأمالي للصدوق: ص ٥٩ المجلس ١٤ ضمن ح ٢.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٤٩٢ باب الصلاة على النبي محمد وأهل بيته ح ٦.

(٥) وسائل الشيعة: ج ٧ ص ١٩٤ ب ٣٤ ح ٩٠٩٢.

الصلاة على محمد وآل محمد، وإن الرجل لتوضع أعماله في الميزان فيميل به فيخرج النبي ﷺ الصلاة عليه فيضعها في ميزانه فيرجح به»^(١).
وقال رسول الله ﷺ: «ارفعوا أصواتكم بالصلاة عليّ فإنها تذهب بالنفاق»^(٢).

وقال ﷺ: «الصلاة عليّ وعلى أهل بيتي تذهب بالنفاق»^(٣).
وقال الإمام الرضا عليه السلام في حديث: «من لم يقدر على ما يكفر به ذنوبه فليكثر من الصلاة على محمد وآله فإنها تهدم الذنوب هدماً»^(٤).
وقال ﷺ: «الصلاة على محمد وآله تعدل عند الله عز وجل التسبيح والتهليل والتكبير»^(٥).

وعن عبد العظيم الحسيني عليه السلام قال: سمعت علي بن محمد العسكري عليه السلام يقول: «إنما اتخذ الله عز وجل إبراهيم خليلاً لكثرة صلاته على محمد وأهل بيته صلوات الله عليهم»^(٦).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «الصلاة على النبي ﷺ أمحق للخطايا من الماء للنار، والسلام على النبي ﷺ أفضل من عتق رقاب»^(٧) الحديث.

(١) عدة الداعي: ص ١٦٥ تقديم الصلاة على النبي وآله.

(٢) مكارم الأخلاق: ص ٣١٢ في الصلاة على النبي وآله.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٤٩٢ باب الصلاة على النبي محمد وأهل بيته ح ٨.

(٤) روضة الواعظين: ج ٢ ص ٣٢٢ في ذكر الصلاة على النبي ﷺ.

(٥) انظر الأمالي للصدوق: ص ٧٣ المجلس ١٧ ضمن ح ٤.

(٦) علل الشرائع: ج ١ ص ٣٤ ب ٣٢ ح ٣.

(٧) ثواب الأعمال: ص ١٥٤ ثواب الصلاة والسلام على النبي ﷺ.

وعن أبي عبد الله ﷺ قال: «وجدت في بعض الكتب: من صلى على محمد وآل محمد كتب الله له مائة حسنة، ومن قال: صلى الله على محمد وأهل بيته، كتب الله له ألف حسنة»^(١).

وعن أبي عبد الله ﷺ قال: «سمع أبي رجلاً متعلقاً بالبيت وهو يقول اللهم صل على محمد، فقال له أبي ﷺ: لا تبتريها لا تظلمنا حقنا، قل: اللهم صل على محمد وأهل بيته»^(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «من أراد التوسل إلي وأن تكون له عندي يد أشفع له بها يوم القيامة فليصل على أهل بيتي ويدخل السرور عليهم»^(٣).

وقال رسول الله ﷺ: «من صلى علي ولم يصل على آلي لم يجد ربح الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام»^(٤).

وعن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ذات يوم لأمر المؤمنين ﷺ: ألا أبشرك؟

قال: بلى.

إلى أن قال: أخبرني جبرئيل أن الرجل من أمتي إذا صلى عليّ وأتبع بالصلاة على أهل بيتي فتحت له أبواب السماء وصلت عليه الملائكة سبعين

(١) ثواب الأعمال: ص ١٥٥-١٥٦ ثواب من صلى على محمد وأهل بيته.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٤٩٥ باب الصلاة على النبي محمد وأهل بيته ح ٢١.

(٣) وسائل الشيعة: ج ٧ ص ٢٠٣ ب ٤٢ ح ٩١١٥.

(٤) وسائل الشيعة: ج ٧ ص ٢٠٣ ب ٤٢ ح ٩١١٧.

صلاة وإنه لمذنب خطأ ثم تحات عنه الذنوب كما يتحات الورق من الشجر ويقول الله تبارك وتعالى لبيك عبدي وسعديك، يا ملائكتي أنتم تصلون عليه سبعين صلاة وأنا أصلي عليه سبعمئة صلاة، وإذا صلى عليّ ولم يتبع بالصلاة على أهل بيتي كان بينها وبين السماوات سبعون حجاباً ويقول الله تبارك وتعالى: لا لبيك ولا سعديك، يا ملائكتي لا تصعدوا دعاءه إلا أن يلحق بالنبى عترته، فلا يزال محجوباً حتى يلحق بي أهل بيتي»^(١).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من قوم اجتمعوا في مجلس فلم يذكروا اسم الله عزوجل ولم يصلوا على نبيهم إلا كان ذلك المجلس حسرة ووبالاً عليهم»^(٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما اجتمع في مجلس قوم لم يذكروا الله عزوجل ولم يذكرونا إلا كان ذلك المجلس حسرة عليهم يوم القيامة» ثم قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «إنّ ذكرنا من ذكر الله وذكر عدونا من ذكر الشيطان»^(٣).

وعن النبي ﷺ قال: «ما جلس قوم يذكرون الله عزوجل إلا ناداهم نناد من السماء قوموا فقد بدلت سيئاتكم حسنات وغفرت لكم جميعاً، وما قعد عدة من أهل الأرض يذكرون الله عزوجل إلا قعد معهم عدة من الملائكة»^(٤).

(١) وسائل الشيعة: ج ٧ ص ٢٠٤-٢٠٥ ب ٤٢ ح ٩١٢٠.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٤٩٧ باب ما يجب من ذكر الله عزوجل في كل مجلس ح ٥.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٤٩٦ باب ما يجب من ذكر الله عزوجل في كل مجلس ح ٢.

(٤) وسائل الشيعة: ج ٧ ص ١٥٣ ب ٣ ح ٨٩٨٢.

وفي ممساكم ومصبحكم

التكرار مساء وصباحاً

مسألة: التكرار مطلوب في الجملة ، وذلك للتركيز ولبیان الأهمية وما أشبهه ، وقد يجب كتكرار الحمد في الركعتين وما أشبهه.

قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۖ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾^(١).

وقال سبحانه : ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًا﴾^(٢).

وقال تعالى : ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾^(٣).

وقال سبحانه : ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾^(٤).

وقال تعالى : ﴿وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾^(٥).

وقال سبحانه : ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًا﴾^(٦).

(١) سورة الأحزاب : ٤١-٤٢.

(٢) سورة مريم : ٦٢.

(٣) سورة الأحزاب : ٤٢.

(٤) سورة الفتح : ٩.

(٥) سورة الإنسان : ٢٥.

(٦) سورة مريم : ١١.

وعن إسماعيل بن عمار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام قوله عز وجل: ﴿اذكروا الله ذكرا كثيرا﴾ ما حده؟ قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله علم فاطمة عليها السلام أن تكبر أربعاً وثلاثين تكبيرة وتسبح ثلاثاً وثلاثين تسبيحة وتحمد ثلاثاً وثلاثين تحميدة فإذا فعلت ذلك بالليل مرة وبالنهار مرة فقد ذكرت الله كثيراً»^(١).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما من شيء إلا وله حد ينتهي إليه إلا الذكر، فليس له حد ينتهي إليه، فرض الله عز وجل الفرائض فمن أداهن فهو حدهن، وشهر رمضان فمن صامه فهو حده، والحج فمن حج فهو حده، إلا الذكر فإن الله عز وجل لم يرض منه بالقليل ولم يجعل له حدا ينتهي إليه، ثم تلا هذه الآية: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ فقال: لم يجعل الله عز وجل له حدا ينتهي إليه»، قال عليه السلام: «وكان أبي عليه السلام كثير الذكر، لقد كنت أمشي معه وإنه ليذكر الله، وأكل معه الطعام وإنه ليذكر الله، ولقد كان يحدث القوم وما يشغله ذلك عن ذكر الله، وكنت أرى لسانه لازقا بحنكه يقول: لا إله إلا الله، وكان يجمعنا فيأمرنا بالذكر حتى تطلع الشمس، ويأمر بالقراءة من كان يقرأ منا، ومن كان لا يقرأ منا أمره بالذكر»^(٢).

وروى أبو حمزة الثمالي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «أتى النبي صلى الله عليه وآله رجل فقال: يا رسول الله لقيت من وسوسة صدري شدة وأنا رجل معيل مدين محوج، فقال له: كرر هذه الكلمات: توكلت على الحي الذي لا يموت،

(١) مستدرک الوسائل: ج ٥ ص ٣٧ ب ٧ ح ٥٣٠٦.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٤٩٨-٤٩٩ باب ذكر الله عز وجل كثيراً ضمن ح ١.

والحمد لله الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبرا، قال: فلم يلبث الرجل أن عاد إليه فقال: يا رسول الله أذهب الله عني وسوسة صدري وقضى ديني ووسع رزقي»^(١).

وقال ﷺ في وصيته لأمر المؤمنين ﷺ: «وعليك يا علي بصلاة الليل» وكرر ذلك ثلاث دفعات^(٢).

وفي دعاء الموقف لعلي بن الحسين ﷺ: «اللهم ارحم موقفي وزد في عملي وسلم لي ديني وتقبل مناسكي»^(٣) وكرر قولك: اللهم أعتقني من النار. إلى غير ذلك من مصاديق التكرار مما هو كثير.

هذا وقد ذكر الفقهاء والمحدثون أبواباً عديدة فيما يستحب التكرار فيه، منها:

باب استحباب إعداد الإنسان كفنه وجعله معه في بيته وتكرار نظره إليه^(٤).
باب استحباب رش القبر بالماء مستقبلاً من عند الرأس دوراً ثم على وسطه وتكرار الرش أربعين يوماً كل يوم مرة^(٥).

باب استحباب تكرار الحمد وقراءتها سبعين مرة على الوجع^(٦).

(١) من لا يحضره الفقيه: ج ١ ص ٣٣٨-٣٣٩ باب أحكام السهو في الصلاة ح ٩٨٦.

(٢) أعلام الدين: ص ٢٦٢ فصل في فضل قيام الليل والترغيب فيه.

(٣) مصباح المتعبد: ص ٦٩٩ دعاء الموقف لعلي بن الحسين ﷺ.

(٤) راجع وسائل الشيعة: ج ٣ ص ٤٩ ب ٢٧.

(٥) راجع وسائل الشيعة: ج ٣ ص ١٩٥ ب ٣٢.

(٦) راجع وسائل الشيعة: ج ٦ ص ٢٣١ ب ٣٧.

- باب استحباب الإكثار من تكرار التسبيح في الركوع والسجود والإطالة
فيهما مهما استطاع حتى الإمام مع احتمال من خلفه للإطالة^(١).
- باب استحباب تكرار الشهادتين^(٢).
- باب استحباب الدعاء بطلب الخيرة وتكرار ذلك^(٣).
- باب استحباب تكرار الحج والعمرة بقدر القدرة^(٤).
- باب استحباب تكرار التسميت ثلاثا عند توالي العطاس من غير زيادة^(٥).
- باب استحباب تكرار التلبية في الإحرام سبعين مرة فصاعدا^(٦).
- باب استحباب تكرار زيارة الحسين  بقدر الإمكان^(٧).
- باب استحباب تكرار التوبة والاستغفار كل يوم وليلة من غير ذنب
ووجوبه مع الذنب^(٨).
- إلى غيرها.

(١) انظر وسائل الشيعة: ج ٦ ص ٣٠٤ ب ٦.

(٢) انظر وسائل الشيعة: ج ٧ ص ٢١٥ ب ٤٦.

(٣) راجع وسائل الشيعة: ج ٨ ص ٧٤ ب ٥.

(٤) راجع وسائل الشيعة: ج ١١ ص ١٢٣ ب ٤٥.

(٥) راجع وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٩١ ب ٦١.

(٦) راجع وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٣٨٦ ب ٤١.

(٧) راجع وسائل الشيعة: ج ١٤ ص ٤٣٧ ب ٤٠.

(٨) راجع وسائل الشيعة: ج ١٦ ص ٨٤ ب ٩٢.

تلاوة القرآن وألحانه

مسألة: يستحب تلاوة القرآن في الصباح والمساء، فإن هذه الأوقات مفتاح باقي الأوقات، إلى المساء، وإلى الصباح، ولذا وردت أدعية عديدة يفتح بها الصباح والمساء، وهما من مظاهر قدرة الله وتحويله وتدبيره وتصرفه، ومن الواضح استحباب قراءة القرآن في كل وقت إلا أن في بعضها أكد.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما يمنع التاجر منكم المشغول في سوقه إذا رجع إلى منزله أن لا ينام حتى يقرأ سورة من القرآن فتكتب له مكان كل آية يقرأها عشر حسنات ويمحى عنه عشر سيئات»^(١).

وعن بشر بن غالب الأسدي عن الحسين بن علي عليه السلام قال: «من قرأ آية من كتاب الله عز وجل في صلاته قائماً يكتب له بكل حرف مائة حسنة، فإذا قرأها في غير صلاة كتب الله له بكل حرف عشر حسنات، وإن استمع القرآن كتب الله له بكل حرف حسنة، وإن ختم القرآن ليلاً صلت عليه الملائكة حتى يصبح، وإن ختمه نهاراً صلت عليه الحفظة حتى يمسي، وكانت له دعوة مجابة وكان خيراً له مما بين السماء إلى الأرض» قلت: هذا لمن قرأ القرآن فمن لم يقرأه؟ قال: «يا أخا بني أسد إن الله جواد ماجد كريم إذا قرأ ما معه أعطاه الله ذلك»^(٢).

(١) الكافي: ج ٢ ص ٦١١ باب ثواب قراءة القرآن ح ٢.

(٢) وسائل الشيعة: ج ٦ ص ١٨٧-١٨٨ ب ١١ ح ٧٦٩١.

وعن جابر قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «من قرأ المسبحات كلها قبل أن ينام لم يمت حتى يدرك القائم وإن مات كان في جوار محمد النبي صلى الله عليه وآله»^(١).
وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من قرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ مائة مرة حين يأخذ مضجعه غفر الله له ذنوب خمسين سنة»^(٢).

وعن أبي الحسن عليه السلام قال: «من قرأ آية الكرسي عند منامه لم يخف الفالج إن شاء الله، ومن قرأها في دبر كل فريضة لم يضره ذو حمة» وقال: «من قدم ﴿قل هو الله أحد﴾ بينه وبين جبار منعه الله عز وجل منه، يقرأها من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، فإذا فعل ذلك رزقه الله عز وجل خيره ومنعه من شره» وقال: «إذا خفت أمرا فاقراً مائة آية من القرآن من حيث شئت ثم قل: اللهم اكشف عني البلاء، ثلاث مرات»^(٣).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من قرأ مائة آية يصلي بها في ليلة كتب الله عز وجل له بها قنوت ليلة، ومن قرأ مائتي آية في غير صلاة لم يحاجه القرآن يوم القيامة، ومن قرأ خمسمائة آية في يوم وليلة في صلاة النهار والليل كتب الله عز وجل له في اللوح المحفوظ قنطاراً من الحسنات، والقنطار ألف ومائتا أوقية، والأوقية أعظم من جبل أحد»^(٤).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من قرأ ﴿الهيكم

(١) المصباح للكفعمي: ص ٤٤٦ ف ٣٩ في ذكر ثواب سور القرآن.

(٢) ثواب الأعمال: ص ١٢٨ ثواب قراءة قل هو الله أحد.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٦٢١ باب فضل القرآن ح ٨.

(٤) وسائل الشيعة: ج ٦ ص ١٣٨ ب ٦٢ ح ٧٥٥٥.

التكاثر» عند النوم وفي فتنة القبر»^(١).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من قرأ إذا أوى إلى فراشه ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ و﴿قل هو الله أحد﴾ كتب الله عز وجل له براءة من الشرك»^(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «من قرأ عشر آيات في ليله لم يكتب من الغافلين، ومن قرأ خمسين آية كتب من الذاكرين، ومن قرأ مائة آية كتب من القانتين، ومن قرأ مائتي آية كتب من الخاشعين، ومن قرأ ثلاثمائة آية كتب من الفائزين، ومن قرأ خمسمائة آية كتب من المجتهدين، ومن قرأ ألف آية كتب له قنطار، القنطار خمسة عشر ألف مثقال من ذهب، المثقال أربعة وعشرون قيراطا، أصغرها مثل جبل أحد، وأكبرها ما بين السماء والأرض»^(٣).

من أدعية الصباح والمساء

عن الصادق عليه السلام قال: «قل حين تصبح ثلاثا وحين تمسي ثلاثا: أستودع الله العلي الأعلى الجليل العظيم ديني ونفسي وأهلي ومالي وولدي وإخواني المؤمنين وجميع ما رزقني ربي وجميع من يعينني أمره»^(٤)، الدعاء.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال النبي ﷺ في حديث الإسراء وهو طويل: «وعلمتني الملائكة قولاً أقوله إذا أصبحت وأمسيت: (اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ أَنْفُسِي أَصْبَحَ

(١) مصباح التهجد: ص ١٢١ ما يستحب فعله بعد العشاء الآخرة من الصلاة.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٦٢٦ باب فضل القرآن ح ٢٣.

(٣) وسائل الشيعة: ج ٦ ص ٢٠٢ ب ١٧ ح ٧٧٣١.

(٤) انظر المصباح للكفعمي: ص ٨٤ ف ١٦ في أدعية الصباح والمساء.

مُسْتَجِيرًا بِعَفْوِكَ، وَذَنْبِي أَصْبَحَ مُسْتَجِيرًا بِمَغْفِرَتِكَ، وَذُلِّي أَصْبَحَ مُسْتَجِيرًا بِعِزَّتِكَ، وَفَقْرِي أَصْبَحَ مُسْتَجِيرًا بِغِنَاكَ، وَوَجْهِي الْبَالِي الْفَانِي أَصْبَحَ مُسْتَجِيرًا بِوَجْهِكَ الدَّائِمِ الْبَاقِي الَّذِي لَا يَفْنَى) وأقول ذلك إذا أمسيت»^(١).

وعن الإمام الباقر  قال: «إِذَا أَصْبَحْتَ فَقُلْ: (اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي سَهْمًا وَافِرًا فِي كُلِّ حَسَنَةٍ أَنْزَلْتَهَا مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ فِي هَذَا الْيَوْمِ، وَاصْرِفْ عَنِّي كُلَّ مُصِيبَةٍ أَنْزَلْتَهَا مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ فِي هَذَا الْيَوْمِ، وَعَافِنِي مِنْ طَلَبِ مَا لَمْ تُقَدِّرْ لِي مِنْ رِزْقٍ، وَمَا قَدَّرْتَ لِي مِنْ رِزْقٍ فَسُقْهُ إِلَيَّ فِي سِرِّ مِنْكَ وَعَافِيَةِ آمِينَ) ثلاث مرات»^(٢).

وعن إسماعيل بن الفضل قال: سألت أبا عبد الله  عن قول الله عز وجل: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾^(٣)، فقال : «فريضة على كل مسلم أن يقول قبل طلوع الشمس عشر مرات وقبل غروبها عشر مرات: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) قال: فقلت: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَيُمِيتُ وَيُحْيِي)؟ فقال: يا هذا لا شك في أن الله يحيي ويميت ويميت ويحيي ولكن قل كما أقول»^(٤).

(١) مستدرک الوسائل: ج ٥ ص ٣٨١ ب ٤١ ح ٦١٤٥.

(٢) الأملاني للطوسي: ص ٣٧١ المجلس ١٣.

(٣) سورة طه: ١٣٠.

(٤) وسائل الشيعة: ج ٧ ص ٢٢٦-٢٢٧ ب ٤٩ ح ٩١٨٥.

أقول: فريضة بمعنى تأكد الثواب وثبوت الاستحباب وتقديره، فإن الفرض يأتي بمعنى السنّ والسنة والتقدير أيضاً^(١).

وعن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عليه السلام قال: «فقد النبي ﷺ رجلاً من الأنصار، فقال له: ما غيّبك عنا؟ فقال: الفقر يا رسول الله وطول السقم، فقال له رسول الله ﷺ: ألا أعلمك كلاماً إذا قلته ذهب عنك الفقر والسقم، فقال: بلى يا رسول الله، قال: إذا أصبحت وأمسيت فقل: (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، توكلت على الحي الذي لا يموت، والحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدّل وكبره تكبيراً) قال الرجل: فوالله ما قلته إلا ثلاثة أيام حتى ذهب عني الفقر والسقم»^(٢).

وعن صفوان عمن ذكره عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: علمني شيئاً أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت، فقال: «قل: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَلَا يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ غَيْرُهُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ كَمَا يُحِبُّ اللَّهُ أَنْ يُحَمِّدَ، الْحَمْدُ لِلَّهِ كَمَا هُوَ أَهْلُهُ، اللَّهُمَّ ادْخِلْنِي فِي كُلِّ خَيْرٍ ادْخَلْتَ فِيهِ مُحَمَّدًا وَآلَ مُحَمَّدٍ، وَأَخْرِجْنِي مِنْ كُلِّ سُوءٍ أَخْرَجْتَ مِنْهُ مُحَمَّدًا وَآلَ مُحَمَّدٍ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ)»^(٣).

(١) انظر لسان العرب، مادة فرض.

(٢) الكافي: ج ٨ ص ٩٣ ح ٦٥.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٥٢٩ ح ٢٢.

وعن داود الرقي قال: «دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال لي: يا داود ألا أعلمك كلمات إن أنت قلتين كل يوم صباحا ومساء ثلاث مرات آمنك الله مما تخاف؟ قلت: نعم يا ابن رسول الله، قال: قل: (أصبحت بذمة الله وذمم رسله وذمة محمد عليه السلام وذمم الأوصياء عليهم السلام آمنت بسرهم وعلايتهم وشاهدتهم وغائبهم وأشهد أنهم في علم الله وطاعته كمحمد صلى الله عليه وآله والسلام عليهم) قال داود: فما دعوت إلا فلجت على حاجتي»^(١).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا أمسيت قل: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِنْدَ إِقْبَالِ لَيْلِكَ وَإِدْبَارِ نَهَارِكَ وَحُضُورِ صَلَوَاتِكَ وَأَصْوَاتِ دُعَائِكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ) وادع بما أحببت»^(٢).

(١) بحار الأنوار: ج ٨٣ ص ٣٣٧ ب ٤٥ ح ٧٣.

(٢) وسائل الشيعة: ج ٥ ص ٤٥٢ ب ٤٣ ح ٧٠٦٢.

يهتف في أفئيتكم هتافاً وصراخاً، وتلاوة وألحاناً^(١)

التهتاف والصراخ

مسألة: يجوز تلاوة القرآن هتافاً وصراخاً، وتلاوة وألحاناً، ويفهم منه رجحان كل تلك الصور فإن حديثها هذا ليست حكاية عن حالة خارجية فحسب، ولا إخباراً عن قضية تاريخية فقط، بل هو تقرير أيضاً، ومن الرسول ﷺ أيضاً حيث كان ذلك - كما أخبرت ﷺ - يجري بمحضه الشريف وبمرآه ومسمعه، أو المنقول لديه.

فالتهتاف: ذات صوت، أو الصياح دون الصراخ، ويقال أيضاً فيمن يسمع صوته ولا يرى شخصه^(٢).

والصراخ: فوقه، فإنه الصياح الشديد^(٣).

والتلاوة: الترتيل في القراءة، لا المد الطويل في الكلمات ولا القرب المشين، والترتيل هو التأنى فيها والتمهل وتبيين الحروف والحركات^(٤).

والألحان: عبارة عن مختلف الألحان والأنغام والإيقاعات - شرط أن لا تكون غناء - كما نشاهد ذلك في القراء في يومنا هذا حيث تختلف ألحانهم في القراءة من الجميل إلى الأجل، ومن البطيء إلى السريع، وهكذا^(٥).

(١) وفي بعض النسخ: (فتلك نازلة أعلن بها كتاب الله هتافاً هتافاً).

(٢) راجع لسان العرب: ج ٩ ص ٣٤٤ مادة هتف.

(٣) راجع لسان العرب: ج ٣ ص ٣٣ مادة صرخ.

(٤) راجع لسان العرب: ج ١١ ص ٢٦٥ مادة رتل.

(٥) راجع كتاب العين: ج ٣ ص ٢٢٩ مادة لحن.

ويقال: ألحن الناس إذا كان أحسنهم قراءة.

وللألحان معنى آخر هو الإفهام، فإنه يقال: ألحنه القول: أي أفهمه إياه.
والأول أقرب بقريضة السياق.

أو المراد اللحن الذي هو الطريق الخاص بإنسان أو بأمة، وقد ورد في الحديث: «اقرأوا القرآن بألحان العرب»^(١).

والمراد أن القرآن كان يُقرأ في تلك الألفية، في الليالي والنهار، بصوت عال أو بصوت أعلى، وبتلاوة في مقابل القراءة كالتكلم أو بلا تلاوة، وبألحان أو بغيرها.

لكن من اللازم ملاحظة أن يكون الهتاف والصراخ في موردهما، وإلا فإن الهتاف والصراخ قد يكونان مرجوحين لبعض الأسباب الخارجية.

عن أبي جعفر عليه السلام قال: «من قرأ إنا أنزلناه في ليلة القدر» يجهر بها صوته كان كالشاهر سيفه في سبيل الله، ومن قرأها سرا كان كالمشحط بدمه في سبيل الله، ومن قرأها عشر مرات مرت له على نحو ألف ذنب من ذنوبه»^(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «اقرأوا القرآن بألحان العرب وأصواتها وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكبائر، فإنه سيجيء من بعدي أقوام يرجعون القرآن ترجيع الغناء والنوح، قلوبهم مفتونة وقلوب من يعجبه شأنهم»^(٣).

وقال رسول الله ﷺ: «إني أخاف عليكم استخفافا بالدين وبيع الحكم

(١) انظر الكافي: ج ٢ ص ٦١٥ باب ترتيل القرآن بالصوت الحسن ضمن ح ٣.

(٢) وسائل الشيعة: ج ٦ ص ٢٠٩ ب ٢٣ ح ٧٧٥١.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ٤ ص ٢٧٢ ب ٢٠ ح ١٤.

وقطיעة الرحم وأن تتخذوا القرآن مزامير»^(١).

وعن أبي عبد الله ﷺ قال: «أعرب القرآن فإنه عربي»^(٢).

وقال النبي ﷺ: «لكل شيء حلية وحلية القرآن الصوت الحسن»^(٣).

وعن أبي عبد الله ﷺ قال: «كان علي بن الحسين ﷺ أحسن الناس صوتا

بالقرآن وكان السقاءون يملكون فيقفون ببابه يسمعون قراءته»^(٤).

وفي قصة قوم يونس لما رأوا آثار العذاب جاؤوا إلى عالمهم وكان اسمه روبييل، فقال لهم: (إذا رأيتم ريحا صفراء أقبلت من المشرق فعجوا الكبير منكم والصغير بالصراخ والبكاء والتضرع إلى الله والتوبة إليه وارفعوا رؤوسكم إلى السماء وقولوا: ربنا ظلمنا أنفسنا وكذبنا نبينا وتبنا إليك من ذنوبنا وإن لم تغفر لنا ولا ترحمنا لنكونن من الخاسرين المعذبين فاقبل توبتنا وارحمنا يا أرحم الراحمين، ثم لا تملوا من البكاء والصراخ والتضرع إلى الله حتى تتوارى الشمس بالحجاب ويكشف الله عنكم العذاب)^(٥).

وقال ابن عباس: (بينما أنا راقد في منزلي إذ سمعت صراخا عظيما عاليا من بيت أم سلمة وهي تقول: يا بنات عبد المطلب اسعدنني وابكين معي فقد قتل سيدكن، فقيل: ومن أين علمت ذلك؟ قالت: رأيت رسول الله الساعة في المنام

(١) مستدرک الوسائل: ج ٤ ص ٢٧٥ ب ٢٠ ح ٤٦٨٦.

(٢) وسائل الشيعة: ج ٦ ص ٢٠٧ ب ٢١ ح ٧٧٤٤.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٦١٥ باب ترتيل القرآن بالصوت الحسن ح ٩.

(٤) وسائل الشيعة: ج ٦ ص ٢١١ ب ٢٤ ح ٧٧٥٧.

(٥) قصص الأنبياء للجزائري: ص ٤٣٥ باب في قصص يونس ﷺ.

شعثا مذعورا فسأله عن ذلك، فقال: قتل ابني الحسين وأهل بيته فدفنتهم، قالت: فنظرت فإذا بتربة الحسين الذي أتى بها جبرئيل من كربلاء، وقال ﷺ: إذا صارت دما فقد قتل ابنك فأعطانيها النبي فقال اجعليها في زجاجة فليكن عندك فإذا صارت دما فقد قتل الحسين (ع)، فرأيت القارورة الآن صارت دما عبيطا يفور^(١).

قولها ﷺ: «أعلن بها كتاب الله جل ثناؤه» أي: أعلن القرآن عن هذه المشكلة والفادحة التي هي موت رسول الله ﷺ.

قولها ﷺ: «في أفنيتكم» من فناء الدار، على وزن كساء: العرصة المتسعة أمام البيت، حيث إنهم كانوا يقرؤون القرآن أمام دورهم كما يقرؤون القرآن في الأماكن الأخرى من دورهم وغيرها.

قولها ﷺ: «في ممساكم ومصبحكم» المسمى والمصبح، بضم الميم فيهما: مصدران بمعنى الإصباح والإمساء، فإنهم كانوا يقرؤون القرآن صباحاً ومساءً، وحيث إن المراد بالمساء كل الليل فالمراد بالمصبح كل النهار في معناه اللغوي لا الاصطلاحي الذي هو في مقابل العصر.

(١) المناقب: ج ٤ ص ٥٥ فصل في آياته بعد وفاته ﷺ.

ولقبله ما حل بأنبياء الله ورسله

استصحاب الشرائع السابقة

مسألة: هل يستفاد من كلامها ﷺ هذا حجية الشرائع السابقة واستصحابها، أم أنه استدلال بالأخص على الأعم، وبالقضايا التكوينية على التشريعية، هذا هو الأظهر، ولا وجه لإلغاء الخصوصية هنا. نعم الظاهر حجية ما علم بأنه منها ^(١) إلا ما خرج بالدليل وثبت نسخه، كما ذكرنا ذلك في (الأصول) ^(٢).

قال المحقق في الشرائع، في استحباب النكاح: (وربما احتج المانع بأن وصف يحيى ﷺ بكونه حصوراً يؤذن باختصاص هذا الوصف بالرجحان، فيحمل على ما إذا لم تتق النفس، ويمكن الجواب بأن المدح بذلك في شرع غيرنا لا يلزم منه وجوده في شرعنا) ^(٣). أقول: وذلك للدليل الخاص.

وقال في الجواهر: (ودعوى أن الأصل بقاء الشرائع السابقة إلا ما دل الدليل على نسخه، فإن شرعنا ليس ناسخاً لجميع ما في الشرائع السابقة، بل المجموع من حيث هو مجموع، للقطع ببقاء كثير منها كأكل الطيبات ونكاح

(١) أي من الشرائع السابقة.

(٢) انظر (الأصول) للإمام الشيرازي نقلاً: ج ٢ ص ٢٩٥-٢٩٦.

(٣) انظر شرائع الإسلام: ج ٢ ص ٥٠٤ كتاب النكاح، طبع مركز الرسول الأعظم ﷺ الطبعة العاشرة.

الحلال والعبادات الثابتة في جميع الملل ، وأيضاً فوروده في كتابنا الذي هو في شرعنا من دون إشارة إلى نسخه دليل على بقاءه ، وإلا لم يحسن مدحه عندنا ، يدفعها أن الكتاب العزيز والسنة المتواترة الدالين على استحباب النكاح في شرعنا مطلقاً يثبت بهما النسخ ويخرج بهما عن مقتضى الأصل^(١).

(١) انظر جواهر الكلام: ج ٢٩ ص ٢٠ كتاب النكاح ، طبع المكتبة الإسلامية الطبعة الثانية.

أحوال الأنبياء والرسل ﷺ

مسألة: يستحب وربما وجب التطرق لأحوال سائر الأنبياء والرسل في مختلف شؤونهم ومراحل حياتهم من الولادة والوفاة والسيرة والسلوك، وكيفية معاشرتهم مع الناس وفي حياتهم العائلية والاجتماعية وغيرهما، لأنهم أسوة وسلوة، فالإنسان يتعلم منهم ويتزكى ويتطبع على مكارم الأخلاق، ومنها الصبر والتصبر، والرضا بقضاء الله وقدره، وذلك من علل إشارتها ﷺ إلى هذا الجانب.

كما ورد ذلك في القرآن الكريم والروايات الشريفة.

قال تعالى: ﴿فَاقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(١).

وعن الصادق عليه السلام قال: «كان آدم عليه السلام إذا لم يأت جبرئيل اغتم وحزن، فشكا ذلك إلى جبرئيل فقال: إذا وجدت شيئاً من الحزن فقل: لا حول ولا قوة إلا بالله»^(٢).

وقال ابن عباس: (كان موسى عليه السلام رجلاً غيوراً لا يصحب الرفقة لئلا ترى امرأته)^(٣).

وفي الحديث: «كان موسى عليه السلام إذا صلى لم ينفث حتى يلصق خده الأيمن

(١) سورة الأعراف: ١٧٦.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ٥ ص ٣٦٩ ب ٣٩ ح ٦١١٠.

(٣) انظر بحار الأنوار: ج ١٣ ص ٨٨ ب ٤.

بالأرض وخده الأيسر»^(١).

وعن أبي الحسن الأول عليه السلام قال: «كان يحيى بن زكريا عليه السلام يبكي ولا يضحك، وكان عيسى ابن مريم عليه السلام يضحك ويبكي وكان الذي يصنع عيسى عليه السلام أفضل من الذي كان يصنع يحيى عليه السلام»^(٢).

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «كان عيسى ابن مريم عليه السلام يقول لأصحابه: يا بني آدم اهربوا من الدنيا إلى الله وأخرجوا قلوبكم عنها، فإنكم لاتصلحون لها ولا تصلح لكم، ولا تبقون فيها ولا تبقى لكم، هي الخداعة الفجاعة، المغرور من اغتربها، المغبون من اطمأن إليها، الهالك من أحبها وأرادها فتوبوا إلى الله بارئكم»^(٣).

وعن علي عليه السلام قال: «كان إبراهيم أول من أضاف الضيف، وأول من شاب فقال: ما هذه؟ ف قيل: وقار في الدنيا ونور في الآخرة»^(٤).
وفي الحديث: «كان إبراهيم عليه السلام مضيافا»^(٥).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان إبراهيم عليه السلام غيورا، وجدع الله أنف من لا يغار»^(٦).

(١) انظر وسائل الشيعة: ج ٧ ص ١٢ ب ٣ ضمن ح ٨٥٧٨.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٦٦٥ باب الدعابة والضحك ح ٢٠.

(٣) الأمالي للصدوق: ص ٥٥٥ المجلس ٨٢ ضمن ح ١٢.

(٤) قصص الأنبياء للجزائري: ص ٩٥ ب ٦ الفصل الأول في علة تسميته وفضائله.

(٥) الخرائج والجرائح: ج ٢ ص ٩٢٨.

(٦) وسائل الشيعة: ج ٢٠ ص ٢٣٧ ب ١٣٤ ح ٢٥٥٢٥.

وعن أبي جعفر ﷺ قال: «كان نوح إذا أمسى وأصبح يقول: أمسيت أشهد أنه ما أمسى بي من نعمة في دين أو دنيا فإنها من الله وحده لا شريك له، له الحمد علي بها كثيراً والشكر كثيراً، فأنزل الله: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾^(١) فهذا كان شكره»^(٢).

وقال ﷺ: «ولما كان يوسف ﷺ في السجن دخل عليه جبرئيل فقال: إن الله ابتلاك وابتلى أباك وإن الله ينجيك من هذا السجن، فاسأل الله بحق محمد وأهل بيته أن يخلصك مما أنت فيه، فقال يوسف: اللهم إني أسألك بحق محمد وأهل بيته إلا عجلت فرجي وأرحتني مما أنا فيه، قال جبرئيل ﷺ: فأبشر أيها الصديق فإن الله تعالى أرسلني إليك بالبشارة بأنه يخرجك من السجن إلى ثلاثة أيام ويملكك مصر وأهلها، تخدمك أشرفها ويجمع إليك إخوانك وأباك، فأبشر أيها الصديق أنك صفي الله وابن صفيه، فلم يلبث يوسف ﷺ إلا تلك الليلة حتى رأى الملك رؤيا أفزعته فقصها على أعوانه فلم يدروا ما تأويلها، فذكر الغلام الذي نجا من السجن يوسف فقال له: أيها الملك أرسلني إلى السجن فإن فيه رجلا لم ير مثله حلما وعلما وتفسيرا»^(٣) الحديث.

وفي تفسير العياشي عن الإمام الصادق ﷺ قال: «إذا سافر أحدكم فقدم من سفره فليأت أهله بما تيسر ولو بحجر، فإن إبراهيم ﷺ كان إذا ضاق أتى قومه وأنه ضاق ضيقة فأتى قومه فوافق منهم أزمة فرجع كما ذهب،

(١) سورة الإسراء: ٣.

(٢) تفسير القمي: ج ٢ ص ١٤ معراج رسول الله ﷺ.

(٣) قصص الأنبياء للراوندي: ص ١٣٢ ب ٦ ف ٣ ضمن ح ١٣٥.

فلما قرب من منزله نزل عن حماره فملاً خرجه رملاً أراد أن يسكن به من زوجته سارة، فلما دخل منزله حط الخرج عن الحمار وافتتح الصلاة فجاءت سارة ففتحت الخرج فوجدته مملوءاً دقيقاً فاعتجنت منه واختبزت ثم قالت لإبراهيم: انفتل من صلاتك فكل، فقال لها: أنى لك هذا؟ قالت: من الدقيق الذي في الخرج، فرفع رأسه إلى السماء فقال: أشهد أنك الخليل»^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «بكى شعيب من حب الله عزوجل حتى عمي، فرد الله عزوجل عليه بصره، ثم بكى حتى عمي فرد الله عليه بصره، ثم بكى حتى عمي فرد الله عليه بصره، فلما كانت الرابعة أوحى الله إليه: يا شعيب إلى متى يكون هذا أبداً منك، إن يكن هذا خوفاً من النار فقد أجرتك، وإن يكن شوقاً إلى الجنة فقد أبحتك، فقال: إلهي وسيدي أنت تعلم أني ما بكيت خوفاً من نارك ولا شوقاً إلى جنتك ولكن عقد حبك في قلبي فلست أصبر أو أراك، فأوحى الله جل جلاله إليه: أما إذا كان هكذا فمن أجل هذا سأخدمك كليماً موسى بن عمران»^(٢).

وعن أبي جعفر (ع) قال: «أوحى الله إلى شعيب النبي (ص) أني معذب من قومك مائة ألف، أربعين ألفاً من شرارهم وستين ألفاً من خيارهم، فقال (ص): يا رب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار؟ فأوحى الله عزوجل إليه: داهنوا أهل المعاصي ولم يغضبوا لغضبي»^(٣).

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٧٧ من سورة النساء ح ٢٧٩.

(٢) قصص الأنبياء للجزائري: ص ٢١١ ب ١١ في قصص شعيب (ص).

(٣) وسائل الشيعة: ج ١٦ ص ١٤٦ ب ٨ ح ٢١٢٠١.

وعن أبي عبد الله ﷺ قال: «أوحى الله إلى موسى بن عمران: يا موسى أتدري لم انتخبك من خلقي واصطفيتك لكلامي؟ فقال: لا يا رب، فأوحى الله إليه أني اطلعت على الأرض فلم أجد أشد تواضعا لي منك، فخر موسى ساجدا، وعفر خديه في التراب تذلا منه لربه عز وجل، فأوحى الله إليه: ارفع رأسك يا موسى ومريدك على موضع سجودك وامسح بها وجهك وما نالتك من بدنك فإنه أمان من كل سقم وداء وآفة وعاهة»^(١).

وفي الحديث القدسي: قال الله سبحانه لداود ﷺ: «أحبيني وحبيني إلى خلقي، قال: يا رب أنا أحبك فكيف أحبيك إلى خلقك؟ قال: اذكر أياديّ عندهم فإنك إذا ذكرت ذلك لهم أحبوني»^(٢).

وفي تفسير العياشي عن الإمام الحسن العسكري ﷺ أنه سُئل أكان سليمان ﷺ محتاجا إلى علم آصف بن برخيا يعني حتى أحضر له عرش بلقيس؟ فقال ﷺ: «إن سليمان لم يعجز عن معرفة ما عرفه آصف لكنه ﷺ أحب أن يعرف أمته من الجن والإنس أنه الحجة من بعده وذلك من علم سليمان ﷺ أودعه آصف بأمر الله ففهمه الله ذلك لئلا يختلف في إمامته ودلالته كما فهم سليمان ﷺ في حياة داود ﷺ لتعرف إمامته ونبوته من بعده لتأكيد الحجة على الخلق»^(٣).

(١) قصص الأنبياء للجزائري: ص ٢١٦-٢١٧ ب ١٢ ف ١ في قصص موسى وهارون ﷺ.

(٢) قصص الأنبياء للجزائري: ص ٣٤٩ ف ٢ فيما أوحى إليه وما صدر عنه من الحكم.

(٣) قصص الأنبياء للجزائري: ص ٣٧٩ ف ٣ في قصته مع بلقيس.

وروي: «كان رسول الله ﷺ يصوم الإثنين والخميس، ف قيل له: لم ذلك؟ فقال ﷺ: «إن الأعمال ترفع في كل إثنين وخميس فأحب أن ترفع عملي وأنا صائم»^(١).

وفي الحديث: «كان رسول الله ﷺ كثيرا ما يوصي أصحابه بذكر الموت فيقول: أكثروا ذكر الموت فإنه هادم اللذات حائل بينكم وبين الشهوات»^(٢). وعن ابن عباس قال: «كان رسول الله ﷺ يجلس على الأرض ويأكل على الأرض ويعتقل الشاة ويجيب دعوة المملوك»^(٣).

وعن أبي ذر قال: «كان رسول الله ﷺ يجلس بين ظهرائي أصحابه فيجيء الغريب فلا يدري أيهم هو حتى يسأل، فطلبنا إلى النبي ﷺ أن يجعل مجلسا يعرفه الغريب إذا أتاه، فبينما له دكانا من طين فكان يجلس عليها ونجلس بجانبه»^(٤).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان رسول الله ﷺ يقسم لحظاته بين أصحابه ينظر إلى ذا وينظر إلى ذا بالسوية»^(٥). إلى غيرها من الروايات والآيات الواردة في أحوال الأنبياء عليهم السلام وقصصهم.

(١) مستدرک الوسائل: ج ٧ ص ٥٢٦ ب ١٨ ح ٨٨١٦.

(٢) انظر وسائل الشيعة: ج ٢ ص ٤٣٧ ب ٢٣ ضمن ح ٢٥٧٦.

(٣) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ١٠٨-١٠٩ ب ٧٥ ح ١٥٧٨٠.

(٤) مكارم الأخلاق: ص ١٦ ف ٢ في تواضعه وحياته.

(٥) انظر الكافي: ج ٢ ص ٦٧١ باب النوادر ضمن ح ١.

الأشباه والنظائر

مسألتان: يستحب لتعزية المصاب بيان الأشباه والنظائر^(١)، كما يستحب ذلك لتكريس إيمان الناس بالحق في شؤون المبدأ والمعاد وغيرهما والمصادر وغيرها.

وقد ذكرت ﷺ: «ولقبله ما حل...» فإنه إشارة لما ورد على سائر الأنبياء ﷺ.

فإن ذكر الأشباه والنظائر في كل الموارد توجب القوة بالنسبة إلى المشبه به والنظير سواء في البراهين أم في المحاسن أم في المساوئ أم ما أشبه ذلك. وقد عد البعض أن من ملاكات الأعلمية: الأعرافية بالأشباه والنظائر، وذلك لأنها قد تكشف عن الجامع والملاك..

قال في العروة: (المراد من الأعلم من يكون أعرف بالقواعد والمدارك للمسألة وأكثر إطلاعاً لنظائرها...)^(٢)

وقد ورد الأشباه والنظائر بعبارات مختلفة في كلمات الفقهاء^(٣) في مختلف

(١) النظائر: جمع نظيرة، وهي المثل والشبه.

(٢) العروة الوثقى، المسألة: ١٧.

(٣) قال الميرزا القمي ﷺ في غنائم الأيام في مسائل الحلال والحرام: ج ٥ ص ٢٠١: (إنه مقتضى تتبع النظائر)، وقال في ج ٤ ص ٨١: (وملاحظة النظائر توجب ذلك) وقال في القوانين: ص ٤٤: (وكما لا يخفى على من لاحظ النظائر)، وقال المحقق النراقي رحمه الله في مستند الشيعة: ج ١ ص ٢٧٣: (واستبعاده مدفوع بوجود النظائر)، وقال صاحب الجواهر في جواهر الكلام: ج ١٢ ص ٢٣٢: (وكما ←

الأبواب الفقهية.

ولما سبق ولغيره نجد في القرآن الحكيم - وفي كلمات البلغاء - كثيراً من هذا القبيل ، قال سبحانه : ﴿كذاب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب﴾^(١).

وقال تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِمُ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٢).

وقال سبحانه : ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوها لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٣).

إلى غير ذلك.

→ في النظائر) وفي ج ١٤ ص ٢٨٩ : (وكما يوضحه ملاحظة النظائر)، وقال الشيخ الأنصاري رحمته في كتاب الطهارة ج ٢ ص ٣١٨ : (وغير ذلك من النظائر)، وقال آغا رضا الهمداني رحمته في مصباح الفقيه: ج ٣ ص ٢١٧ : (وكذا غيره من النظائر)، وقال السيد الحكيم رحمته في مستمسك العروة: ج ٨ ص ١١٥ : (وكما يظهر من ملاحظة النظائر). إلى غير ذلك مما هو كثير.

(١) سورة آل عمران: ١١.

(٢) سورة البقرة: ٢٦٠.

(٣) سورة البقرة: ٢٥٩.

وعلى هذا يستفاد عدم الخصوصية في هذا الباب بالنسبة إلى الأنبياء والرسول ﷺ، وإن كانوا هم المصداق الأظهر وإلا فسائر الأوصياء والصالحين هم كذلك أيضاً، والاستثناء يكون فيما علم فيه الاختصاص.

قولها ﷺ: «ولقبله ما حل بأنبياء الله ورسله» أي: إن الموت حل قبل رسول الله ﷺ بأنبياء الله ورسله (صلوات الله عليهم أجمعين).

والفرق بين النبي والرسول، أن الرسول (ذو الرسالة)، فهو النبي الذي يؤمر بالتبليغ، بينما النبي يمكن أن يكون خاصاً بنفسه من دون أمر بالتبليغ إذ هو (المنبأ)، فبينهما عموم مطلق.

واللام في (لقبله) للتأكيد، يعني: أن موته ﷺ شيء مؤكد.

حكم فصل، وقضاء حتم

الموت حكم فصل

مسألة: يستحب بيان أن الموت حكم فصل وقضاء حتم.

قال عز وجل: ﴿نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾^(٢).

فإن الموت حكم إلهي تكويني يفصل بين الدنيا والآخرة، كما يفصل بين الحق والباطل - في أحد المعنيين^(٣) - كما أنه قضاء محتوم لا مرد له، حتى بالنسبة إلى أنبياء الله والرسول ﷺ فكيف بغيرهم؟ بل ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾^(٤)، فإن كل الكون سيفنى حتى يبقى الله وحده كما ذكر ذلك في الكتب الكلامية استناداً إلى الآيات والروايات.

قال تعالى: ﴿كل من عليها فان * ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾^(٥).

وقال سبحانه: ﴿كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة﴾^(٦).

(١) سورة الواقعة: ٦٠.

(٢) سورة الأعراف: ٣٤.

(٣) وسيأتي من الإمام المصنف رحمته الله معنى محتمل آخر.

(٤) سورة القصص: ٨٨.

(٥) سورة الرحمن: ٢٦-٢٧.

(٦) سورة آل عمران: ١٨٥.

وقال تعالى : ﴿ كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون ﴾^(١).

وقال سبحانه : ﴿ أينما تكونوا يدرككم الموت ﴾^(٢).

وقال عز وجل : ﴿ قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ﴾^(٣).

وقال تعالى : ﴿ فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خرت بينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ﴾^(٤).

وقال سبحانه : ﴿ أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت ﴾^(٥).

قولها ﷺ : « حكم فصل » أي : أن الموت حكم من الله سبحانه وتعالى مقطوع به على أحد الوجهين.

قولها ﷺ : « وقضاء حتم » أي : أن الله سبحانه وتعالى قضى موت الناس قضاءً حتماً لا مردّ له ، فهو من عالم اللوح المحفوظ لا المحو والاثبات فتأمل.

سئل علي بن الحسين ﷺ عن النفختين كم بينهما قال : « ما شاء الله » ف قيل له : فأخبرني يا ابن رسول الله كيف ينفخ فيه ؟ فقال : « أما النفخة الأولى فإن الله يأمر إسرافيل فيهبط إلى الأرض ومعه الصور وللصور رأس واحد وطرفان وبين طرف كل رأس منهما ما بين السماء والأرض ، قال : فإذا رأت الملائكة إسرافيل

(١) سورة العنكبوت : ٥٧.

(٢) سورة النساء : ٧٨.

(٣) سورة الجمعة : ٨.

(٤) سورة سبأ : ١٤.

(٥) سورة البقرة : ١٣٣.

وقد هبط إلى الدنيا ومعه الصور قالوا قد أذن الله في موت أهل الأرض وفي موت أهل السماء، قال: فيهبط إسرافيل بحظيرة بيت المقدس ويستقبل الكعبة فإذا رآوه أهل الأرض قالوا قد أذن الله في موت أهل الأرض، قال: فينفخ فيه نفخة فيخرج الصوت من الطرف الذي يلي أهل الأرض فلا يبقى في الأرض ذو روح إلا صعق ومات ويخرج الصوت من الطرف الذي يلي أهل السماوات فلا يبقى في السماوات ذو روح إلا صعق ومات إلا إسرافيل... قال: فيقول الله لإسرافيل: يا إسرافيل مت، فيموت إسرافيل، فيمكثون في ذلك ما شاء الله، ثم يأمر الله السماوات فتمور ويأمر الجبال فتسير وهو قوله ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا * وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾^(١) يعني تبسط و﴿تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾^(٢) يعني بأرض لم تكسب عليها الذنوب بارزة ليس عليها جبال ولا نبات كما دحاها أول مرة ويعيد عرشه على الماء كما كان أول مرة مستقلا بعظمته وقدرته، قال: فعند ذلك ينادي الجبار جل جلاله بصوت من قبله جهوري يسمع أقطار السماوات والأرضين ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾^(٣) فلا يجيبه مجيب، فعند ذلك يقول الجبار مجيبا لنفسه ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ وأنا قهرت الخلائق كلهم وأمتهم، إني أنا الله لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي ولا وزير لي وأنا خلقت خلقي بيدي وأنا أمتهم بمشييتي وأنا أحييهم بقدرتي»^(٤).

(١) سورة الطور: ٩-١٠.

(٢) سورة إبراهيم: ٤٨.

(٣) سورة غافر: ١٦.

(٤) تفسير القمي: ج ٢ ص ٢٥٢-٢٥٣ كيفية نفخ الصور.

وفي تفسير القمي : قوله ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾^(١) عن عبيد بن زرارة قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : «إذا أمات الله أهل الأرض لبث كمثل ما خلق الخلق ومثل ما أماتهم وأضعاف ذلك ، ثم أمات أهل السماء الدنيا ثم لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ما أمات أهل الأرض وأهل السماء الدنيا وأضعاف ذلك ، ثم أمات أهل السماء الثانية ثم لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ما أمات أهل الأرض وأهل السماء الدنيا والسماء الثانية وأضعاف ذلك ، ثم أمات أهل السماء الثالثة ثم لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ما أمات أهل الأرض وأهل السماء الدنيا والسماء الثانية والسماء الثالثة وأضعاف ذلك ، في كل سماء مثل ذلك وأضعاف ذلك ، ثم أمات ميكائيل ثم لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ذلك كله وأضعاف ذلك ، ثم أمات جبرئيل ثم لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ذلك كله وأضعاف ذلك ، ثم أمات إسرافيل ثم لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ذلك كله وأضعاف ذلك ، ثم أمات ملك الموت ثم لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ذلك كله وأضعاف ذلك ثم يقول الله عز وجل : ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ فيرد على نفسه ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ أين الجبارون ، أين الذين ادعوا معي إلها ، أين المتكبرون ونخوتهم ثم يبعث الخلق»^(٢).

وفي حديث : يقول عز وجل : ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ ثم ينطق أرواح أنبيائه ورسله وحججه فيقولون : ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾^(٣).

(١) سورة غافر : ١٦ .

(٢) تفسير القمي : ج ٢ ص ٢٥٦-٢٥٧ كيفية موت أهل السماء والأرض .

(٣) انظر عيون أخبار الرضا عليه السلام : ج ١ ص ١٣٠ ب ١١ ضمن ح ٢٦ .

حكمة الموت

قال أبو عبد الله عليه السلام: «إن قوماً أتوا نبياً لهم فقالوا: ادع لنا ربك يدفع عنا الموت، فدعا لهم، فرفع الله عنهم الموت وكثروا حتى ضاقت بهم المنازل وكثر النسل وكان الرجل يصبح فيحتاج أن يطعم أباه وأمه وجدته ويوصيهم ويتعاهدهم، فشغلوا عن طلب المعاش، فأتوا فقالوا: سل ربك أن يردنا إلى آجالنا التي كنا عليها، فسأل ربه عز وجل فردهم إلى آجالهم»^(١).

ذكر الموت

عن أبي عبيدة قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام جعلت فداك حدثني بما أنتفع به؟ فقال: «يا أبا عبيدة ما أكثر ذكر الموت إنسان إلا زهد في الدنيا»^(٢).
وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله أي المؤمنين أكيس؟ قال: «أكثرهم ذكراً للموت وأشدّهم استعداداً له»^(٣).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «أكثروا ذكر الموت ويوم خروجكم من القبور وقيامكم بين يدي الله عز وجل، تهون عليكم المصائب»^(٤).

وفي الأمالي للشيخ الطوسي: فيما كتب أمير المؤمنين عليه السلام لمحمد بن أبي بكر: «عباد الله إن الموت ليس منه فوت، فاحذروا قبل وقوعه، وأعدّوا له

(١) روضة الواعظين: ج ٢ ص ٤٨٩ مجلس في ذكر الموت والروح.

(٢) بحار الأنوار: ج ٦ ص ١٢٦ ب ٤ ح ٣.

(٣) انظر الكافي: ج ٣ ص ٢٥٨ باب النوادر ضمن ح ٢٧.

(٤) انظر الخصال: ج ٢ ص ٦١٦ علّم أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه في مجلس واحد.

عدته ، فإنكم طرد الموت ، إن أقمتهم له أخذكم ، وإن فررتهم منه أدرككم ، وهو ألزم لكم من ظلكم ، الموت معقود بنواصيكم والدنيا تطوى خلفكم ، فأكثرُوا ذكر الموت عند ما تنازعكم إليه أنفسكم من الشهوات ، وكفى بالموت واعظاً ، وكان رسول الله ﷺ كثيراً ما يوصي أصحابه بذكر الموت فيقول : أكثرُوا ذكر الموت فإنه هادم اللذات ، حائل بينكم وبين الشهوات»^(١).

وقال النبي ﷺ : «اذكروا هادم اللذات» ف قيل : وما هو يا رسول الله ؟ فقال : «الموت فما ذكره عبد على الحقيقة في سعة إلا ضاقت عليه الدنيا ، ولا في شدة إلا اتسعت عليه ، والموت أول منزل من منازل الآخرة وآخر منزل من منازل الدنيا ، فطوبى لمن أكرم عند النزول بأولها وطوبى لمن أحسن مشايعته في آخرها ، والموت أقرب الأشياء من بني آدم وهو يعده أبعد فما أجراً الإنسان على نفسه وما أضعفه من خلق ، وفي الموت نجاة المخلصين وهلاك المجرمين ولذلك اشتاق من اشتاق إلى الموت وكره من كره»^(٢).

وفي الحديث : تبع أمير المؤمنين عليه السلام جنازة فسمع رجلاً يضحك ، فقال : «كأن الموت فيها على غيرنا كتب ، وكأن الحق فيها على غيرنا وجب ، وكأن الذي نرى من الأموات سفر عما قليل إلينا راجعون نبوئهم أجدائهم ونأكل تراثهم قد نسينا كل واعظ وواعظة ورمينا بكل جائحة وعجبت لمن نسي الموت وهو يرى الموت ومن أكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير»^(٣).

(١) انظر الأمالي للطوسي : ص ٢٧-٢٨ المجلس ١ ضمن ح ٣١.

(٢) انظر مستدرک الوسائل : ج ٢ ص ١٠٥-١٠٦ ب ١٧ ضمن ح ١٥٥١.

(٣) بحار الأنوار : ج ٦ ص ١٣٦ ب ٤ ح ٣٨.

وقال النبي ﷺ: «أفضل الزهد في الدنيا ذكر الموت، وأفضل العبادة ذكر الموت، وأفضل التفكير ذكر الموت، فمن أثقله ذكر الموت وجد قبره روضة من رياض الجنة»^(١).

وقال رجل لأبي ذر (ع): ما لنا نكره الموت؟ قال: لأنكم عمرتم الدنيا وخربتم الآخرة فتكرهون أن تنتقلوا من عمران إلى خراب، قيل له: فكيف ترى قدومنا على الله، قال أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله، وأما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه، قيل: فكيف ترى حالنا عند الله؟ قال: اعرضوا أعمالكم على كتاب الله تبارك وتعالى يقول: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ^(٢) قال الرجل: فأين رحمة الله؟ قال: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٣)،^(٤).

وقيل لأmir المؤمنين (ع) ما الاستعداد للموت؟ فقال: «أداء الفرائض واجتناب المحارم والاشتغال على المكارم ثم لا يبالي أوقع على الموت أو وقع الموت عليه، والله ما يبالي ابن أبي طالب أوقع على الموت أم وقع الموت عليه»^(٥).

وعن أبي عبد الله (ع) قال: «لم يخلق الله عز وجل يقينا لا شك فيه أشبه

(١) مستدرک الوسائل: ج ٢ ص ١٠٤ ب ١٧ ح ١٥٤٧.

(٢) سورة الانفطار: ١٣-١٤.

(٣) سورة الأعراف: ٥٦.

(٤) جامع الأخبار: ص ١٦٧ ف ١٣٣ في القبر.

(٥) الأمالي للصدوق: ص ١١٠ المجلس ٢٣ ضمن ح ٨.

بشك لا يقين فيه من الموت»^(١).

عند موت إبراهيم ﷺ

عن أمير المؤمنين ﷺ قال: «لما أراد الله تبارك وتعالى قبض روح إبراهيم ﷺ أهبط الله ملك الموت فقال: السلام عليك يا إبراهيم. قال: وعليك السلام يا ملك الموت، أداغ أم ناع؟ قال: بل داغ يا إبراهيم، فأجب. قال إبراهيم: فهل رأيت خليلا يميت خليله؟ قال: فرجع ملك الموت حتى وقف بين يدي الله جل جلاله فقال: إلهي قد سمعت ما قال خليلك إبراهيم. فقال الله جل جلاله: يا ملك الموت اذهب إليه وقل له: هل رأيت حبيبا يكره لقاء حبيبه، إن الحبيب يحب لقاء حبيبه»^(٢).

شباب من الأنصار

وروي: إن شابا من الأنصار كان يأتي عبد الله بن عباس وكان عبد الله يكرمه ويدنيه، ف قيل له: إنك تكرم هذا الشاب وتدنيه وهو شاب سوء، يأتي القبور فينبشها بالليالي!.

فقال عبد الله بن عباس: إذا كان ذلك فأعلموني.

(١) الخصال: ج ١ ص ١٤ خصلة تشبه ضدها ح ٤٨.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ٢ ص ٩٥ ب ١٣ ح ١٥١٧.

قال: فخرج الشاب في بعض الليالي يتخلل القبور، فأعلم عبد الله بن عباس بذلك، فخرج لينظر ما يكون من أمره ووقف ناحية ينظر إليه من حيث لا يراه الشاب، قال: فدخل قبراً قد حفر ثم اضطجع في اللحد ونادى بأعلى صوته: يا ويحي إذا دخلت لحدي وحدي ونطقت الأرض من تحتي فقالت: لا مرحبا بك ولا أهلاً، قد كنت أبغضك وأنت على ظهري فكيف وقد صرت في بطني، بل ويحي إذا نظرت إلى الأنبياء وقوفاً والملائكة صفوفاً فمن عدلك غداً من يخلصني ومن المظلومين من يستنقذني ومن عذاب النار من يجيرني، عصيت من ليس بأهل أن يعصى، عاهدت ربي مرة بعد أخرى فلم يجد عندي صدقاً ولا وفاء.

وجعل يردد هذا الكلام ويبيكي، فلما خرج من القبر التزمه ابن عباس وعانقه ثم قال له: نعم النباش، نعم النباش ما أنبشك للذنوب والخطايا، ثم تفرقا^(١).

(١) الأملالي للصدوق: ص ٣٣٠-٣٣١ المجلس ٥٣ ح ١١.

القضاء والقدر

مسألة: يلزم الإيمان بالقضاء والقدر على ما ورد في الآيات والروايات، وقد أشرنا إلى ذلك في بعض المباحث الكلامية^(١).

فإن القضاء بمعنى الانتهاء لغة وعرفاً.

ويكون تكوينياً وتشريعياً.

فالتكويني مثل قوله تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾^(٢) وقوله سبحانه: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ﴾^(٣).

والتشريعي مثل قوله عز وجل: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾^(٤) فإن هذا بمعنى الانتهاء التشريعي، أي انتهى الأمر بهذه الصيغة، ومنه يسمّى القاضي قاضياً.

والقدر: لغة وعرفاً بمعنى واحد، وهو التقدير بجعل الحدود للشيء، قال سبحانه: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾^(٥).

وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾^(٦).

(١) انظر كتاب (الفقه: العقائد) للإمام الشيرازي تنقّل: ص ٢٩٠-٢٩١ الطبعة الثانية، مؤسسة الإمامة ودار العلوم.

(٢) سورة فصلت: ١٢.

(٣) سورة الجمعة: ١٠.

(٤) سورة الإسراء: ٢٣.

(٥) سورة فصلت: ١٠.

(٦) سورة القمر: ٤٩.

وقد ذكرنا في كتاب (العقائد)^(١):

أنه لا إشكال في أن غير أفعال الإنسان^(٢) ومن أشبهه من الملائكة والحوار والجن والشياطين والحيوانات، تتعلق بالقضاء والقدر، فالقول: بأن الأشياء بقدر الله وقضائه يراد بذلك التكويني بأسبابها ومقدماتها وشرائطها وما أشبه ذلك سواء كانت وجودات أو أعداماً، إيجاداً أو إعداماً.

أما بالنسبة إلى الأفعال الاختيارية للإنسان ومن أشبهه، فالمراد بالقضاء والقدر: أن الله سبحانه وتعالى قدر هذا التقدير وحكم بهذا الحكم، مثلاً: قدر في الصلاة المصلحة وفي شرب الخمر المفسدة وحكم بالأول إيجاباً وبالثاني سلباً، كما أن الله عز وجل قدر أن يكون الإنسان مختاراً.

عن هشام بن سالم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: (إن الله إذا أراد شيئاً قدره، فإذا قدره قضاء، فإذا قضا أمضاه)^(٣).

(١) انظر (الفقه: العقائد) ص ٢٩٣.

(٢) أي الأفعال غير الاختيارية كنبضات القلب وما أشبه.

(٣) المحاسن: ص ٢٤٣ ب ٢٥ ح ٢٣٥.

﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين﴾^(١).

حرمة الانقلاب عن الحق

مسألة: الاستفهام في الآية الشريفة استنكاري، والآية تدل على قبح وحرمة أن ينقلب الإنسان عن الحق إلى الباطل، وإذا فعل ذلك فإنه يضر نفسه ولا يضر الله سبحانه وتعالى شيئاً.

قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾^(٢).

وعن ابن عباس: أن علياً عليه السلام كان يقول في حياة رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾»^(٣)، والله لا نقلب على أعقابنا بعد إذ هدانا الله، والله لئن مات أو قتل لأقاتلن على ما قاتل عليه حتى أموت، لأنني أخوه وابن عمه ووارثه، فمن أحقّ به مني»^(٤).

(١) سورة آل عمران: ١٤٤.

(٢) سورة البقرة: ٢٥٣.

(٣) سورة آل عمران: ١٤٤.

(٤) الاحتجاج: ج ١ ص ١٩٦ في أثناء خطبة خطبها بعد فتح البصرة بأيام.

وفي التفسير: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(١) قال هو مخاطبة لأصحاب رسول الله ﷺ الذين غصبوا آل محمد حقهم وارتدوا عن دين الله ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ نزلت في القائم عليه السلام وأصحابه الذين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم^(٢).

وعن أحمد بن همام قال: أتيت عبادة بن الصامت في ولاية أبي بكر فقلت: يا أبا عمارة كان الناس على تفضيل أبي بكر قبل أن يستخلف. فقال: يا أبا ثعلبة إذا سكتنا عنكم فاسكتوا ولا تبحثوا، فوالله لعلي بن أبي طالب كان أحق بالخلافة من أبي بكر كما كان رسول الله ﷺ أحق بالنبوة من أبي جهل، قال: وأزيدك إنّا كنّا ذات يوم عند رسول الله ﷺ فجاء علي عليه السلام وأبو بكر وعمر إلى باب رسول الله ﷺ، فدخل أبو بكر ثم دخل عمر ثم دخل علي عليه السلام، على إثرهما فكانما سفي على وجه رسول الله ﷺ الرماد، ثم قال: «يا عليّ أيتقدّمانك هذان وقد أمّرك الله عليهما»، قال أبو بكر: نسيّت يا رسول الله، وقال عمر: سهوت يا رسول الله.

فقال رسول الله ﷺ: «ما نسيتما ولا سهوتما، وكأني بكما قد استلبتما ملكه وتحاربتما عليه، وأعانكما على ذلك أعداء الله وأعداء رسوله، وكأني بكما قد تركتما المهاجرين والأنصار بعضهم يضرب وجوه بعض بالسيف على

(١) سورة المائدة: ٥٤.

(٢) تفسير القمي: ج ١ ص ١٧٠ قصة هابيل وقايل.

الدنيا ، ولكأني بأهل بيتي وهم المقهورون المتشتتون في أقطارها ، وذلك لأمر قد قضى».

ثم بكى رسول الله ﷺ حتى سالت دموعه ، ثم قال : «يا عليّ ، الصبر.. الصبر ، حتى ينزل الأمر ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم ، فإنّ لك من الأجر في كلّ يوم ما لا يحصيه كاتبك ، فإذا أمكنك الأمر فالسيف السيف.. فالقتل القتل حتى يفيثوا إلى أمر الله وأمر رسوله ، فإنّك على الحقّ ومن ناواك على الباطل ، وكذلك ذريّتك من بعدك إلى يوم القيامة»^(١).

قولها ﷺ : «قد خلت» أي : سبقت ومضت الرسل ﷺ من قبل الرسول ﷺ وماتوا. «أفإن مات» موتاً طبيعياً «أو قُتل» قتلاً غير طبيعي.

وقد ذكرت الصديقة الطاهرة (صلوات الله عليها) هذه الآية في الردّ على من أنكر موت رسول الله ﷺ حيث تظاهر بذلك لأهدافه الخاصة - كما سبق - ، وربما كان بعض الصحابة يستعظم موته ﷺ ، وربما زعم البعض أنه ﷺ لن يموت ، كما هو عادة بعض الناس بالنسبة إلى العظماء ، ولهذا قالوا : إن موسى ﷺ لم يمت ، وقالوا : إن أمير المؤمنين علياً ﷺ لم يمت^(٢) ، وقالوا : إن الإمام الحسين ﷺ لم يمت ، وقالوا : إن الإمام موسى بن جعفر ﷺ لم يمت^(٣) ، وهكذا^(٤).

(١) بحار الأنوار: ج ٢٩ ص ٤٢٥-٤٢٦ ب ١٣.

(٢) شرح نهج البلاغة: ج ٨ ص ١٢٠ فصل في ذكر الغلاة من الشيعة والنصيرية وغيرهم.

(٣) انظر الغيبة للطوسي: ص ٤ ف ١ الكلام في الغيبة.

(٤) انظر بحار الأنوار: ج ٥١ ص ٢١٠ ب ١٢ وفيه : (فإن قيل أليس قد خالف جماعة فيهم من قال المهدي

من هو الرجعي؟

مسألة: قد يراد بالرجعي من يرجع إلى الفطرة والسنة، أو من يرجع إلى أحكام الكتاب العزيز، وقد يراد به من يرجع إلى جذوره التاريخية ليستمد منها الخبرة والعزم لانطلاقة أقوى.

وهذه الرجعية - بالمعاني الثلاثة - محمودة ومطلوبة شرعاً وعقلاً.

قال تعالى: ﴿إِن إِلَٰهِي رَبُّكَ الرَّجْعِيُّ﴾^(١).

وقال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^(٣).

أما الرجعية بالمعنى المذموم فهي التي أشار إليها القرآن الكريم بقوله ههنا:

﴿إِن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾^(٤) فالرجعي هو من ينقلب على

القيم ويرجع إلى الظلمات بعد أن أُخرج منها إلى النور، والرجعي هو من يرجع

إلى أهواء النفس والشهوات ومن يرجع إلى الشيطان وأصدقاء السوء.

→ من ولد علي عليه السلام فقالوا هو محمد بن الحنفية، وفيهم من قال من السبائية هو علي عليه السلام لم يمت، وفيهم

من قال جعفر بن محمد لم يمت، وفيهم من قال موسى بن جعفر لم يمت، وفيهم من قال الحسن بن

علي العسكري عليه السلام لم يمت، وفيهم من قال المهدي هو أخوه محمد بن علي وهو حي باق لم يمت).

(١) سورة العلق: ٨.

(٢) سورة الأعراف: ١٧٤.

(٣) سورة الزخرف: ٢٨.

(٤) سورة آل عمران: ١٤٤.

﴿انقلبتم على أعقابكم﴾ كناية عن الرجوع القهقري، أريد به الارتداد بعد الإيمان، لأن الإنسان الذي يريد أن يمشي إلى خلفه يضع عقبيه أولاً، والله سبحانه وتعالى لا يتضرر بسبب الارتداد وإنما يتضرر المرتد نفسه.

قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسمع عليم﴾^(١).

وعن أبي سعيد الخدري عن أبيه عن النبي ﷺ أنه قال: «أتزعمون أن رحم نبي الله لا تنفع قومه يوم القيامة، بلى والله، إن رحمي لموصولة في الدنيا والآخرة، ثم قال: «يا أيها الناس أنا فرطكم على الحوض فإذا جئت وقام رجال يقولون يا نبي الله أنا فلان بن فلان، وقال آخري يا نبي الله أنا فلان بن فلان، وقال آخري يا نبي الله أنا فلان بن فلان، فأقول: أما النسب فقد عرفت ولكنكم أحدثتم بعدي وارتددتم القهقري»^(٢).

(١) سورة المائدة: ٥٤.

(٢) الأمالي للطوسي: ص ٢٦٩ المجلس ١٠.

الحصر الإضافي

مسألة: الرسالة الإسلامية لا تموت بموت الرسول ﷺ.

فإن الحصر في الآية الشريفة يشير إلى أن محمداً ﷺ كان رسولاً فحسب من هذه الجهة، فلئن مات الرسول فإن (الرسالة) لم تمت و(المرسل) هو الله الدائم القائم، فلا عذر لأحد في التخلي عن تعاليمه وأوامره ﷺ بالاستناد إلى أنه قد مات وانتهى كل شيء، لذلك فإن (الانقلاب) عليه ﷺ هو انقلاب على الله، وهذا مما لن يضر الله شيئاً بل يضر المنقلبين أنفسهم. ومن ذلك يظهر أن الحصر في (وما محمد إلا رسول) بالقياس إلى كونه المصدر الأول والأخير.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «حلال محمد حلال أبداً إلى يوم القيامة، وحرامه حرام أبداً إلى يوم القيامة، لا يكون غيره ولا يجيء غيره»^(١).

وكانها ﷺ أرادت بذلك أن تقول: هل تقولون إن محمداً ﷺ مات وبعد موته ليس لنا زاجر ولا مانع عما نريده، فنفعل ما نشاء ولا نخاف أحداً في ترك الانقياد للأوامر كما كنا نهابه في حال حياته؟! ولذا فعلتم ما فعلتم من غصب الخلافة واغتصاب فدك وما أشبه ذلك، لكن يلزم أن تعلموا أنكم لن تضروا الله بهذه المعاصي وإنما تضرون أنفسكم، وإن الشاكر الذي يشكر نعم الله سبحانه وتعالى ويبقى على الانقياد لأوامره ونواهيه ولا يخالف الكتاب والسنة سيكون مورد ثواب الله سبحانه وتعالى وجزائه.

(١) الكافي: ج ١ ص ٥٨ باب البدع والرأي والمقاييس ح ١٩.

الشاكرون

مسألة: تجب الاستقامة على الحق.

والذين يستمرون على الصراط المستقيم هم المجزيون بثواب الله سبحانه وهم الشاكرون، لأن الاستقامة على الحق نوع شكر لله تعالى، إذ من مصاديقه^(١) استعمال كل نعمة في موردها، سواء بالقلب أم اللسان أم الجوارح، وإن كان العمل الجوارحي أصعب.

قال سبحانه: ﴿اعملوا آل داود شكراً﴾^(٢).

فإن أصل معرفة نعم الله سبحانه وتعالى قد لا يحتاج إلى جهد بدني ولا جهد مالي ولا ما أشبه، كما أن التلفظ بالشكر فقط ليس بحاجة إلى مثل هذه الأمور عادة، وإنما الشكر العملي بحاجة إلى مختلف الجهود.

وجزاء الله سبحانه وتعالى إنما هو للشاكرين الذي يشكرون نعمه سواء في حياة النبي ﷺ أم بعد مماته.

روى سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾^(٣): يعني بالشاكرين صاحبك علي بن أبي طالب ﷺ والمرتدين

(١) أي الشكر.

(٢) سورة سبا: ١٣.

(٣) سورة آل عمران: ١٤٤.

على أعقابهم الذين ارتدوا عنه»^(١).

وعن أبي عبد الله  قال: تدرون مات النبي أو قتل، إن الله يقول: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾^(٢) فسم قبل الموت إنهما سمتاه، فقلنا إنهما وأبويهما شر من خلق الله^(٣).

وقال سألت أبا عبد الله  عن قول الله: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾^(٤) القتل أم الموت؟ قال: «يعني أصحابه الذين فعلوا ما فعلوا»^(٥).

(١) بحار الأنوار: ج ٤١ ص ٣ ب ٩٩.

(٢) سورة آل عمران: ١٤٤.

(٣) بحار الأنوار: ج ٢٨ ص ٢٠-٢١ ب ١ ح ٢٨.

(٤) سورة آل عمران: ١٤٤.

(٥) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٠٠ من سورة آل عمران ح ١٥٣.

إيهاً بني قيلة

النسبة للأم

مسألة: يجوز نسبة إنسان أو جماعة إلى الأم، فيما إذا لم يكن من باب تعيير المؤمن ونحوه.

وقد كان هؤلاء معروفين ببني قيلة، نسبة إلى أمهم، حيث كانت لها مكانة اجتماعية. ومن هنا يقال للسادة: بنو الزهراء (صلوات الله عليها) لأنها (عليها الصلاة والسلام) كانت قمة القمم وفي عداد أمير المؤمنين علي (عليه السلام) بعد رسول الله ﷺ. والعدول عن النسبة للأب إلى النسبة للأم قد يكون استجلاباً للرحمة واستدراراً للعاطفة، أو استثارة للغيرة والحمية، أو لأجل تكريس التعظيم، أو لخصلة إنسانية أخرى في المنسوب أو السامعين أو غيرهم، وذلك تبعاً لما تميزت به الأم من صفة أو حالة تذكر الناس وتؤثر فيهم، ولما يتداعى في الأذهان من تلك النسبة.

قال تعالى حكاية عن هارون: ﴿يَا بَنِي آدَمُ لَا تَاْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾^(١) حيث خص الأم استعطافاً وترقيقاً.

وقال الإمام علي بن الحسين (عليه السلام): «إني ما أذكر مصرع بني فاطمة إلا خنفتني لذلك عبرة»^(٢).

(١) سورة طه: ٩٤.

(٢) انظر وسائل الشيعة: ج ٣ ص ٢٨١ ب ٨٧ ضمن ح ٣٦٥٥.

ولما أخذت أم الشاب المقتول بكر بلاء عمود خيمته حملت على القوم وهي تقول:

أنا عجوز سيدي ضعيفة خاوية بالية نحيفة

أضربكم بضربة عنيفة دون بني فاطمة الشريفة^(١)

وعن جعفر عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال: «لما ولي عمر بن عبد العزيز أعطانا عطايا عظيمة، قال فدخل عليه أخوه فقال له: إن بني أمية لا ترضى منك بأن تفضل بني فاطمة عليهم، فقال: أفضلهم لأنني سمعت حتى لا أبالي أن أسمع أو لا أسمع، أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول إنما فاطمة شجنة مني، يسرني ما أسرها، ويسوؤني ما أساءها فأنا أتبع سرور رسول الله صلى الله عليه وآله وأتقي مساءته»^(٢).

هذا وكان ما صدر من عمر بن عبد العزيز مثل ما صدر من المأمون العباسي، وذلك للسيطرة على الأمور فإن الناس قد عرفوا بعض منزلة أهل البيت عليهم السلام ومالوا إليهم.

وعن عبيد بن زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كنت عند زياد بن عبيد الله وجماعة من أهل بيتي فقال يا بني علي ويا بني فاطمة ما فضلكم على الناس، فسكتوا، فقلت: إن من فضلنا على الناس أنا لا نحب أنا من أحد سوانا وليس أحد من الناس لا يحب أنه منا إلا أشرك»^(٣).

(١) انظر المناقب: ج ٤ ص ١٠٤ فصل في مقتل الإمام الحسين عليه السلام.

(٢) قرب الإسناد: ص ٤٤-٤٥.

(٣) المحاسن: ج ٢ ص ٣٣٣ كتاب العلل ح ١٠١.

وفي الشعر:

ومهما ألام على حبهم بأنني أحب بني فاطمة
بني بنت من جاء بالمحكمات وبالدين والسنة القائمة
ولست أبالي بحبي لهم سواهم من النعم السائمة

وقال:

لمن ذا من بني الزهراء أبكي بدمع هامر ودم غزير
المسموم بالأحقاد أبكي أم المقتول ذي النحر النحير

وقال:

بكم يا بني الزهراء تمت صلاتنا ولولاكم كانت خداجا بها بتر
بكم يكشف البلوى ويستدفع الأذى كما بأبيكم كان يستنزل القطر

وقال:

أحببتكم يا بني الزهراء محتسبا وحب غيري حب غير محتسب
لا حاجة لي إلى خلق ولا أرب إلا إليكم وحسبي ذاك من أرب
ما طاب لي مولدي إلا بحبكم يا طيبون ولولا ذاك لم يطب
أنتم بنو المصطفى والمرضى نجب من كل منتجب سمي بمنتجب
أنتم بنو شاهد النجوى من الغيب أنتم صاحب الآيات والعجب
أنتم بنو خير من يمشي على قدم بعد النبي مقال الحق لا كذب

وقد يكون العكس ، حيث يعيّر بعض الناس بالأم ، كما قالت الصديقة
الصغرى زينب الكبرى ﷺ لابن زياد : «ثكلتك أمك يا بن مرجانة»^(١).
وقال ابن حماد :

سعى في قتله الرجس ابن هند ليشفي منه أحقادا ووغما
وأطمع فيه جعدة أم عبس ولم يوف بها فسقته سما^(٢)

قال الإمام الصادق ﷺ : «تاسوعاء يوم حوصر فيه الحسين ﷺ وأصحابه
رضي الله عنهم بكربلاء واجتمع عليه خيل أهل الشام وأناخوا عليه وفرح ابن
مرجانة وعمر بن سعد بتوافر الخيل وكثرتها واستضعفوا فيه الحسين ﷺ
وأصحابه رضي الله عنهم وأيقنوا أنه لا يأتي الحسين ناصر ولا يمدّه أهل العراق ،
بأبي المستضعف الغريب»^(٣).

وقال محمد بن أبي طالب : (ثم رفع زيد صوته يبكي وخرج وهو يقول :
ملك عبد حرا ، أنتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم ، قتلتم ابن فاطمة وأمرتم
ابن مرجانة حتى يقتل خياركم ويستعبد أشراركم رضيتم بالذل فبعدا لمن
رضي)^(٤).

(١) انظر بحار الأنوار : ج ٥ ص ١١٦ ب ٣٩.

(٢) انظر المناقب : ج ٤ ص ٤٢ فصل في وفاة الإمام الحسن ﷺ وزيارته ﷺ.

(٣) انظر الكافي : ج ٤ ص ١٤٧ باب صوم عرفة وعاشوراء ضمن ج ٧.

(٤) انظر بحار الأنوار : ج ٥ ص ١١٧ ب ٣٩.

وفي زيارة عاشوراء: «ولعن الله بني أمية قاطبة، ولعن الله ابن مرجانة»^(١).

وقال أمير المؤمنين ﷺ: «لا يموت ابن هند حتى يعلق الصليب في عنقه»^(٢).

وفي التاريخ: انه قدم معاوية المدينة فجلس في أول يوم يجيز من يدخل عليه من خمسة آلاف إلى مائة ألف، فدخل عليه الحسن بن علي ﷺ في آخر الناس، فقال: أبطأت يا أبا محمد، فلعلك أردت تبخلني عند قريش فانتظرت يفنى ما عندنا، يا غلام أعط الحسن مثل جميع ما أعطينا في يومنا هذا، يا أبا محمد وأنا ابن هند، فقال الحسن ﷺ: «لا حاجة لي فيها يا أبا عبد الرحمن ورددتها وأنا ابن فاطمة بنت محمد رسول الله ﷺ»^(٣).

إلى غير ذلك مما هو مشهور في أساليب البلغاء.

(١) مصباح المتعبد: ص ٧٧٤.

(٢) بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ١٦١ ب ١٧ ح ٤٢٤.

(٣) انظر المناقب: ج ٤ ص ١٨ فصل في مكارم أخلاقه ﷺ.

التخصيص بعد التعميم

مسألة: تخصيص الخطاب بشخص أو جهة بعد تعميمه أو عموميته كما في قولها عليها السلام: «إيها بني قيلة» يضاعف المسؤولية ويكشف عن شدة الطلب وتأكده، أو عن تعدد المطلوب^(١)، وسيكون عقاب العاصي أشد، إلا لو كان من باب طرفية الخطاب^(٢).

قولها عليها السلام: «إيها بني قيلة» إيها - بفتح الهمزة والتنوين - بمعنى: إليكم أخطب، وقد تكون بمعنى هيهات ويكون المعنى حينئذٍ: من البعيد منكم أن اهضم أرث أبي وأنتم بمرأى مني ومسمع.

وبنو قيلة: هما قبيلتا الأنصار الأوس والخزرج، وقيلة - بفتح القاف - اسم أم لهم في قديم الزمان كانت تسمى قيلة وهي قيلة بني كاهل فإنهم متشعبون منها.

(١) فعلى هذا لا يكون في بعضها كفاً.

(٢) أي احتياج الخطاب إلى طرف وجهة يوجه لها، والظاهر أن الخطاب لـ (بني قيلة) لم يكن من هذا الباب.

أهمضم تراث أبي؟

تكرار الطلب

مسألة: يستحب وقد يجب أن يكرر المظلوم طلبه.

فإن في التكرار احتمال التأثير أولاً، ثم نشر الظلامة ثانياً، وغرسها في أعماق الأنفس ثالثاً، ثم ردع الظالمين في المستقبل عن ظلمهم حيث يعرفون أن خبر ظلمهم ينتشر ويفتضحون رابعاً، إلى غير ذلك من الفوائد المذكورة للتكرار في كتب البلاغة وما أشبه.

وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إن زين العابدين عليه السلام بكى على أبيه أربعين سنة صائماً نهاره، قائماً ليله، فإذا حضر الإفطار جاءه غلامه بطعامه وشرابه فيضعه بين يديه فيقول: كل يا مولاي، فيقول: قتل ابن رسول الله جائعاً، قتل ابن رسول الله عطشاناً، فلا يزال يكرر ذلك ويبكي حتى يبيل طعامه من دموعه ويمزج شرابه بدموعه فلم يزل كذلك حتى لحق بالله عز وجل»^(١).

وقد كان يكرر رسول الله ﷺ من قوله: «نفذوا جيش أسامة»^(٢).

روى ابن أبي الحديد في شرح النهج: أن رسول الله ﷺ في مرض موته أمر أسامة بن زيد بن حارثة على جيش فيه جلة المهاجرين والأنصار، منهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير، وأمره

(١) وسائل الشيعة: ج ٣ ص ٢٨٣ ب ٨٧ ح ٣٦٥٨.

(٢) انظر إعلام الوري: ص ١٣٣.

أن يغير على مؤتة حيث قتل أبوه زيد، وأن يغزو وادي فلسطين، فتشاقل أسامة وتشاقل الجيش بتشاقله، وجعل رسول الله ﷺ في مرضه يثقل ويخف ويؤكد القول في تنفيذ ذلك البعث، حتى قال له أسامة: بأبي أنت وأمي أتأذن لي أن أمكث أياماً حتى يشفيك الله تعالى.

فقال: اخرج وسر على بركة الله.

فقال: يا رسول الله ﷺ إن أنا خرجت وأنت على هذه الحال خرجت وفي قلبي قرحة منك.

فقال: سر على النصر والعافية.

فقال: يا رسول الله ﷺ إني أكره أن أسأل عنك الركبان.

فقال: أنفذ لما أمرتك به.. ثم أغمي على رسول الله ﷺ، وقام أسامة فتجهز للخروج، فلما أفاق رسول الله ﷺ سأل عن أسامة والبعث، فأخبر أنهم يتجهزون، فجعل يقول: أنفذوا بعث أسامة، لعن الله من تخلف عنه.. وكرر ذلك^(١).

وقد ورد التكرار في كثير من الأدعية. روي: أن الإمام موسى بن جعفر  كان يصلي نوافل الليل ويصلها بصلاة الصبح ثم يعقب حتى تطلع الشمس ويخر الله ساجداً فلا يرفع رأسه من الدعاء والتمجيد حتى يقرب زوال الشمس وكان يدعو كثيراً فيقول: «اللهم إني أسألك الراحة عند الموت والعفو عند الحساب» ويكرر ذلك^(٢).

(١) انظر شرح نهج البلاغة: ج ٦ ص ٥٢ ذكر أمر فاطمة مع أبي بكر.

(٢) انظر الإرشاد: ج ٢ ص ٢٣١ باب ذكر طرف من فضائله ومناقبه .

اشتداد الحرمة

مسألة: في انتهاك الحرمة وإضاعة الحق، الحرمة تشتد بلحاظ: المنتهك، والمنتهك حرمة، ونوع الحق، لذلك فإن هضمها ﷺ تراث أبيها ﷺ كان من أشد المحرمات.

قال رسول الله ﷺ عند ما قرب وفاته: «يا علي أني راض عمن رضيت عنه ابنتي فاطمة وكذلك ربي وملائكته، يا علي ويل لمن ظلمها، وويل لمن ابتزها حقها، وويل لمن هتك حرمتها، وويل لمن أحرق بابها، وويل لمن آذى خليلها، وويل لمن شاقها وبارزها، اللهم إني منهم بريء وهم مني براء»^(١).

وفي الحديث عن الإمام الحسن العسكري ﷺ عن أمير المؤمنين ﷺ قال: «إذا حق رسول الله ﷺ أعظم من حق الوالدين وحق رحمه أيضا أعظم من حق رحمهما، فرحم رسول الله ﷺ أولى بالصلة وأعظم في القطيعة، فالويل كل الويل لمن قطعها، فالويل كل الويل لمن لم يعظم حرمتها، أو ما علمت أن حرمة رحم رسول الله ﷺ حرمة رسول الله ﷺ وأن حرمة رسول الله ﷺ حرمة الله تعالى وأن الله أعظم حقا من كل منعم سواه، وإن كل منعم سواه إنما أنعم حيث قيضه له ذلك ربه ووفقه له»^(٢).

(١) انظر بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ٤٨٥ ب ١ ضمن ح ٣١.

(٢) انظر تفسير الإمام العسكري ﷺ: ص ٣٥ نداء الرب سبحانه وتعالى أمة محمد ﷺ ضمن ح ١٢.

أكل الإرث

مسألة: يحرم منع أي الشخص من إرثه ، أو اقتطاع قدر من الإرث بعنوان الضريبة وغير ذلك ، ولا يسوغ ذلك العذر باحتياج الدولة أو ما أشبه كما فعل غاصبوها (ع).

وفي تفسير القمي (ع): (وقال الله: ﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ * وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾^(١) أي لا تدعوهم ، وهم الذين غصبوا آل محمد حقهم وأكلوا أموال اليتامى وفقراءهم وأبناء سبيلهم ، ثم قال: ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا﴾ أي وحدكم ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾^(٢) تكتزونه ولا تنفقونه في سبيل الله)^(٣).

وقال رسول الله (ص): «يا عليّ كيف أنت إذا رأيت أزهّد الناس في الآخرة ، ورغبوا في الدنيا ، وأكلوا التراث أكلاً لما ، وأحبّوا المال حبّاً جمّاً واتّخذوا دين الله دغلاً ، ومال الله دولا؟ قال: قلت: أتركهم وما اختاروا ، وأختار الله ورسوله والدار الآخرة وأصبر على مصائب الدنيا ولأوائها حتى ألقاك إن شاء الله. فقال: هديت ، اللهمّ افعل به ذلك»^(٤).

وعموماً فإنه يحرم أن يهضم أي إنسان حقه ، فعلى الهاضم أن يعرف أن

(١) سورة الفجر: ١٧-١٨.

(٢) سورة الفجر: ١٩-٢٠.

(٣) تفسير القمي: ج ٢ ص ٤٢٠ سورة الفجر.

(٤) انظر بحار الأنوار: ج ٢٩ ص ٤٦٣-٤٦٤ ب ١٣.

وراءه العقاب ، وعلى المهضوم أن يطالب برفع ظلامته - إلا مع المصلحة الأهم - ،
ولذا قال سبحانه : ﴿ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾^(١) .

وفي دعاء مكارم الأخلاق للإمام السجاد (عليه الصلاة والسلام) : « واجعل لي
يداً على من ظلمني ، ولساناً على من خاصمني ، وظفراً بمن عاندني ، وهب لي
مكراً على من كادني ، وقدرة على من اضطهمني ، وتكذيباً لمن قصبني ،
وسلامة ممن توعدني »^(٢) .

وفي هذا الدعاء أيضاً قال (عليه الصلاة والسلام) : « اللهم صل على محمد وآله
ولا أظلمن وأنت مطيق للدفع عني ولا أظلمن وأنت القادر على القبض
مني »^(٣) .

قولها ﷺ : « أهضم تراث أبي ؟ » الهضم عبارة عن الكسر وعدم الرعاية ،
أي : لا يراعى حقي في إرث والدي ، فإن التراث بمعنى : الميراث ، وأصل التاء
فيه الواو ، فإن الواو تقلب إلى التاء كما قال الأدباء ، والمراد بالتراث : فذك ، وقد
ذكرنا سابقاً أن فاطمة الزهراء ﷺ أرادت الإرث الحقيقي في مقابل قولهم ، أو
الإرث بالمعنى الأعم مما يتركه الوالد لأولاده سواء في حياته أو بعد مماته ، حيث
كانت فذك نحلة .

(١) سورة البقرة : ٢٧٩ .

(٢) الصحيفة السجادية : دعاء ٢٠ من دعائه ﷺ في مكارم الأخلاق .

(٣) الصحيفة السجادية : دعاء ٢٠ من دعائه ﷺ في مكارم الأخلاق .

وأنتم بمرأى مني ومسمع، ومنتدى ومجمع.

شحذ الهمم

مسألة: يستحب للمظلوم أن يطالب الناس بمساعدته وأن يشحذ الهمم لها، وقد يجب ذلك، لحرمة تقبل المظلومية والبقاء عليها في الجملة. فإذا ظلم شخص وعلم المظلوم أنه لو استعان ببعض الأفراد لتمكن من دفعه أو رفعه لزم ذلك.

قال أمير المؤمنين (ع) في خطبة له: «أيها الناس إني ابن عم نبيكم وأولاكم بالله ورسوله فاسألوني ثم اسألوني»^(١).

وعن أبي الحسن موسى بن جعفر (ع) قال: أنه سأل أباه (ع) عن قول الله عز وجل: ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾^(٢) قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس اتبعوا هدى الله تهتدوا وترشدوا، وهو هداي وهداي هدى علي بن أبي طالب (ع) فمن اتبع هداه في حياتي وبعد موتي فقد اتبع هداي ومن اتبع هداي فقد اتبع هدى الله ومن اتبع هدى الله فلا يضل ولا يشقى»^(٣).

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) أنه خطب ذات يوم وقال: «أيها الناس أنصتوا لما أقول رحمكم الله، أيها الناس بايعتم أبا بكر وعمر وأنا والله

(١) الإرشاد: ج ١ ص ٢٢٩ من كلامه (ع) في الدعاء إلى معرفته وبيان فضله.

(٢) سورة طه: ١٢٣.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة: ص ٣١٤-٣١٥ سورة طه وما فيها من الآيات.

أولى منهما وأحقّ منهما بوصية رسول الله ﷺ فأمسكت ، وأنتم اليوم تريدون تباعون عثمان ، فإن فعلتم وسكت والله ما تجهلون فضلي ولا جهله من كان قبلكم ، ولولا ذلك قلت ما لا تطيقون دفعه».

فقال الزبير : تكلم يا أبا الحسن .

فقال عليّ ؓ : «أنشدكم بالله هل فيكم أحد وحّد الله وصلى مع رسول الله ﷺ قبلي؟

أم هل فيكم أحد أعظم عند رسول الله ﷺ مكانا مني؟

أم هل فيكم أحد من كان يأخذ ثلاثة أسهم سهم القرابة وسهم الخاصة وسهم الهجرة غيري؟

أم هل فيكم أحد جاء إلى رسول الله ﷺ باثنتي عشرة ثمرة غيري؟

أم هل فيكم أحد من قدّم بين يدي نجواه صدقة لما بخل الناس ببذل مهجته غيري؟

أم هل فيكم أحد أخذ رسول الله ﷺ بيده يوم غدير خمّ وقال من كنت مولاه فعليّ مولاه ، اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه ، وليبلغ الحاضر الغائب ، فهل كان في أحد غيري؟

أم هل فيكم من أمر الله عزوجل بمودّته في القرآن حيث يقول : ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(١) ، هل قال من قبل لأحد غيري؟
أم هل فيكم من غمّض عيني رسول الله ﷺ غيري؟

أم هل فيكم من وضع رسول الله ﷺ في حفرة غيره؟
 أم هل فيكم من جاءت آية التنزيه مع جبرئيل ﷺ وليس في البيت إلا أنا
 والحسن والحسين وفاطمة، فقال جبرئيل ﷺ: السلام عليكم ورحمة الله
 وبركاته، ثم قال: يا محمد ربك يقرئك السلام ويقول لك: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ
 لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(١) الآية، هل كان ذلك
 اليوم غيري؟

أم هل فيكم من ترك بابه مفتوحاً من قبل المسجد لما أمر الله، حتى قال
 عمر: يا رسول الله ﷺ أخرجتنا وأدخلته، فقال: الله عز وجل أدخله
 وأخرجكم، غيري؟

أم هل فيكم من قاتل وجبرئيل عن يمينه وميكائيل عن شماله غيري؟
 أم هل فيكم من له سبطان مثل سبطي الحسن والحسين سيدي شباب أهل
 الجنة، ابنا أحد غيري؟

أم هل فيكم من قال له النبي ﷺ: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا
 أنه لا نبي بعدي، غيري؟

أم هل فيكم من قال ﷺ في حقه يوم خيبر لأعطين الراية غدا رجلاً يحب
 الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرّار غير فرّار يفتح على يده بالنصر، فأعطاه
 أحداً غيري؟

أم هل فيكم من قال رسول الله ﷺ يوم الطائر المشوي: اللهم ائني
 بأحبّ خلقك إليك يأكل معي، فأتيت أنا معه، هل أتاه أحد غيري؟

أم هل فيكم من سمّاه الله عزوجل وليّه غيري؟
 أم هل فيكم من طهره الله من الرجس في كتابه غيري؟
 أم هل فيكم من زوجّه الله بفاطمة بنت رسول الله ﷺ غيري؟
 أم هل فيكم من باهل به النبي ﷺ غيري؟
 قال: فعند ذلك قام الزبير وقال: ما سمعنا أحدا قال أصحّ من مقالك،
 وما نذكر منه شيئا، ولكن الناس بايعوا الشيخين ولم نخالف الإجماع!
 فلمّا سمع ذلك نزل ﷺ وهو يقول: ﴿وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ
 عَصُدًا﴾^(١) «^(٢)».

خذلان المظلوم

مسألة: يحرم خذلان المظلوم وعدم إحقاق حقه مطلقاً سواء كان بمرأى
 من المظلوم ومسمع ومنتدى ومجمع أم لم يكن.
 لكن الحرمة في هذا المورد أشد وإن كانت الحرمة ثابتة على كل من يقدر
 على رفع الظلم عن الناس سواء كان قريباً أم بعيداً فيما إذا كان من موازين النهي
 عن المنكر ودفع المنكر حسب المذكور في كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن
 المنكر^(٣) وكون الحرمة أشد فيما لو كان بمرأى ومسمع.. الخ يستفاد من أدلة
 عديدة ومنها قولها ﷺ هذا.

(١) سورة الكهف: ٥١.

(٢) انظر بحار الأنوار: ج ٣١ ص ٣٦٠-٣٦١ ب ٢٦.

(٣) راجع موسوعة الفقه: ج ٤٧، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وفي نهج البلاغة: «ومن كلام له عليه السلام: «لم تكن بيعتكم إياي فلتة وليس أمري وأمركم واحدا، إني أريدكم لله وأنتم تريدونني لأنفسكم، أيها الناس أعينوني على أنفسكم وأيم الله لأنصفن المظلوم ولأقودن الظالم بخزامتة حتى أورده منهل الحق وإن كان كارها»^(١).

وعن أبي عبد الله عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس منهم، ومن سمع رجلا ينادي يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم»^(٢).

وعن موسى بن جعفر عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس من الإسلام في شيء، ومن شهد رجلا ينادي يا للمسلمين فلم يجبه فليس من المسلمين»^(٣).

السماع بالظلم

مسألة: لا فرق في الحرمة المذكورة بين رؤية الظلم أو السماع به، فالمرأى يكون بالرؤية، والمسمع بالسماع، فإن جماعة من الصحابة لم يروا الظلم وإنما سمعوه وكانوا قادرين على دفعه وإرجاع الحق إلى أهله، لكنهم تقاعسوا عن ذلك خوفاً أو طمعاً أو لعدم المبالاة أو لغير ذلك.

(١) نهج البلاغة، الخطب: ١٣٦ من كلام له عليه السلام في أمر البيعة.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ١٦٤ باب الاهتمام بأمور المسلمين ح ٥.

(٣) بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ٢١ ب ٣٣ ح ٢٠.

قال الإمام الحسين ﷺ: «من سمع واعيتنا أهل البيت ثم لم يجبنا كبه الله على وجهه في نار جهنم»^(١).

وعن عمرو بن قيس المشرقي قال: دخلت على الحسين ﷺ أنا وابن عم لي وهو في قصر بني مقاتل، فسلمنا عليه، فقال له ابن عمي: يا أبا عبد الله هذا الذي أرى خضاب أو شعرك، فقال: «خضاب والشيب إلينا بني هاشم يعجل» ثم أقبل علينا فقال: «جئتما لنصرتي» فقلت: إني رجل كبير السن كثير الدين كثير العيال وفي يدي بضائع للناس ولا أدري ما يكون وأكره أن أضيع أمانتي، وقال له ابن عمي مثل ذلك، قال لنا: «فانطلقا فلا تسمعا لي واعية ولا تريأ لي سوادا، فإنه من سمع واعيتنا أو رأى سوادنا فلم يجبنا ولم يعنا كان حقا على الله عز وجل أن يكبه على منخره في النار»^(٢).

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ قال:

«أنا ورسول الله ﷺ على الحوض ومعنا عترتنا، فمن أرادنا فليأخذ بقولنا وليعمل بأعمالنا، فإننا أهل البيت لنا شفاعة، فتنافسوا في لقائنا على الحوض، فإننا ندود عنه أعداءنا ونسقي منه أوليائنا، ومن شرب منه لم يظمأ أبدا وحوضنا مترع فيه مثعبان ينصبان من الجنة، أحدهما تسنيم والآخر معين، على حافتيه الزعفران وحصباه الدر والياقوت، وإن الأمور إلى الله وليست إلى العباد ولو كانت إلى العباد ما اختاروا علينا أحدا ولكنه يختص برحمته من يشاء من عباده، فاحمد الله على ما اختصكم به من النعم وعلى طيب المولد، فإن ذكرنا أهل

(١) انظر الأمالي للصدوق: ص ١٥٥ المجلس ٣٠ ضمن ح ١.

(٢) ثواب الأعمال: ص ٢٥٩-٢٦٠ عقاب من سمع واعية أهل البيت ﷺ.

البيت شفاء من الوعك والأسقام ووسواس الريب، وإن حبنا رضى الرب،
والآخذ بأمرنا وطريقتنا معنا غدا في حظيرة القدس، والمتنظر لأمرنا كالمتشحط
بدمه في سبيل الله، ومن سمع واعيتنا فلم ينصرنا أكبه الله على منخره في النار،
نحن الباب إذا بعثوا فضاقت بهم المذاهب، نحن باب حطة وهو باب الإسلام من
دخله نجا ومن تخلف عنه هوى، بنا فتح الله وبنا يختم وبنا ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا
يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾^(١) وبنا ينزل الغيث فلا يغرنكم بالله الغرور، لو تعلمون ما لكم
في الغناء بين أعدائكم وصبركم على الأذى لقرت أعينكم، ولو فقدتموني لرأيتكم
أمورا يتمنى أحدكم الموت مما يرى من الجور والعدوان والأثرة والاستخفاف
بحق الله والخوف، فإذا كان كذلك ف﴿اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا
تَفَرَّقُوا﴾^(٢) وعليكم بالصبر والصلاة والتقية، واعلموا أن الله تبارك وتعالى
يبغض من عباده المتلون فلا تزولوا عن الحق وولاية أهل الحق، فإنه من استبدل
بنا هلك ومن اتبع أثرنا لحق ومن سلك غير طريقنا غرق، وإن لمحينا أفواجا من
رحمة الله وإن لمبغضينا أفواجا من عذاب الله، طريقنا القصد وفي أمرنا الرشd،
أهل الجنة ينظرون إلى منازل شيعتنا كما يرى الكوكب الدري في السماء، لا يضل
من اتبعنا ولا يهتدي من أنكرنا ولا ينجو من أعان علينا عدونا، ولا يعان من
أسلمنا، فلا تخلفوا عنا لطمع دنيا بحطام زائل عنكم، وأنتم تزولون عنه، فإنه
من أثر الدنيا علينا عظمت حسرته وقال الله تعالى:

(١) سورة الرعد: ٣٩.

(٢) سورة آل عمران: ١٠٣.

﴿يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾^(١) سراج المؤمن معرفة حقنا وأشد العمى من عمي من فضلنا وناصبنا العداوة بلا ذنب إلا أن دعواناه إلى الحق ودعاه غيرنا إلى الفتنة فأثرها علينا، لنا راية من استظل بها كنته ومن سبق إليها فاز ومن تخلف عنها هلك ومن تمسك بها نجا، أنتم عمار الأرض الذين استخلفكم فيها لينظر كيف تعلمون فراقبوا الله فيما يرى منكم وعليكم بالمحجة العظمى فاسلكوها، لا يستبدل بكم غيركم ﴿سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٢) فاعلموا أنكم لن تنالوها إلا بالتقوى ومن ترك الأخذ بمن أمر الله بطاعته قىض الله له شيطانا فهو له قرين، ما بالكم قد ركنتم إلى الدنيا ورضيتم بالضميم وفرطتم فيما فيه عزكم وسعادتكم وقوتكم على من بغى عليكم، لا من ربكم تستحيون ولا لأنفسكم تنظرون وأنتم في كل يوم تضامون، ولا تتبهبهون من رقدتكم ولا تنقضي فترتكم، أما ترون إلى دينكم يبلى وأنتم في غفلة الدنيا، قال الله عز ذكره: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾^(٣).

وربما يكون في قولها ﷺ: «وأنتم بمرأى مني ومسمع» إشارة أخرى^(٤) إلى أنه: لا مجال للتهرب بإنكار العلم والاطلاع.

(١) سورة الزمر: ٥٦.

(٢) سورة آل عمران: ١٣٣.

(٣) سورة هود: ١١٣.

(٤) الإشارة الأولى: تقبيح خذلانهم لها مع كونهم بمرأى منها ومسمع.

هذا وقد قال أمير المؤمنين ﷺ بالنسبة إلى المرأة المعاهدة: «ولقد بلغني أن العصابة من أهل الشام كانوا يدخلون على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة فيهتكون سترها ويأخذون القناع من رأسها والخرص من أذننها والأوضح من يديها ورجليها وعضديها والخلخال والمئزر عن سوقها فما تمتنع إلا بالاسترجاع والنداء يا للمسلمين فلا يغيثها مغيث ولا ينصرها ناصر، فلو أن مؤمنا مات دون هذا أسفا ما كان عندي ملوما بل كان عندي بارا محسنا»^(١).

(١) انظر الإرشاد: ج ١ ص ٢٨٣.

المسؤولية المضاعفة للتجمعات

مسألتان: من له المجمع تكون مسؤوليته أكبر، وحرمة خذلانه أشد، كما يلزم توفير وتأسيس (المجمع) و(التجمع) للاهتمام بالحقوق والواجبات وما أشبه إن لم يكن موجوداً.

وقد ذكرنا بعض التفصيل في كتاب (إنشاء الجمعيات) ^(١).
فإن القوة مع الجماعة، ولذا ورد: «يد الله مع الجماعة» ^(٢) وفي بعض الروايات: «على الجماعة» ^(٣).
ويستنبط ذلك ^(٤) أيضاً من قوله تعالى: ﴿وتعاونوا﴾ ^(٥).
فالصديقة الطاهرة (صلوات الله عليها) نهتهم على أنهم مجتمعين يتمكنون من استنقاذ حقها، وعلى هذا فلا يمكنهم الاعتذار بالإنفراد وعدم التمكن حينئذٍ.
هذا وفي الحديث: «الاثنان جماعة» ^(٦).
وفي حديث آخر عن رسول الله ﷺ قال: «المؤمن وحده حجة، والمؤمن وحده جماعة» ^(٧).

(١) يقع الكتاب في ٨٨ صفحة من الحجم ١٤×٢٠، ط: مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر، ١٤٢٢هـ.

(٢) نهج البلاغة، الخطب: ١٢٧ من كلام له ﷺ وفيه يبين بعض أحكام الدين.

(٣) الأمالي للطوسي: ص ٢٣٦ المجلس ٩.

(٤) الظاهر عود اسم الإشارة إلى المسألة الثانية (كما يلزم توفير).

(٥) سورة المائدة: ٢.

(٦) من لا يحضره الفقيه: ج ١ ص ٣٧٦ باب الجماعة وفضلها ح ١٠٩٤.

(٧) وسائل الشيعة: ج ٨ ص ٢٩٧ ب ٤ ح ١٠٧١٣.

وغير خفي أن (للمنتدى) و(المجمع) ألواناً وأشكالاً ومراتب، يختلف كل ذلك باختلاف الأزمان والأعراف والأفراد وغير ذلك^(١).

وكان لبني قيلة من أنواع المجمع التجمع القبلي، وتجمع الأنصار، وربما كان غيره أيضاً.

قولها ﷺ: «وانتم بمراي مني ومسمع» أي: بحيث أراكم وأسمع كلامكم^(٢)، فكيف يتجرأ ابن أبي قحافة على أن يسلبني تراثي والحال أنكم تعلمون أنني أراكم وأسمع كلامكم^(٣) والمراد قربهم منها (صلوات الله عليها) وقربها منهم.

قولها ﷺ: «ومنتدى ومجمع» المنتدى: محل الاجتماع، ويقال له: النادي أيضاً بلحاظ أن بعضهم ينادي بعضاً، والمجمع: مصدر ميمي يمكن أن يراد به المكان الذي يجتمع فيه، أي لكم مكان يجتمع فيه، ويمكن أن يراد به الاجتماع أي لكم اجتماع وتجمع يمكنه أن يتصدى للدفاع والنصرة.

(١) فمن تجمع قبلي إلى تجمع نقابي إلى تجمع حزبي.

(٢) أو تروني وتسمعون كلامي فتأمل.

(٣) أو والحال أنكم تروني وتسمعونني.

تلبسكم الدعوة وتشملكم الخبرة

عذر مدعي القصور

مسألة: يلزم دفع أو رفع عذر القاصر في معرفة التكاليف وغيره ممن يدعي أو سيدعي ذلك^(١)، وربما يكون ذلك هو السر في تصريحها ﷺ بأن الدعوة قد لبستهم والخبرة شملتهم، حتى تكون الحجة عليهم أتم.

فلا يقولون في المستقبل: إن الحجة لم تصل إلينا ولم نكن نعرف ما تطلبونه، أو لم نكن ندري بأن التكليف شامل لنا والخطاب موجه إلينا، أو لدفع هذا التوهم في الحال.

قال تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾^(٢).

مضافاً إلى أنه يجب على الإنسان أن يبحث عن تكاليفه، فلا يكفيه أن يقول: كنت جاهلاً، إذ على الجاهل أن يتعلم.

روي عن هارون عن ابن زياد قال: سمعت جعفر بن محمد عليه السلام وقد سئل عن قوله تعالى ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ فقال: «إن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة: أكنت عالماً، فإن قال: نعم، قال له: أفلا عملت بما علمت، وإن قال: كنت جاهلاً، قال له: أفلا تعلمت حتى تعمل، فيخصمه، وذلك الحجة البالغة»^(٣).

(١) أي: القصور.

(٢) سورة الأنعام: ١٤٩.

(٣) الأماشي للمفيد: ص ٢٢٧-٢٢٨ المجلس ٢٦.

وفي تفسير الإمام العسكري عليه السلام قال : «دخل جابر بن عبد الله الأنصاري على أمير المؤمنين عليه السلام فقال أمير المؤمنين عليه السلام : «يا جابر قوام هذه الدنيا بأربعة ، عالم يستعمل علمه ، وجاهل لا يستنكف أن يتعلم ، وغني جواد بمعرفه ، وفقير لا يبيع آخرته بدنياه غيره ، ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام : «فإذا كتم العالم العلم أهله ، وزها الجاهل في تعلم ما لا بد منه وبخل الغني بمعرفه وباع الفقير دينه بدنياه غيره حل البلاء وعظم العقاب»^(١).

وقال النبي صلى الله عليه وآله : «اطلبوا العلم ولو بالصين ، فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم»^(٢).

نعم خرج من ذلك القاصر فقط ، لأن الحجة لم تصله ولم يتمكن في حال قصوره من الفحص عن الحجة ، بل قالوا : إن من المحال تكليف القاصر - بما هو قاصر - والمراد المرتبة الرابعة من مراتب التكليف على ما ذهب إليه الآخوند عليه السلام^(٣) وذلك لضرورة الاشتراك في التكليف.

قولها عليها السلام : «تلبسكم الدعوة» فكأن دعوتها عليها السلام أحاطت بهم كاللباس الذي يحيط ببدن الإنسان ، وهو من تشبيه المعقول بالمحسوس ، ويحتمل أن يكون حقيقة ، وربما كانت العبارة نوع اقتباس من قوله تعالى : ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه﴾^(٤) ولا داعي للحمل على المجاز بعد إمكان الحقيقة بل توصل

(١) بحار الأنوار : ج ١ ص ١٧٨ ب ١ ح ٥٩.

(٢) وسائل الشيعة : ج ٢٧ ص ٢٧ ب ٤ ح ٣٣١١٩.

(٣) المراتب الأربعة هي الاقتضاء والانشاء والفعلية والتنجز.

(٤) سورة الإسراء : ١٣.

العلم الحديث إلى ما قد يدل على ذلك^(١).

قولها ﷺ: «وتشملكم الخبرة» أي: إن خبرتكم وعلمكم بمظلوميتي وبمغصوبة حقي شامل لجميعكم، فليس هناك من لا يعلم ذلك، فكيف تسكتون وأنتم تسمعون دعوتي وتعرفون حق المعرفة حقي؟

محاسبة المسؤولين

مسألتان: قد يجب - على رؤوس الأشهاد - الإعلان عن المسؤوليات الجماعية أولاً، وعن التخاذل الاجتماعي - لو حدث - ثانياً، وذلك من مصاديق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا مجال لدعوى التشهير والغيبة وما أشبه كما هو أوضح من أن يخفى.

قال الإمام الصادق عليه السلام عن أبيه عليه السلام: «ثلاثة ليست لهم حرمة: صاحب هوى مبتدع والإمام الجائر والفاسق المعلن الفسق»^(٢).

وعلى هذا فإن من اللازم حرية الصحافة وذلك لتراقب المسؤولين والحكام والأمة وتحاسبهم على أفعالهم، وذلك تأسيساً بها (صلوات الله عليها) حيث حاسب الناس والمسؤولين على رؤوس الأشهاد.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «الملوك حكام على الناس والعلم حاكم عليهم»^(٣).

(١) كأنواع الطاقة والأشعة والذبذبات التي تحيط بالإنسان.

(٢) قرب الإسناد: ص ٨٢.

(٣) الأماشي للطوسي: ص ٥٦ المجلس ٢ ضمن ح ٧٨.

وفي الأحاديث التحذير عن جور الحكام، قال الإمام الصادق (عليه السلام): «إذا أمسكت الزكاة هلكت الماشية، وإذا جار الحكام في القضاء أمسك القطر من السماء، وإذا خفرت الذمة نصر المشركون على المسلمين»^(١).

وقال الإمام زين العابدين (عليه السلام): «الذنوب التي تجبس غيث السماء جور الحكام»^(٢).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: يؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر فيلقى في جهنم فيدور فيها كما تدور الرّحى»^(٣).

وقال (عليه السلام): «إنّ شرّ الناس عند الله إمام جائر ضلّ وضلّ به»^(٤).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «أربعة لا تقبل لهم صلاة: الإمام الجائر، والرجل يؤم القوم وهم له كارهون، والعبد الآبق من مولاه من غير ضرورة، والمرأة تخرج من بيت زوجها بغير إذنه»^(٥).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «أقبح شيء جور الولاية»^(٦).

وقال (عليه السلام): «السلطان الجائر والعالم الفاجر أشد الناس نكايه»^(٧).

(١) وسائل الشيعة: ج ٨ ص ١٣ ب ٧ ضمن ح ١٠٠٧.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ١٢ ص ٩٥-٩٦ ب ٧٦ ضمن ح ١٣٦١٨.

(٣) نهج البلاغة، الخطب: ١٦٤ من كلام له (عليه السلام) لما اجتمع الناس إليه وشكوا ما نعموه على عثمان.

(٤) نهج البلاغة، الخطب: ١٦٤.

(٥) وسائل الشيعة: ج ٨ ص ٣٤٩ ب ٢٧ ح ١٠٨٣.

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٤٧ ف ٨ ذم الحكومة الجائرة ح ٨٠٠٤.

(٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٤٧ ف ٨ ذم الحكومة الجائرة ح ٨٠٠٥.

- وقال ﷺ: «زمان الجائر شر الأزمنة»^(١).
- وقال ﷺ: «سبع أكل حطوم خير من وال ظلوم غشوم»^(٢).
- وقال ﷺ: «شر الأمراء من ظلم رعيته»^(٣).
- وقال ﷺ: «ولاة الجور شرار الأمة وأضداد الأئمة»^(٤).
- وقال ﷺ: «إذا ملك الأراذل هلك الأفاضل»^(٥).
- وقال ﷺ: «إذا استولى اللثام اضطهد الكرام»^(٦).
- وقال ﷺ: «دولة اللثام مذلة الكرام»^(٧).
- وقال ﷺ: «دول الفجار مذلة الأبرار»^(٨).

- (١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٤٧ ف ٨ ذم الحكومة الجائرة ح ٨٠١٤.
- (٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٤٧ ف ٨ ذم الحكومة الجائرة ح ٨٠١٥.
- (٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٤٧ ف ٨ ذم الحكومة الجائرة ح ٨٠١٨.
- (٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٤٨ ف ٨ آثار الحكومة الجائرة ح ٨٠٢٢.
- (٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٤٨ ف ٨ آثار الحكومة الجائرة ح ٨٠٣٦.
- (٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٤٨ ف ٨ آثار الحكومة الجائرة ح ٨٠٣٧.
- (٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٤٨ ف ٨ آثار الحكومة الجائرة ح ٨٠٣٩.
- (٨) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٤٨ ف ٨ آثار الحكومة الجائرة ح ٨٠٤٠.

وأنتم ذوو العدد والعدة^(١)، والأداة والقوة، وعندكم السلاح والجنة

مسؤولية أكبر

مسألة: من له العدد والعدة، والأداة والقوة، والسلاح والجنة، تكون مسؤوليته أكبر، كما هو واضح.

وكلامها (ع) هذا^(٢) من حيث الأسباب والأدوات، بينما العدد من حيث الأفراد، والكلام السابق بلحاظ الانتماء.

ولعل ذكر العدد هنا باعتبار أن كونهم في مجمع غير كونهم ذا عدد، فالعدد إشارة إلى الكم، والمجمع إلى کیف، إذ لا يستلزم أحدهما الآخر، فقد يكون الشخص منتبياً إلى مجمع صغير لا عدد له، أما الأنصار فكانوا ينتمون إلى مجمع وهو قوة، كما قالت (ع): «وأنتم بمرأى مني ومسمع ومنتدى ومجمع» وكانوا ذوي عدد معتد به.

فكلامها (صلوات الله عليها) إشارة إلى :

١ : إن لهم مجعماً، وهو بلحاظ الانتماء.

٢ : إن لهم كثرة الأفراد.

٣ : إنهم يمتلكون السلاح والقوة.

فمسؤوليتهم أكثر وأكبر.

(١) وفي بعض النسخ : (وفيكم العدد والعدة ولكم الدار وعندكم الجنن).

(٢) أي بدء من (والعدة..).

وقد روي أنه أقام النبي ﷺ بقاء يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس وأسس مسجده وصلى يوم الجمعة في المسجد الذي في بطن الوادي وادي رانوقا، فكانت أول صلاة صلاها بالمدينة، ثم أتاه غسان بن مالك وعباس بن عباد في رجال من بني سالم فقالوا: يا رسول الله أقم عندنا في العدد والعدة والمنعة، فقال: «خلوا سبيلها فإنها مأمورة» يعني ناقتة^(١).

ومن هنا كانت مسؤولية العلماء أكثر وأكبر أيضا، قال عيسى عليه السلام: «ويلكم علماء السوء، الأجر تأخذون والعمل تضيعون»^(٢).

وفي تحف العقول عن النبي عيسى عليه السلام: «ويلكم يا علماء السوء ألم تكونوا أمواتا فأحياكم فلما أحياكم متم، ويلكم ألم تكونوا أميين فعلمكم فلما علمكم نسيتم، ويلكم ألم تكونوا جفاة ففقهكم الله فلما فقهكم جهلتم، ويلكم ألم تكونوا ضلالا فهداكم فلما هداكم ضللتهم، ويلكم ألم تكونوا عميا فبصركم فلما بصركم عميتهم، ويلكم ألم تكونوا صما فأسمعكم فلما أسمعكم صممتهم، ويلكم ألم تكونوا بكما فأنطقكم فلما أنطقكم بكمتم، ويلكم ألم تستفتحوا فلما فتح لكم نكصتم على أعقابكم، ويلكم ألم تكونوا أذلة فأعزكم فلما عززتم قهرتم واعتديتم وعصيتهم، ويلكم ألم تكونوا مستضعفين ﴿فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾^(٣) فنصركم وأيدكم فلما نصركم استكبرتم وتجبرتم، فيا

(١) المناقب: ج ١ ص ١٨٥ فصل في هجرته ﷺ.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢ ص ٣٨-٣٩ ب ٩ ضمن ح ٦٦.

(٣) سورة الأنفال: ٢٦.

ويلكم من ذل يوم القيامة كيف يهينكم ويصغركم ، ويا ويلكم يا علماء السوء إنكم لتعملون عمل الملحدين وتأملون أمل الوارثين وتطمثون بطمأنينة الآمنين وليس أمر الله على ما تتمنون وتخيرون ، بل للموت تتوالدون وللخراب تبنون وتعمرون وللوارثين تمهدون»^(١).

وفي البحار: «ويلكم علماء السوء الأجرة تأخذون والعمل لا تصنعون ، يوشك رب العمل أن يطلب عمله وتوشكوا أن تخرجوا من الدنيا إلى ظلمة القبر ، كيف يكون من أهل العلم من مصيره إلى آخرته وهو مقبل على دنياه وما يضره أشهى إليه مما ينفعه»^(٢).

تأهيل الأمة

مسائل: من الواجب تأهيل الناس والتجمعات وإعدادهم نفسياً وإزالة حاجز الخوف وإعادة الثقة إلى أنفسهم بمقدرتهم على النهي عن المنكر والأمر بالمعروف ، وهذا هو ما صنعه الصديقة الطاهرة عليها السلام إذ قد يكون وجه الحكمة في تطرقها عليها السلام إلى مصاديق قدرة الأنصار ومقوماتها وأركانها (ومنتدى ومجمع ، وأنتم ذوو العدد والعدة...) هو إلفاتهم إلى ما قد غفلوا عنه (جميعاً أو بعضاً) من المقدرة على التصدي للظالم ، وإزالة الرهبة والرعب من قلوبهم ، فإن الناس والجماعات عادة تتخاذل عن نصرة الحق لأسباب منها الخوف الكاذب ،

(١) تحف العقول: ص ٥٠٩ مواظب المسيح عليه السلام في الإنجيل وغيره.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢ ص ١٠٩ ب ١٥ ضمن ح ١٢.

والانهازمية ، وضعف الثقة بالذات والقدرات ، وهذا من أكبر الدروس التي علينا تعلمها منها ﷺ .

وفي الشعر المنسوب إلى أمير المؤمنين ﷺ :

دواؤك فيك وما تشعر ودأوك منك وما تنظر
وتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر
وأنت الكتاب المبين الذي بأحرفه يظهر المضمـر^(١)

وعن الحسن بن علي عليه السلام أنه دعا بنيه وبني أخيه فقال : «إنكم صغار قوم ويوشك أن تكونوا كبار قوم آخرين فتعلموا العلم فمن لم يستطع منكم أن يحفظه فليكتبه وليضعه في بيته»^(٢) .

وقال العلامة (قدس سره) في الألفين : «أنواع الشجاعة ثمانية :

الأول : كبر النفس وهو الاستهانة باليسار والاقتصار على حمل الكرامة والهوان وتنزيه النفس عن الدناءات.

الثاني : النجدة وهو ثقة النفس عند المخاوف بحيث لا يخامرها جزع.

الثالث : عظم الهمة وهي فضيلة للنفس بها يحتمل سعادة الجسد وضدها حتى الشدائد التي تعرض عند الموت.

الرابع : الصبر وهي فضيلة بها تقوى النفس على احتمال الآلام ومقاومتها على الأهوال ، والفرق بينه وبين الصبر الذي في العفة أن هذا يكون على الأمور

(١) ديوان الإمام علي عليه السلام : ص ١٧٨ .

(٢) منية المريد : ص ٣٤٠ آداب الكتابة والكتب .

الهائلة وذلك على الشهوات الهائجة.

الخامس: الحلم وهو فضيلة للنفس تكسبها الطمأنينة فلا تكن سبعية ولا يحركها الغضب بسهولة وسرعة.

السادس: السكون وهو قوة للنفس تعسر حركتها عند الخضمات وفي الحروب التي يذب بها عن الحرائم أو عن الشريعة لشدتها.

السابع: الشهامة وهو الحرص على الأعمال العظام للأحداث الجميلة.

الثامن: الاحتمال وهو قوة للنفس تستعمل آلات البدن في الأمور الحسية بالتمرين وحسن العادة»^(١).

وهذا لا ينافي ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام من قوله: «الثقة بالنفس من أوثق فرص الشيطان»^(٢).

لأن المراد به ما قاله عليه السلام في حديث آخر: «لا ترخصوا لأنفسكم فتذهب بكم الرخص مذاهب الظلمة»^(٣). وما أشبه، أي ترك النفس وعدم محاسبتها.

قال عليه السلام: «حاسبوا أنفسكم تأمنوا من الله الرهب و تدركوا عنده الرغبة»^(٤).

وقال عليه السلام: «قيدوا أنفسكم بالمحاسبة و أملكوها بالمخالفة»^(٥).

(١) الألفين: ص ١٦٠-١٦١ الدليل الثامن والثمانون على وجوب عصمة الإمام عليه السلام.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٣٥ مراقبة النفس ح ٤٧٣٣.

(٣) نهج البلاغة: الخطب: ٨٦.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٣٦ محاسبة النفس ح ٤٧٣٨.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٣٦ محاسبة النفس ح ٤٧٤٣.

هذا وقد يكون كلامها (صلوات الله عليها) ^(١) لتكون الحجة عليهم أبلغ وأتم، ولا يمتنع الجمع ^(٢).

وغير خفي أن هذا المقطع من كلامها ﷺ إشارة إلى مصاديق مقومات الدفاع عن المظلوم.

والحاصل أنه كلما تمكن الإنسان من الدفاع عن المظلوم وجب عليه الدفاع، ومن مصاديق ذلك: أن تبلغهم الحجة ولهم العدد والعدة، إلى آخر ما تقدم.

ثم إن بيان مقومات الدفاع بين واجب ومستحب - كل في مورده - كما إذا كان الإنسان غافلاً عن ذلك أو غير واعٍ أو ما أشبهه، وربما كان البيان للتأكيد ونحوه.

من السنن الاجتماعية

مسألة: كما تستكشف السنن الكونية والاجتماعية من آيات الذكر الحكيم التي تتطرق إلى ذكر المصاديق فتعتبر مرآة للكلية، كذلك يمكن استكشاف كليات السنن الاجتماعية والكونية من كلماتها ﷺ وكلمات سائر المعصومين (عليهم السلام).

والمقام من هذا القبيل، فإن المقياس ليس فقط كون الطرف ذا عدد وعدة وأداة وقوة وسلاح وجُنّة، كما كانت الأنصار في هذه القضية.

قال تعالى في قصة يوم حنين: ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ

(١) أي: «ومنتدى ومجمع، وأنتم ذوو العدد والعدة...».

(٢) بين هذا المعنى وما سبق من التأهيل للتصدي.

شَيْئاً»^(١).

نعم كونهم كذلك مسوغ لتقريعهم بعدم النصرة، فهم عاصون بعدمها من جهته.

كما إن اللازم - من جهة أخرى - أن لا يغتر المرء بها ويخدع، فإن العبرة بقوة الروح ومضاء العزيمة وليس بالكثرة والقوة والبأس إذ ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٢).

كما إن التاريخ المشرق والتجارب الماضية لا تصلح ملاكاً نهائياً، فإنها من المقتضيات وليست علة تامة، ولذلك كانوا كما قالت عليها السلام: «وأنتم موصوفون بالكفاح...» كما سيأتي.

ومن هنا ورد التأكيد على حسن العاقبة والتحذير عن سوءها. قال رسول الله ﷺ: «لا يزال المؤمن خائفاً من سوء العاقبة، لا يتيقن الوصول إلى رضوان الله حتى يكون وقت نزع روحه وظهور ملك الموت له»^(٣).

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «خير الأمور خيرها عاقبة»^(٤).

وعن جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه عليه السلام أن علياً عليه السلام قال: «إن حقيقة

(١) سورة التوبة: ٢٥.

(٢) سورة البقرة: ٢٤٩.

(٣) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢٣٩ ورود ملك الموت على المؤمن ضمن ح ١١٧.

(٤) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٤٠٢ باب النوادر ضمن ح ٥٨٦٨.

السعادة أن يختم للمرء عمله بالسعادة، وإن حقيقة الشقاء أن يختم للمرء عمله بالشقاء»^(١).

وقال ﷺ: «لكل امرئ عاقبة حلوة أو مرة»^(٢).

وقال أمير المؤمنين ﷺ: «خير الأمور أعجلها عائدة وأحمدتها عاقبة»^(٣).

وعن أحمد بن سهل قال: سمعت أبا فروة الأنصاري وكان من السائحين يقول: قال عيسى ابن مريم ﷺ: «يا معشر الحواريين بحق أقول لكم إن الناس يقولون إن البناء بأساسه، وأنا لا أقول لكم كذلك» قالوا: فما ذا تقول يا روح الله؟ قال ﷺ: «بحق أقول لكم إن آخر حجر يضعه العامل هو الأساس» قال أبو فروة: إنما أراد خاتمة الأمر^(٤).

وفي الدعاء: «اللهم صل على محمد وآل محمد واجعلني معهم في الدنيا والآخرة واجعل عاقبة أمري إلى غفرانك ورحمتك يا أرحم الراحمين»^(٥).

(١) معاني الأخبار: ص ٣٤٥ باب معنى حقيقة السعادة والشقاء ح ١.

(٢) خصائص الأئمة: ص ١٠٦.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٠٤ في الخير وآثاره ح ١٨٦٠.

(٤) معاني الأخبار: ص ٣٤٨ باب معنى قول المسيح ﷺ: «إن آخر حجر...» ح ١.

(٥) المصباح الكفعمي: ص ٦٢٢ دعاء السحر لعلي بن الحسين ﷺ.

إشهار السلاح بوجه الحاكم

مسألة: يجوز إشهار السلاح بوجه الحاكم الجائر دفاعاً عن المظلومين والمضطهدين بشروط الجهاد المذكورة في بابه^(١).

ويجوز استخدامه أيضاً من باب النهي عن المنكر لو لم يرتدع الحاكم إلا به^(٢)، فإذا لم ينفع النهي بالقول وشبهه فإن نصرة المظلوم واجبة بأية كيفية مشروعة.

هذا كله مع مراعاة قاعدة الأهم والمهم التي قد تقتضي أحياناً عدم النصرة بالشكل الخاص، كما لو كان استخدام السلاح يستلزم مفسدة أعظم، كما نرى ذلك في مثل هذه الأزمنة في العلاقة بين الدول وشعوبها، فاللازم النهي عبر الضغوط الدبلوماسية والإعلام والمسيرات السلمية وشبهها، لا بالطرق العنيفة كما فصلناه في محله^(٣).

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا عاقبة أسلم من عواقب السلم»^(٤).

وقال عليه السلام: «إياك والعنف»^(٥).

(١) انظر موسوعة الفقه: ج ٤٧ و ٤٨ كتاب الجهاد.

(٢) انظر موسوعة الفقه: ج ٤٨ كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(٣) انظر كتاب (السبيل إلى إنهاء المسلمين) و(اللاعنف في الإسلام) و(اللاعنف منهج وسلوك).

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٧٦ ف ٤ في العاقبة ح ١٠٩٢١.

(٥) الكافي: ج ٣ ص ١٤٠ باب غسل الميت ضمن ح ٤.

وقال ﷺ: «أما علمتم أن إمارة بني أمية كانت بالسيف والعنف والجور، وأن إمامتنا بالرفق والتألف والوقار والتقية وحسن الخلطة والورع والاجتهاد، فرغبوا الناس في دينكم وما أنتم فيه»^(١).

وقال علي ﷺ: «رأس السخف العنف»^(٢).

وقال ﷺ: «راكب العنف يتعذر عليه مطلبه»^(٣).

وقال ﷺ: «من ركب العنف ندم»^(٤).

وفي الحديث: «إن الله يسير ويحب اليسير ويعطي على اليسير ما لا يعطي على العنف»^(٥).

وقالوا: المؤمن إذا وعظ لم يعنف وإذا وعظ لم يأنف^(٦).

ومن هنا كانت سياسة رسول الله ﷺ وكذلك أمير المؤمنين ﷺ على اللين والسلم واللاعنف، على عكس من غصب الخلافة فكانت سياستهم العنف والظلم، قال ابن عباس: «بعث أبو بكر عمر بن الخطاب إلى علي ﷺ حين قعد عن بيعته وقال ائني به بأعنف العنف!»^(٧).

(١) أعلام الدين: ص ٩٨.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٦٥ ح ٥٧٣١.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٦٥ ح ٥٧٣٣.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٠٣ آثار الغضب ح ٦٩٠٠.

(٥) تهذيب الأحكام: ج ٥ ص ٥٢ ب ٦ ضمن ح ٤.

(٦) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ٢ ص ٣٤.

(٧) بحار الأنوار: ج ٢٨ ص ٣٨٨.

وورد في قصة أبي ذر أنه: «كتب عثمان إلى معاوية أن احمل أباذر على ناب صعبة وقتب، ثم ابعث معه من ينجش به نجشا عنيفا حتى يقدم به عليّ، قال: فحمله معاوية على ناقة صعبة عليها قتب ما على القتب إلا مسح، ثم بعث معه من يسيره سيرا عنيفا.

قال: وخرجت معه فما لبث الشيخ إلا قليلا حتى سقط ما يلي القتب من لحم فخذه وقرح، فكنا إذا كان الليل أخذت ملائي فألقيتهما تحته، فإذا كان السحر نزعتها مخافة أن يروني فيمنعوني من ذلك»^(١).

الدفاع باليد

مسألة: إذا اقتضى الأمر فإنه تجوز بل تجب الاستفادة من السلاح بالشروط المذكورة، في نصره الزهراء عليها السلام وأهل البيت عليهم السلام والدفاع عنهم (صلوات الله عليهم أجمعين) على امتداد الأزمنة.

بل وكذلك في نصره غيرهم من المظلومين على ما تقدم.
ولذلك لم يستخدموا السلاح حيث كان مزاحما بالأهم كما لم تتوفر الشرائط في غالب المعصومين عليهم السلام.

وبشكل كلي فإن استعمال السلاح يلزم فيه توفر شرائط الاستعمال من مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو الجهاد في سبيل الله أو ما أشبه ذلك مما ذكر في كتابيهما^(٢).

(١) بحار الأنوار: ج ٣١ ص ٢٧٤-٢٧٥.

(٢) راجع موسوعة الفقه: ج ٤٨ كتاب الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

عن أبي جعفر (عليه السلام) في حديث قال: «فأنكروا بقلوبكم والفظوا بألسنتكم وصكوا بها جباههم ولا تخافوا في الله لومة لائم، فإن اتعظوا وإلى الحق رجعوا فلا سبيل عليهم إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم، هنالك فجاهدوهم بأبدانكم وأبغضوهم بقلوبكم غير طالبين سلطانا ولا باغين مالا ولا مريدين بالظلم ظفرا حتى يفيثوا إلى أمر الله ويمضوا على طاعته»^(١).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «من ترك إنكار المنكر بقلبه ولسانه ويده فهو ميت بين الأحياء»^(٢).

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه قال: إني سمعت عليا (عليه السلام) يقول يوم لقينا أهل الشام: «أيها المؤمنون إنه من رأى عدوانا يعمل به ومنكرا يدعى إليه فأنكره بقلبه فقد سلم وبرئ، ومن أنكره بلسانه فقد أجر وهو أفضل من صاحبه، ومن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله العليا وكلمة الظالمين السفلى فذلك الذي أصاب سبيل الهدى وقام على الطريق ونور في قلبه اليقين»^(٣).

وقال الشريف الرضي (رحمته الله): وقد قال (عليه السلام) في كلام له يجري هذا المجرى: «فمنهم المنكر للمنكر بقلبه ولسانه ويده فذلك المستكمل لخصال الخير، ومنهم المنكر بلسانه وقلبه التارك بيده فذلك متمسك بخصلتين من خصال الخير ومضيع

(١) وسائل الشيعة: ج ٦ ص ١٣١ ب ٣ ح ٢١١٦٢.

(٢) تهذيب الأحكام: ج ٦ ص ١٨١ ب ٨٠ ح ٢٣.

(٣) وسائل الشيعة: ج ١٦ ص ١٣٣ ب ٣ ح ٢١١٦٩.

خصلة ، ومنهم المنكر بقلبه والتارك بيده ولسانه فذلك الذي ضيع أشرف الخصلتين من الثلاث وتمسك بواحدة ، ومنهم تارك لإنكار المنكر بلسانه وقلبه ويده فذلك ميت الأحياء ، وما أعمال البر كلها والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا كنفته في بحر لجي وإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقربان من أجل ولا ينقصان من رزق وأفضل من ذلك كلمة عدل عند إمام جائر»^(١).

وعن أبي جحيفة قال : سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول : «إن أول ما تغلبون عليه من الجهاد الجهاد بأيديكم ثم بألسنتكم ثم بقلوبكم ، فمن لم يعرف بقلبه معروفا ولم ينكر منكرا قلب فجعل أعلاه أسفله»^(٢).

وقال الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام في تفسيره عن آبائه عليهم السلام عن النبي صلى الله عليه وآله في حديث : «لقد أوحى الله إلى جبرئيل وأمره أن يخسف ببلد يشتمل على الكفار والفجار ، فقال جبرئيل : يا رب أخسف بهم إلا بفلان الزاهد ليعرف ما ذا يأمره الله فيه ، فقال : اخسف بفلان قبلهم ، فسأل ربه ، فقال : يا رب عرفني لم ذلك وهو زاهد عابد؟ قال : مكنت له وأقدرته فهو لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر وكان يتوفر على حبهم في غضبي ، فقالوا : يا رسول الله فكيف بنا ونحن لا نقدر على إنكار ما نشاهده من منكر؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : لتأمرن بالمعروف ولتنهين عن المنكر أو ليعمنكم عذاب الله ، ثم قال : من رأى منكم منكرا فلينكر بيده إن استطاع فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه

(١) وسائل الشيعة : ج ١٦ ص ١٣٤ ب ٣ ح ٢١١٧٠.

(٢) نهج البلاغة : باب الحكم والمواعظ ٣٧٥.

فحسبه أن يعلم الله من قلبه أنه لذلك كاره»^(١).

قولها ﷺ: «وأنتم ذوو العدد والعدة..» فأعدادكم كثيرة ولستم قليلين، وعدتكم للحرب مهياة ولستم بدون عدة واستعداد، وأمثال هذا التعبير أعم مما كان بالذات وما كان بالقياس إلى الغير كما هو واضح، وربما قيل بأخذ النسبة في المفهوم^(٢) فتأمل.

قولها ﷺ: «والأداة والقوة..» أي عندكم أداة الدفاع وفي أبدانكم القوة الكافية لنصرة المظلوم.

قولها ﷺ: «وعندكم السلاح والجنة»، السلاح: ما يحارب به كالسيف والرمح وما أشبه، والجنة: الوقاية أي ما يحافظ به الإنسان على نفسه أمام سلاح العدو.

(١) تفسير الإمام العسكري ﷺ: ص ٤٨٠ في ذم ترك الأمر بالمعروف ح ٣٠٧.

(٢) أي أن عبارة «أنتم ذوو العدد والعدة» أخذ في مفهومها عرفاً النسبة والقياس للغير.

توافيكم الدعوة فلا تجيبون

إجابة المظلوم

مسألة: عدم إجابة دعوة المظلوم حرام.

وذلك فيما إذا كانت الإجابة واجبة، إذ قد لا تجب، كما لو ظلم شخص بقدر درهم فإنه لا يجب على كل إنسان أن ينقذ درهمه من الظالم، على ما ذكره جمع من الفقهاء، وإن كان قد يختلف حال الشخص المظلوم بالنسبة إلى الدرهم، فقد يجب، وقد لا يجب.

وعلى أي فليس الأمر على إطلاقه، فمن الموارد ما هو منصرف، نعم في ما نحن فيه تجب الدعوة وإجابتها كما هو واضح.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أحسن العدل نصرة المظلوم»^(١).

وعن البراء بن عازب قال: «نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن سبع، وأمر بسبع، نهانا أن نتختم بالذهب، وعن الشرب في آنية الذهب والفضة، وقال: من شرب فيها في الدنيا لم يشرب فيها في الآخرة، وعن ركوب المياثر، وعن لبس القسي، وعن لبس الحرير والديباج والإستبرق، وأمرنا صلى الله عليه وآله باتباع الجنائز، وعيادة المريض، وتسميت العاطس، ونصرة المظلوم، وإفشاء السلام، وإجابة الداعي، وإبرار القسم»^(٢).

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٤٦ مدح العدل ح ١٠٢١٠.

(٢) وسائل الشيعة: ج ٤ ص ٤١٥ ب ٣٠ ح ٥٥٧٢.

وقد ورد في أسماء يوم التاسع من ربيع الأول المبارك: «يوم نصرة المظلوم»^(١).

وعن هشام بن سالم عن أبي عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لرجل أتاه: «ألا أدلك على أمر يدخلك الله به الجنة».

قال: بلى يا رسول الله.

قال: «أنل مما أنالك الله».

قال: فإن كنت أحوج ممن أنيله؟

قال: «فانصر المظلوم».

قال: وإن كنت أضعف ممن أنصره؟

قال: «فاصنع للأخرق، يعني أشر عليه».

قال: فإن كنت أخرق ممن أصنع له؟

قال: «فأصمت لسانك إلا من خير، أما يسرك أن تكون فيك خصلة من هذه الخصال تجرك إلى الجنة»^(٢).

وورد في صفات المؤمن عن أبي عبد الله ﷺ قال: «المؤمن له قوة في دين

وحزم في لين وإيمان في يقين» إلى أن قال: «ينصر المظلوم ويرحم المسكين»^(٣).

وقال رسول الله ﷺ: «إياكم ودعوة المظلوم فإنها ترفع فوق السحاب

حتى ينظر الله عز وجل إليها فيقول ارفعوها حتى أستجيب له وإياكم ودعوة

(١) انظر بحار الأنوار: ج ٩٥ ص ٣٥٥ ب ١٣ ضمن ح ١.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ١١٣-١١٤ باب الصمت وحفظ اللسان ح ٥.

(٣) وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ١٨٧ ب ٤ ضمن ح ٢٠٢٤٠.

الوالد فإنها أحد من السيف»^(١).

وعن سماعة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان أبي يقول: اتقوا الظلم فإن دعوة المظلوم تصعد إلى السماء»^(٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «أربعة لا ترد لهم دعوة حتى تفتح لهم أبواب السماء وتصير إلى العرش، الوالد لولده والمظلوم على من ظلمه والمعتمر حتى يرجع والصائم حتى يفطر»^(٣).

وقال رسول الله ﷺ: «إن دعوة المسلم المظلوم مستجابة وليعن بعضكم بعضا»^(٤).

وفي الحديث القدسي أوحاه الله إلى عيسى بن مريم: «وإياك ودعوة المظلوم فإني آليت على نفسي أن أفتح لها بابا من السماء بالقبول وأن أجيبه ولو بعد حين»^(٥).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «أنفذ السهام دعوة المظلوم»^(٦).

وقال عليه السلام: «إن دعوة المظلوم مجابة عند الله سبحانه لأنه يطلب حقه والله تعالى أعدل من أن يمنع ذا حق حقه»^(٧).

(١) الكافي: ج ٢ ص ٥٠٩ باب من تستجاب دعوته ح ٣.

(٢) وسائل الشيعة: ج ٧ ص ١٢٩ ب ٥٢ ح ٨٩١٧.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٥١٠ باب من تستجاب دعوته ح ٦.

(٤) انظر وسائل الشيعة: ج ١٦ ص ٥٦ ب ٨٠ ضمن ح ٢٠٩٦٧.

(٥) أعلام الدين: ص ٢٢٩ فيما أنزل الله على عيسى ابن مريم.

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٣ إجابة الدعاء وموجباتها ح ٣٧٦٠.

(٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٣ إجابة الدعاء وموجباتها ح ٣٧٦١.

وقال ﷺ: «من لم ينصف المظلوم من الظالم عظمت آثامه»^(١).
 وقال ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم فإنه يسأل الله حقه والله سبحانه أكرم من أن يسأل حقا إلا أجاب»^(٢).
 وقال ﷺ: «ما أقرب النصرة من المظلوم»^(٣).

حرمة خذلان المعصومين ﷺ

مسألة: يحرم عدم إجابة دعوة السيدة فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) وكذلك سائر المعصومين ﷺ، وحرمة عدم إجابة دعوتهم واستنصارهم مغلظة من جهات:

منها: إن الظلم الواقع بحقهم كبير في جميع مراتبه، ولو فرض كونه ضئيلاً في مصداق فرضاً فإنه كبير أيضاً، إذ الظلم يزداد قبحاً ويشتد حرمة كلما ازداد المظلوم عظمة ومكانة ومنزلة، فضرب زيد مثلاً حرام وضرب عالم وولي من أولياء الله أشد حرمة، وضرب الصديقة الطاهرة ﷺ من أعظم المحرمات وأشد المنكرات التي يهتز لها الكون وتضطرب لها السماوات والأرضين.

ومنها: إنهم ﷺ أولوا الأمر الذين أمر الله الناس بطاعتهم ونهى عن مخالفتهم، فعدم تلبية استغاثتهم محرمة من هذه الجهة أيضاً، ولا مجال لتوهم

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٤١ ف ٣ وظائف الحكام ح ٧٨٠٤.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٥٠ ف ١٣ في النصرة والتعاون ح ١٠٣٤٩.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٥٠ ف ١٣ في النصرة والتعاون ح ١٠٣٦٦.

الطريقة المحضة أبداً^(١).

ومنها: إنهم  أولياء النعم ووسائل الفيض، وشكر المنعم واجب، والإغاثة من مصاديقه، ففرق بينهم وبين غيرهم، وإن كان الكلي صادقاً بالنسبة إلى المصدقين، والحاصل إن فيهم أموراً، منها: المظلومية - بمراتبها - والولاية والشكر، بينما في غيرهم أمر واحد وهو المظلومية.

وقد ورد في زياراتهم (صلوات الله عليهم):

«يا ساداتي بكم يمسك الله السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وبكم ينزل الغيث ويكشف الكرب ويغني المعدم ويشفي السقيم»^(٢).

و«من أراد الله بدأ بكم، وبكم يبين الله الكذب، وبكم يباعد الله الزمان الكلب، وبكم فتح الله وبكم يختم، وبكم يحو ما يشاء وبكم يثبت، وبكم يفك الذل من رقابنا، وبكم يدرك الله ترة كل مؤمن تطلب، وبكم تنبت الأرض أشجارها، وبكم تخرج الأشجار أثمارها، وبكم تنزل السماء قطرها وورزقها، وبكم يكشف الله الكرب، وبكم ينزل الله الغيث، وبكم تسبح الأرض التي تحمل أبدانكم، وتستقل جبالها على مراسيها»^(٣).

(١) أي توهم أن إطاعتهم واجبة لإحراز مصلحة الواقع فقط أو لدفع مفسدته فقط ومما يدل على ذلك الوجه الثالث الذي سيذكره الإمام المصنف (قدس سره).

(٢) انظر بحار الأنوار: ج ٩٧ ص ٣٤٥ ب ٤ ضمن ح ٣٣.

(٣) انظر تهذيب الأحكام: ج ٦ ص ٥٥ ب ١٨ ضمن ح ١.

و«بكم ينفس الهم، وبكم يكشف الكرب، وبكم يباعد نائبات الزمان الكلب، وبكم فتح الله، وبكم يختم، وبكم ينزل الغيث، وبكم ينزل الرحمة، وبكم يمسك الأرض أن تسيخ بأهلها، وبكم يثبت الله جبالها على مراسيها»^(١). وفي زيارة الجامعة: «بكم فتح الله، وبكم يختم، وبكم ينزل الغيث، وبكم ﴿يُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾»^(٢)، وبكم ينفس الهم وبكم يكشف الضر»^(٣).

وأمر المؤمنين علي عليه السلام قال: «قلت: يا رسول الله ﷺ أئنا آل محمد المهدي أم من غيرنا؟ فقال رسول الله ﷺ: لا بل منا، يختم الله به الدين كما فتح بنا، وبنا ينقذون من الفتن كما أنقذوا من الشرك، وبنا يؤلف الله بين قلوبهم بعد عداوة الفتنة إخوانا، كما ألف بينهم بعد عداوة الشرك إخوانا في دينهم»^(٤).

قولها ﷺ: «توافيكم الدعوة فلا تجيبون» بمعنى أن الدعوة تصلكم فهي من الموافاة.

(١) كتاب المزار: ص ١١١ ب ٥٢.

(٢) سورة الحج: ٦٥.

(٣) بحار الأنوار: ج ٩٩ ص ١٣١-١٣٢ ب ٨ ضمن ح ٤.

(٤) بحار الأنوار: ج ٥١ ص ٨٤ ب ١ ح ٣٤ في ذكر المهدي عليه السلام.

وتأتىكم الصرخة فلا تغيثون

عدم إغاثة المظلوم

مسألة: يحرم عدم إغاثة المظلوم.

ولا يخفى أن الإغاثة أخص من الإجابة، إذ ربما يدعو ويطلبه لأجل أن يكون شوكة له في مقابل الظالم فيكون إجابة وليس بإغاثة، وربما غرق في البحر فيطلبه فيكون إغاثة، ولذا ذكرتهما الزهراء (عليها الصلاة والسلام) معاً فتكون الأولى^(١) في قبال الإغاثة.

عن أبي عبد الله عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «كل معروف صدقة، والదال على الخير كفاعله، والله عزوجل يحب إغاثة اللهفان»^(٢).

وقال عليه السلام في حديث: «الذنوب التي تنزل البلاء ترك إغاثة الملهوف، وترك معاونة المظلوم، وتضييع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»^(٣). وفي نهج البلاغة عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «من كفارات الذنوب العظام إغاثة الملهوف والتنفيس عن المكروب»^(٤).

(١) أي الإجابة.

(٢) الكافي: ج ٤ ص ٢٧ باب فضل المعروف ح ٤.

(٣) وسائل الشيعة: ج ١٦ ص ٢٨٢ ب ٤١ ضمن ح ٢١٥٥٦.

(٤) نهج البلاغة: باب المختار من حكم أمير المؤمنين عليه السلام ٢٤.

وعلي ﷺ عن النبي ﷺ قال: «من أغاث لهفانا من المؤمنين أغاثه الله يوم لا ظل إلا ظله وآمنه يوم الفزع الأكبر وآمنه من سوء المنقلب، ومن قضى لأخيه المؤمن حاجة قضى الله له حوائج كثيرة من إحداها الجنة، ومن كسا أخاه المؤمن من عري كساه الله من سندس الجنة وإستبرقها وحريرها ولم يزل يخوض في رضوان الله ما دام على المكسو منها سلك، ومن أطعم أخاه من جوع أطعمه الله من طيبات الجنة، ومن سقاه من ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم ربه، ومن أخدم أخاه أخدمه الله من الولدان المخلدين وأسكنه مع أوليائه الطاهرين، ومن حمل أخاه المؤمن رجلة حمله الله على ناقة من نوق الجنة وباهى به على الملائكة المقربين يوم القيامة، ومن زوج أخاه المؤمن امرأة يأنس بها وتشد عضده ويستريح إليها زوجه الله من الحور العين وآنسه بمن أحب من الصديقين من أهل بيته وإخوانه وآنسهم به، ومن أعان أخاه المؤمن على سلطان جائر أعانه الله على إجازة الصراط عند زلزلة الأقدام، ومن زار أخاه المؤمن إلى منزله لا حاجة منه إليه كتب من زوار الله وكان حقيقا على الله أن يكرم زائره»^(١).

وعن أبي جعفر ﷺ قال: «إن الله يحب إراقة الدماء وإطعام الطعام وإغاثة اللفهان»^(٢).

وقال ﷺ: «زكاة السلطان إغاثة الملهوف»^(٣).

(١) كشف الريبة: ص ٩٢-٩٣ ف ٥ في كفارة الغيبة.

(٢) وسائل الشيعة: ج ٢٤ ص ٢٩٠ ب ٢٦ ح ٣٠٥٧٢.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٤١ ف ٣ وظائف الحكام ح ٧٨٠٣.

وقال عليه السلام: «ما من رجل رأى ملهوفاً في طريقه بمركوب له قد سقط وهو يستغيث ولا يغاث فأعانه وحمله على مركوبه إلا قال الله عز وجل كدّدت نفسك وبذلت جهدك في إغاثة أخيك هذا المؤمن لأكدن ملائكة هم أكثر عدداً من خلّاق الإنس كلهم من أول الدهر إلى آخره، وأعظم قوة كل واحد منهم ممن يسهل عليه حمل السماوات والأرضين لينوا لك القصور والمساكن ويرفعوا لك الدرجات فإذا أنت في جناتي كأحد ملوكها الفاضلين»^(١).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «ما حصل الأجر بمثل إغاثة الملهوف»^(٢).

وقال عليه السلام: «من أفضل المعروف إغاثة الملهوف»^(٣).

وفي حديث آخر: «أفضل المعروف إغاثة الملهوف»^(٤).

وقال عليه السلام: «فعل المعروف وإغاثة الملهوف وإقراء الضيوف آلة السيادة»^(٥).

وقال عليه السلام: «من كفارات الذنوب العظام إغاثة الملهوف»^(٦).

وقال عليه السلام: «ما حصل الأجر بمثل إغاثة الملهوف»^(٧).

وقال عليه السلام: «إن الله تعالى يحب إغاثة اللهفان»^(٨).

(١) مستدرک الوسائل: ج ١٢ ص ٤١٥-٤١٦ ب ٢٩ ح ١٤٤٧٤.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٥٠ ف ١٣ في النصرة والتعاون ح ١٠٣٦٣.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٥٠ ف ١٣ في النصرة والتعاون ح ١٠٣٦١.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٨٢ الإحسان والتحريض عليه ح ٨٦٩٠.

(٥) مستدرک الوسائل: ج ١٦ ص ٢٤٢ ب ٢٠ ضمن ح ١٩٧٣٣.

(٦) انظر وسائل الشيعة: ج ١٦ ص ٣٧٣ ب ٢٩ ضمن ح ٢١٧٩٨.

(٧) مستدرک الوسائل: ج ١٢ ص ٤١٦ ب ٢٩ ح ١٤٤٧٥.

(٨) غوالي اللآلي: ج ١ ص ٣٧٦ ح ١٠٠.

من المحرمات الكبيرة

مسألة: من المحرمات الكبيرة عدم إغاثة الصديقة الطاهرة (سلام الله عليها) وكذلك سائر المعصومين ﷺ.

وقد ورد أنه لما فجع الإمام الحسين ﷺ بأهل بيته وولده ولم يبق غيره وغير النساء والذراري نادى: «هل من ذاب يذب عن حرم رسول الله ﷺ؟ هل من موحد يخاف الله فينا؟ هل من مغيث يرجو الله بإغاثتنا؟» فارتفعت أصوات النساء بالعويل^(١).

ويأتي هنا ما ذكرناه في المسألة السابقة وقد ذكرنا أن في المعصومين (عليهم الصلاة والسلام) تجتمع الولاية ووجوب إغاثة المظلوم ووجوب شكر المنعم. قولها ﷺ: «وتأتىكم الصرخة فلا تغيثون» أي: أني أصرخ بكم في رد ظلامتي لكنكم لا تغيثوني وهذا من أشد الكبائر.

ومنه يعرف أنها ﷺ لم تكتف بمجرد الدعوة والطلب، بل أوصلت الأمر إلى أعلى درجات الاستنجد وهو الصراخ بالقوم وذلك ﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم﴾^(٢).

قال أمير المؤمنين ﷺ: «لا ينتصر المظلوم بلا ناصر»^(٣).

(١) اللهوف: ص ١١٧ المسلك الثاني في وصف حال القتال.

(٢) سورة الأنفال: ٤٢.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٨٣ ح ١١١٤٤.

وقال (عليه السلام): «من لم ينصف المظلوم من الظالم سلبه الله قدرته»^(١).
وقال (عليه السلام): «أحسن العدل نصره المظلوم»^(٢).

استمرارية الدعوة

مسألة: الظاهر من استخدامها (عليها السلام) المضارع في الجملتين: الاستمرارية في الدعوة والاستنجد، واستمرارهم في عدم الإجابة والإغاثة.
وهذا يؤكد على مسؤولية الأجيال جيلاً بعد جيل.

عن الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام) قال: «من جالس لنا عائباً أو مدح لنا قالياً أو وصل لنا قاطعاً أو قطع لنا واصلاً أو والى لنا عدواً أو عادى لنا ولياً فقد كفر بالذي أنزل السبع المثاني والقرآن العظيم»^(٣).

وقد ورد في إكمال الدين عن الشيخ (قدس الله روحه) أنه أمر أن يدعو بهذا الدعاء في غيبة القائم (عليه السلام)، وفيه:

«اللهم ولا تجعلني من خصماء آل محمد، ولا تجعلني من أعداء آل محمد، ولا تجعلني من أهل الحنق والغيط على آل محمد، فإنني أعوذ بك من ذلك فأعذني وأستجير بك فأجرني، اللهم صل على محمد وآل محمد واجعلني بهم فائزاً عندك في الدنيا والآخرة ومن المقربين»^(٤).

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٤١ ف ١٣ وظائف الحكام ح ٧٨٠٥.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٤٦ في مدح العدل ح ١٠٢١٠.

(٣) وسائل الشيعة: ج ١٦ ص ٢٦٤ ب ٣٨ ح ٢١٥٢٣.

(٤) كمال الدين: ج ٢ ص ٥١٥ الدعاء في غيبة القائم (عليه السلام).

وفي تفسير القمي: إن الله عز وجل ذكر الذين تولوا أمير المؤمنين عليه السلام وتبرءوا من أعدائه فقال: ﴿وَجُوهُ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾^(١) ثم ذكر أعداء آل محمد عليه السلام: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ * تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾^(٢) أي فقر من الخير والثواب ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾^(٣).

وفي تفسير الإمام العسكري عليه السلام: «ألا وإن الراضين بقتل الحسين عليه السلام شركاء قتله، ألا وإن قتلته وأعاونهم وأشياعهم والمقتدين بهم برآء من دين الله، وإن الله ليأمر ملائكته المقربين أن يتلقوا دموعهم المصبوبة لقتل الحسين عليه السلام إلى الخزان في الجنان فيمزجونها بماء الحيوان فتزيد عذوبتها، ويلقونها في الهاوية ويمزجونها بحميمها وصديدها وغساقها وغسلينها فتزيد في شدة حرارتها وعظيم عذابها ألف ضعفها تشدد على المنقولين إليها من أعداء آل محمد عذابهم»^(٤).

وفي التفسير: ﴿أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾^(٥) قال: أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا﴾^(٦) قال: الذين خالفوا أمير المؤمنين عليه السلام ﴿هُمُ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾^(٧) قال: المشأمة أعداء آل محمد عليه السلام ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ﴾^(٨) أي مطبقة»^(٩).

(١) سورة عبس: ٣٨-٣٩.

(٢) سورة عبس: ٤٠-٤١.

(٣) سورة عبس: ٤٢. انظر تفسير القمي: ج ٢ ص ٤٠٦ من سورة عبس.

(٤) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٣٦٩-٣٧٠ ثواب الحزن والبكاء على الحسين عليه السلام.

(٥) سورة البلد: ١٨.

(٦) سورة البلد: ١٩.

(٧) سورة البلد: ١٩.

(٨) سورة البلد: ٢٠.

(٩) تفسير القمي: ج ٢ ص ٤٢٢ من سورة البلد.

وأنتم موصوفون بالكفاح، معروفون بالخير والصلاح

مدح المؤمنين

مسألة: يستحب بيان فضائل الآخرين ومحاسن أخلاقهم كما قالت (ع):
«وأنتم موصوفون.. الخ».

فإنه داخل في روايات مدح المؤمن، ومصدق لقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾^(١)، وإن كانت سلباً إلا أنها عرفاً تشمل الإيجاب أيضاً، هذا مضافاً إلى أنه نوع تحريض وحث على النصره كما سيأتي.
قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾^(٢).

وفي نهج البلاغة قال (ع): في مدح الأنصار: «هم والله ربّوا الإسلام كما يربّي الفلّو مع غنائهم بأيديهم السياط وألستهم السلاط»^(٣).

وروي في الديوان أبياته (ع) في مدح همدان:

جزي الله همدان الجنان فإنهم	سما العدى في كل يوم خصام
لهمدان أخلاق ودين يزينهم	ولين إذا لاقوا وحسن كلام
متى تأتهم في دارهم لضيافة	تبت عندهم في غبطة وطعام

(١) سورة الشعراء: ١٨٣.

(٢) سورة آل عمران: ١١٠.

(٣) نهج البلاغة، حكم: ٤٦٥ في مدح الأنصار.

ألا إن همدان الكرام أعزّة كما عزّركن البيت عند مقام
 أناس يحبون النبي ورهطه سراع إلى الهيجاء غير كهام
 إذا كنت بواباً على باب جنة أقول لهمدان ادخلوا بسلام^(١)
 ومنه في مدح أصحابه ﷺ :
 قومي إذا اشتبك القنا جعلوا الصدور لها مسالك
 اللأبسـون دروعهم فوق القلوب لأجل ذلك^(٢)

من طرق التحريض

مسألة: يستحب للمظلوم أن يذكر فضائل من يستنصره حتّى له على
 النصرة، فإنه ادعى لاثارة الحميّة والغيرة، والشهامة والمروءة فيه.
 وهذا أيضاً من مصاديق ما تقدم، كما سبق أشباهه في بندين من بنود هذا
 المبحث.

ومنها ما ورد من مدح الأصحاب في الحرب، كما مدح أمير المؤمنين ﷺ
 أصحابه في حرب صفين فقال:

يا أيّها السائل عن أصحابي إن كنت تبغي خبر الصواب
 أنبئك عنهم غير ما تكذاب بأنهم أوعية الكتاب

(١) ديوان الإمام علي ﷺ : ص ٤٣٨-٤٣٩ في ذكر قبائل همدان.

(٢) ديوان الإمام علي ﷺ : ص ٣٠٧.

صبر لدى الهيجاء والضراب فصل بذاك معشر الأحزاب^(١)

وقال عليه السلام في مدح قبائل من عسكره:

الأزد سيفي على الأعداء كلهم	وسيف أحمد من دانت له العرب
قوم إذا فاجئوا أوفوا وإن غلبوا	لا يحجمون ولا يدرون ما الهرب
قوم لبوسهم في كل معترك	بيض رقاق وداودية سلب
البيض فوق رؤوس تحتها اليلب	وفي الأنامل سمر الخط والقضب
البيض تضحك والآجال تنتحب	والسمر ترعف والأرواح تنتهب
وأي يوم من الأيام ليس لهم	فيه من الفعل ما من دونه العجب
الأزد أزيد من يمشي على قدم	فضلا وأعلاهم قدرا إذا ركبوا
والأوس والخزرج القوم الذين هم	آووا فأعطوا فوق ما وهبوا
يا معشر الأزد أنتم معشر أنف	لا يضعفون إذا ما اشتدت الحقب
وفيتهم ووفاء العهد شيمتكم	ولم يخالط قديما صدقكم كذب
إذا غضبتهم يهاب الخلق سطوتكم	وقد يهون عليكم منهم الغضب
يا معشر الأزد إنني من جميعكم	راض وأنتم رؤوس الأمر لا الذنب
لن تياس الأزد من روح ومغفرة	والله يكلؤكم من حيث ما ذهبوا
طبتم حديثا كما قد طاب أولكم	والشوك لا يجتنى من فرعه العنب

والأزد جرثومة إن سوبقوا سبقوا أو فوخروا فخورا أو غولبوا غلبوا
أو كوثرنا كثروا أو صوبروا صبروا أو سوهموا سهموا أو سولبوا سلبوا
صفوا فأصفاهم المولى ولايته فلم يشب صفوهم لهو ولا لعب
هينون لينون خلقا في مجالسهم لا الجهل يعرفهم فيها والصخب
الغيث إماء رضوا من دون نائلهم والأسد ترهبهم يوما إذا غضبوا
أندى الأنام أكفا حين تسألهم وأربط الناس جأشا إن هم ندبوا
وأي جمع كثير لا تفرقه إذا تدانت لهم غسان والندب
فأله يجزيهم عما أتوا وحبوا به الرسول وما من صالح كسبوا^(١)

وقال الإمام الحسين ﷺ ليلة عاشوراء: «أما بعد فإنني لا أعلم أصحابا أوفى ولا خيرا من أصحابي، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي فجزاكم الله عني خيرا»^(٢).

(١) ديوان الإمام علي ﷺ: ص ١١٠-١١٣.

(٢) الإرشاد: ج ٢ ص ٩١.

الدقة في التعبير

مسألة: ينبغي الدقة في التعبير ، فهناك فرق بين (الموصوف) وبين (المتصف) والصديقة عليها السلام قد عبرت بموصوفون بالكفاح لا متصفون بالكفاح. فإن الموصوف بالشيء أعم من المتصف به كما لا يخفى. عن أبي بصير قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «كان أبوذر رحمه الله يقول: يا مبتغي العلم إن هذا اللسان مفتاح خير ومفتاح شر ، فاختم على لسانك كما تختم على ذهبك وورقك»^(١). وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله أوصني ، فقال: «احفظ لسانك».

قال: يا رسول الله أوصني.

قال: «احفظ لسانك».

قال: يا رسول الله أوصني.

قال: «احفظ لسانك ويحك وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا

حصائد ألسنتهم»^(٢).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «المرء مخبوء تحت لسانه»^(٣).

(١) الكافي: ج ٢ ص ١١٤ باب الصمت وحفظ اللسان ح ١٠.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ١٩١ ب ١١٩ ح ١٦٠٥٣.

(٣) الإرشاد: ج ١ ص ٣٠٠ من كلامه عليه السلام في الحكمة والموعظة.

- وقال ﷺ: «دليل عقل الرجل قوله»^(١).
- وقال ﷺ: «يستدل على عقل كل امرئ بما يجري على لسانه»^(٢).
- وقال ﷺ: «جميل القول دليل وفور العقل»^(٣).
- وقال ﷺ: «عود لسانك حسن الكلام تأمن الملام»^(٤).
- وقال ﷺ: «التروي في القول يؤمن الزلل»^(٥).
- وقال ﷺ: «التثبت في القول يؤمن العثار والزلل»^(٦).
- وقال ﷺ: «من تفقد مقاله قل غلطه»^(٧).
- وقال ﷺ: «الكلام في وثاقتك ما لم تتكلم به فإذا تكلمت به صرت في وثاقه»^(٨).
- وقال ﷺ: «اللسان سبع إن خلي عنه عقر»^(٩).
- وقال ﷺ: «احذروا اللسان فإنه سهم يخطئ»^(١٠).

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٠٩ ف ١ القول والسان ح ٤٠٣٠.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٠٩ حسن اللسان والكلام ح ٤٠٥٢.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢١٠ حسن اللسان والكلام ح ٤٠٥٢.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢١٠ حسن اللسان والكلام ح ٤٠٥٥.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢١١ الفكر ثم القول ح ٤٠٧٢.

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢١١ الفكر ثم القول ح ٤٠٧٣.

(٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢١١ الفكر ثم القول ح ٤٠٧٤.

(٨) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ١٨٧ ب ١١٧ ح ١٦٠٤٣.

(٩) نهج البلاغة: باب الحكم والمواعظ ٦٠.

(١٠) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢١٣ خطر اللسان وأهميته ح ٤١٤٤.

وقال (عليه السلام): «ضبط اللسان ملك وإطلاقه هلك»^(١).

وقال (عليه السلام): «زلة اللسان أنكى من إصابة السنان»^(٢).

وقال (عليه السلام): «زلة اللسان تأتي على الإنسان»^(٣).

وهكذا ينبغي الدقة في جميع الأمور، كل بحسبه.

حيث ورد أنه «وقف علي (عليه السلام) على خياط فقال: يا خياط ثكلتك الثواكل، صلب الخيوط ودقق الدروز وقارب الغرز، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: يحشر الله الخياط الخائن وعليه قميص ورداء مما خاط وخان فيه، واحذروا السقاطات فإن صاحب الثوب أحق بها ولا تتخذ بها الأيادي تطلب المكافأة»^(٤).

الاتصاف في ظرف الإسناد

مسألة: ظاهر جريان المشتق على ذات، اتصافها به في ظرف الإسناد. وحيث إن الموصوف أعم من المتصف لذلك فإن إطلاقها (عليها السلام) «موصوفون بالكفاح» عليهم بلحاظ الحال لا يقتضي صدق الكفاح عليهم بالفعل فليدقق. والتفصيل في الأصول^(٥).

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢١٤ حفظ اللسان ح ٤١٨٣.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢١٤ زلة اللسان ح ٤١٩٧.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢١٥ زلة اللسان ح ٤١٩٨.

(٤) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ١ ص ٤٢ باب الصناعات والحرف.

(٥) راجع (الأصول) للإمام الشيرازي: ج ١ ص ١١٧-١٦٦.

الاتصاف بالكفاح

مسألة: يستحب أن يكون الإنسان موصوفاً بالكفاح في سبيل الله ، إضافة إلى استحباب أن يكون متصفاً به.

والكفاح هو المواجهة أي فعلية النزال والمبارزة ، سواء بالحرب أم بغير الحرب ، يقال : فلان يكافح الأمور ، أي يباشرها بنفسه ، والمكافحة : المضاربة والمدافعة تلقاء الوجه .

وقد تكون هذا واجباً بشروطه وحسب النتائج ، فإن كانت النتيجة واجبة كان واجباً وإن كانت النتيجة مستحبة كان مستحباً .

قال النبي ﷺ : « غدوة في سبيل الله أو روحه خير من الدنيا وما فيها »^(١).

وقال النبي ﷺ : « للجنة باب يقال له : باب المجاهدين ، يمضون إليه فإذا

هو مفتوح وهم متقلدون بسيوفهم والجمع في الموقف والملائكة ترحب بهم ، فمن ترك الجهاد ألبسه الله ذلاً وفقراً في معيشة ومحققاً في دينه ، إن الله عز وجل أغنى أممي بسنابك خيلها ومراكز رماحها »^(٢).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال : « إن رسول الله ﷺ بعث سرية فلما رجعوا

قال : مرحبا بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر ، قيل : يا رسول الله وما الجهاد الأكبر ؟ قال : جهاد النفس ، وقال ﷺ : أفضل الجهاد من

(١) غوالي اللآلي : ج ٣ ص ١٨٢ باب الجهاد ح ١.

(٢) الكافي : ج ٥ ص ٢ باب فضل الجهاد ح ٢.

جاهد نفسه التي بين جنبيه»^(١).

قولها (عليها السلام): «وأنتم موصوفون بالكفاح» الكفاح عبارة عن: المكافحة والمجالدة والمواجهة باستقبال العدو في الحرب أو غيرها، يقال: فلان يكافح الأمور بمعنى: يباشرها بنفسه، فالمعنى أنكم شجعان ومع ذلك لا تدافعون عني ولا تردون ظلامتي.

أقسام الشهرة

مسألة: الشهرة على قسمين:

١: قسم مبعوض.

وهو ما ورد فيه الذم وورد في عكسه وهو (الخمول) المدح.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) لكميل بن زياد: «تبدل ولا تشهر، ووار شخصك ولا تذكر، وتعلم واعمل، واسكت تسلم»^(٢).
وقال (عليه السلام): «إن في الخمول لراحة»^(٣).

وعن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) قال: «عزت السلامة حتى لقد خفي مطلبها، فإن يكن في شيء فيوشك أن يكون في الخمول، فإن طلبت في خمول فلم توجد فيوشك أن تكون في الصمت، فإن طلبت في الصمت فلم توجد فيوشك أن تكون في التخلي، فإن طلبت في التخلي فلم توجد فيوشك أن تكون

(١) وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ١٦٣ ب ١ ح ٢٠٢١٦.

(٢) إرشاد القلوب: ج ١ ص ١٠٠ الباب الخامس والعشرون في مدح الخمول.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣١٩ فوائدهما - أي العزلة والتفرد - ح ٧٣٦٤.

في كلام السلف الصالح ، والسعيد من وجد في نفسه خلوة يشغل بها»^(١).
وقال ﷺ: «لا يتم عقل امرئ مسلم حتى تكون فيه عشر خصال: الخير
منه مأمول والشر منه مأمون، يستكثر قليل الخير من غيره ويستقل كثير الخير من
نفسه، لا يسأم من طلب الحوائج إليه، ولا يمل من طلب العلم طول دهره،
الفقر في الله أحب إليه من الغنى، والذل في الله أحب إليه من العز في عدوه،
والخمول أشهى إليه من الشهرة» الحديث^(٢).

٢ : قسم محبوب.

وهو ما أشار إليه نبي الله الخليل ﷺ: «وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي
الْآخِرِينَ»^(٣).

في كشف الغمة عن ابن مردويه في قوله تعالى: «وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ
فِي الْآخِرِينَ»^(٤) عن أبي عبد الله جعفر بن محمد ﷺ قال: «هو علي بن أبي
طالب ﷺ عرضت ولايته على إبراهيم ﷺ فقال: اللهم اجعله من ذريتي ففعل
الله ذلك»^(٥).

وعلى هذا فإنه يستحب أن يكون الإنسان معروفاً بالخير والصلاح، وأن
يسعى لذلك لا حباً للشهرة ورياءً وسمعة، بل ليكون أسوة للآخرين فإن ذلك

(١) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ٢٠٢ ب ٢٣ ح ٣٥.

(٢) تحف العقول: ص ٤٤٣ وروي عنه ﷺ في قصار هذه المعاني.

(٣) سورة الشعراء: ٨٤.

(٤) سورة الشعراء: ٨٤.

(٥) كشف الغمة: ج ١ ص ٣٢٠ في بيان ما نزل من القرآن في شأنه ﷺ.

من طرق الهداية ، والفارق : النية.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال : «ثلاثة لم يسأل الله عزوجل بمثلهم ، أن تقول : اللهم فقهنى في الدين وحببني إلى المسلمين واجعل لي لسان صدق في الآخرين»^(١).

وفي التعقيب : «اللهم صل على محمد وآل محمد ، وفقهنى في الدين ، وحببني إلى المسلمين ، واجعل لي لسان صدق في الآخرين ، وارزقني هبة المتقين»^(٢).

وفي الدعاء : «اللهم حببني إلى جميع خلقك»^(٣).

وأيضاً : «يا من يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد ، أنت حكمت فلك الحمد محمودا مشكورا ، فعجل يا مولاي فرجهم وفرجنا بهم ، فإنك ضمنت إعزازهم بعد الذلة ، وتكثيرهم بعد القلة ، وإظهارهم بعد الخمول»^(٤).

وفي الزيارات : «اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي أَوْلِيَائِكَ»^(٥).

وهناك فرق بين الخير والصلاح ، لأن الإنسان قد يكون خيراً ولا يكون صالحاً لشيء ما ، فالصلاح غير الخير ، كما ربما يكون العكس ، بأن يكون صالحاً ولا يكون خيراً ، وبعبارة أخرى المنصرف من الخير ما هو بالقياس إلى الغير ،

(١) بحار الأنوار : ج ٩٢ ص ٣٥١-٣٥٢ ب ١٢٩ ح ٥.

(٢) بحار الأنوار : ج ٨٣ ص ٤٦ ب ٣٨ ضمن ح ٥٤.

(٣) بحار الأنوار : ج ٨٧ ص ٥٧ توضيح ضمن ح ١٤.

(٤) بحار الأنوار : ج ٩٨ ص ٣٠٦-٣٠٧ ب ٢٤ ضمن ح ٤.

(٥) من لا يحضره الفقيه : ج ٢ ص ٥٩٠ زيارة قبر أمير المؤمنين عليه السلام.

ومن الصلاح ما هو بلحاظ الذات.

نعم الصلاح من جميع الحيثيات يلزم الخيرية.

لا يقال: فإذا كان هؤلاء هكذا فلماذا تقاعسوا عن نصره الزهراء (عليها

الصلاة والسلام).

لأنه يقال: إنهم خافوا السيف، ومن المعلوم أن الحكومات الانقلابية والدكتاتورية والمستبدة ترعب الناس بالسلاح، ولم يكن هؤلاء استثناء من ذلك، فقد غلب الخوف - والطمع في بعضهم - طباعهم الأولية.

فمعنى كلامها (عليها الصلاة والسلام): الأمر في طبيعته الأولية وإن كان في

طبيعته الثانوية قد عرض عليهم ما أدى إلى خذلانهم وتقاعسهم عن النصر.

أو يجاب: بأن معروفة الشخص بصفة غير اتصافه بها وكونه كذلك

فعلاً، وكذلك الموصوفية غير الاتصاف كما سبق.

والنخبة التي انتخبت، والخيرة التي اختيرت لنا أهل البيت

السعي للتفوق

مسألة: يستحب أن يسعى الإنسان ليكون من النخبة المنتخبة والخيرة المختارة.

والفرق بين الانتخاب والاختيار: أن الانتخاب أخذ الشيء الجيد، أما الاختيار فهو من: خار، وخار قد أشرب فيه معنى اليسر والسهولة، وليس هذا المعنى حاصلًا في النخبة المنتخبة.

أو يقال: الاختيار يتضمن معنى التفضيل^(١) دون الانتخاب.

قولها عليها السلام: «التي انتخبت.. التي اختيرت» إشارة لمقام الإثبات بعد مقام الثبوت، إذ أن النخبة قد تنتخب وقد لا تنتخب، كما أن الخيرة قد تختار وقد لا تختار، وبذلك ذكرت الزهراء (صلوات الله عليها) في كل منهما اللفظين، هذا إن لم نقل بأنها بهذا الانتخاب أضحت نخبة وبهذا الاختيار صارت خيرة لا أنها كانت نخبة وخيرة فانتخبت واختيرت.

قولها عليها السلام: «معروفون بالخير والصلاح»، أي لستم من الأشرار، بل تعرفون في المجتمع بأنكم خيرون وصالحون ومصلحون.

قولها عليها السلام: «والنخبة التي انتخبت» أي: أنكم انتخبتم من قبل النبي صلى الله عليه وآله في الدفاع عنه وعن أهل بيته عليهم السلام وعن دينه.

(١) إذ الخيرة والخيرة من القوم أو الشيء: الأفضل، وخيار الشيء أفضله كما ورد في كتب اللغة.

والخيرة من القوم: المختار منهم، وقد يقال: إن الاختيار قبل الانتخاب.

يقال: اختاره فانتخبه، فكأن الاختيار للشأنية والانتخاب للفعلية، وإن كان يجوز أن يطلق كل واحد منهما على الآخر كالظرف والجار والمجرور في اصطلاح الأدباء.

ورسول الله ﷺ وأهل بيته الأطهار ﷺ هم خيرة الخلق. في الزيارة: «السلام عليك يا محمد بن عبد الله، السلام عليك يا خيرة الله»^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «من سره أن ينظر إلى القاضي الياقوت الأحمر الذي غرسه الله عز وجل بيده ويكون متمسكا به فليتول عليها والأئمة من ولده، فإنهم خيرة الله عز وجل وصفوته وهم المعصومون من كل ذنب وخطيئة»^(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله الخلق اختار العرب فاختر قريشا واختار بني هاشم فأنا خيرة من خيرة»^(٣).

وعن أبي عبد الله ﷺ قال: «نحن جنب الله ونحن صفوة الله ونحن خيرة الله»^(٤).

(١) الدعاء والزيارة للإمام الشيرازي رحمه الله: ص ٥٨٤ زيارات النبي ﷺ الزيارة الرابعة.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٥ ص ١٩٣ ب ٦ ح ٢.

(٣) بحار الأنوار: ج ٢٥ ص ٢٤٨ ب ٨ ح ٦.

(٤) بحار الأنوار: ج ٢٦ ص ٢٥٩ ب ٥ ح ٣٧.

وقال رسول الله ﷺ: «أنت يا علي وولدك خيرة الله من خلقه»^(١).

وعن الإمام جعفر بن محمد (ع) قال: «نحن خيرة الله من خلقه وشيعتنا خيرة الله من أمة نبيه»^(٢).

وقال ابن أبي قحافة للصديقة الطاهرة (ع): «لا يحبكم إلا العظيم السعادة، ولا يبغضكم إلا الرديء الولادة، أنتم عترة الله الطيبون، وخيرة الله المنتجبون»^(٣).

(١) بحار الأنوار: ج ٢٣ ص ١٤٥ ب ٧ ح ١٠٢.

(٢) بحار الأنوار: ج ٦٥ ص ٢٢ ب ١٥ ح ٣٨.

(٣) بلاغات النساء: ص ٣١، وبحار الأنوار: ج ٢٩ ص ٢٤٥-٢٦٤.

قاتلتم العرب

مقاتلة المشركين

مسألة: لقتال المشركين شروط وآداب مذكورة في الفقه^(١).

قال أمير المؤمنين علي ﷺ خطاباً للصديقة الطاهرة فاطمة ﷺ عند توجهه

إلى قتال المشركين:

قريبي ذا الفقار فاطم مني	فأخي السيف كل يوم هياج
قريبي الصّارم الحسام فإني	راكب في الرجال نحو الهياج
ورد اليوم ناصحا ينذر الناس	جيوش كالبحر ذي الأمواج
وردوا مسرعين يبغون قتلي	وأبيك المحبوب بالمعراج
وخراب الأوطان وقتل الناس	وكل إذا أصبح لاجي
سوف أرضي المليك بالضرب ما	عشت إلى أن أنال ما أنا راج
من ظهور الإسلام أو يأتي الموت	شهيدا من شاخب الأوداج ^(٢)

لا يقال: لم ذكرت ﷺ العرب فقط ولم تذكر الروم مع أنهم قاتلوا الروم أيضاً، في حرب (مؤتة) ونحوها؟

لأنه يقال: لأن أغلب حروبهم كانت في مواجهة العرب المشركين فهذا من

باب التغليب.

(١) انظر موسوعة الفقه: ج ٤٧-٤٨ كتاب الجهاد.

(٢) ديوان الإمام علي ﷺ: ص ١٢٩.

أو يقال: حيث إن العرب كانوا مظهر الشجاعة والفروسية في ذلك اليوم، جاء ذكرهم، وإن كان المراد الأعم من ذلك، ومن هنا قال أمير المؤمنين علي (عليه الصلاة والسلام): «والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت»^(١).

وفي يوم عاشوراء قال عمرو بن سعد لقومه: (الويل لكم أتدرون لمن تقاتلون؟ هذا ابن الأنزع البطين، هذا ابن قتال العرب، فاحملوا عليه من كل جانب)^(٢).

وقد يقال: المراد بالعرب: الشجعان، كما سبق من قول علي (عليه الصلاة والسلام)، لا أن المراد في مقابل العجم، أي: إنكم كنتم بهذه المنزلة من الشجاعة فكيف تجبنون الآن.

(١) نهج البلاغة، الرسائل: ٤٥ من كتاب له ﷺ إلى عثمان بن حنيف الأنصاري وكان عامله على البصرة.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ٥٠ ب ٣٧.

وتحملتم الكد والتعب

تحمل الكد والتعب

مسألة: حيث إن سياق كلامها ﷺ سياق الثناء المدح لا سياق النقل التاريخي المجرد فيستفاد - على ذلك - من قولها: «وتحملتم الكد والتعب» رجحان بل استحباب أو وجوب تحمل الكد والتعب للإسلام، هذا لو لاحظنا مصب الحديث.

وإلا فقد يستحب تحمل الكد والتعب حتى في مثل إدارة العائلة وما أشبهه، بل لعل الزهراء (عليها الصلاة والسلام) أرادت الأعم كما هو صفة المكافح الخير الصالح، فكل موضوع قد يقتضي مثل هذه الصفات كل بحسبه، سواء في النزال أم في الجدال أم في الإدارة أم في الإعالة أم في غيرها.

قولها ﷺ: «وتحملتم الكد والتعب» والفرق بينهما أن التعب أعم من الكد، فإن الكد هو التعب الكثير، بينما التعب يقال للقليل أيضاً.

وقد ورد في باب المؤمن وعلاماته وصفاته عن أبي عبد الله ﷺ أنه قال: «نفسه منه في عناء والناس منه في راحة، أتعب نفسه لآخرته فأراح الناس من نفسه»^(١).

وعن أبي جعفر ﷺ قال: «إن رسول الله ﷺ لما فتح مكة أتعب نفسه في عبادة الله عز وجل والشكر لنعمه في الطواف بالبيت وكان علي ﷺ معه، فلما

(١) الكافي: ج ٢ ص ٢٣٠ باب المؤمن وعلاماته ضمن ح ١.

غشيهم الليل انطلقا إلى الصفا والمروة يريدان السعي، قال: فلما هبطا من الصفا إلى المروة وصارا في الوادي دون العلم الذي رأيت غشيهما من السماء نور فأضاءت لهما جبال مكة وخشعت أبصارهما، قال: ففزعا لذلك فزعا شديدا، قال: فمضى رسول الله ﷺ حتى ارتفع عن الوادي وتبعه علي ﷺ فرفع رسول الله ﷺ رأسه إلى السماء فإذا هو برمانتين على رأسه، قال: فتناولهما رسول الله ﷺ فأوحى الله عز وجل إلى محمد ﷺ: يا محمد إنها من قطف الجنة فلا يأكل منها إلا أنت ووصيك علي بن أبي طالب، قال: فأكل رسول الله ﷺ أحدهما وأكل علي ﷺ الأخرى» الخبر^(١).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «إن أفضل الناس عند الله من أحياء عقله وأمات شهوته وأتعب نفسه لصلاح آخرته»^(٢).

وعن عبد الله بن الحسن بن الحسين قال:

(أعتق علي ﷺ في حياة رسول الله ﷺ ألف مملوك مما مجلت يدهاء وعرق جبينه ولقد ولي الخلافة وأتته الأموال فما كان حلواه إلا التمر ولا ثيابه إلا الكرايس)^(٣).

وروي: «أنه ﷺ كان يستقي بيده لنخل قوم من يهود المدينة حتى مجلت يده ويتصدق بالأجرة ويشد على بطنه حجرا»^(٤).

(١) بحار الأنوار: ج ٣٩ ص ١٢٤-١٢٥ ب ٧٨ ح ٩.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٥٠ ق ١ ب ١ ف ٤ ح ٣٠٨.

(٣) بحار الأنوار: ج ٤١ ص ١٣٨-١٣٩ ب ١٠٧.

(٤) بحار الأنوار: ج ٤١ ص ١٤٤ ب ١٠٧.

وورد: «لقد طحنت فاطمة بنت رسول الله ﷺ حتى مجلت يداها وطب الرحي في يدها»^(١).

وعن علي عليه السلام أنه قال لرجل من بني سعد: «ألا أحدثك عني وعن فاطمة، إنها كانت عندي وكانت من أحب أهله إليه وأنها استقت بالقربة حتى أثر في صدرها وطحنت بالرحى حتى مجلت يداها وكسحت البيت حتى اغبرت ثيابها وأوقدت النار تحت القدر حتى دكنت ثيابها، فأصابها من ذلك ضرر شديد، فقلت لها: لو أتيت أباك فسألتيه خادما يكفيك ضرر ما أنت فيه من هذا العمل.

فأتت النبي ﷺ فوجدت عنده حداثا، فاستحت فانصرفت.

قال: فعلم النبي ﷺ أنها جاءت لحاجة.

قال: فغدا علينا رسول الله ﷺ ونحن في لفاعنا، فقال: السلام عليكم. فسكتنا واستحيينا لمكاننا.

ثم قال: السلام عليكم، فسكتنا.

ثم قال: السلام عليكم، فخشنا إن لم نرد عليه أن ينصرف، وقد كان يفعل ذلك يسلم ثلاثا فإن أذن له وإلا انصرف.

فقلت: وعليك السلام يا رسول الله ادخل، فلم يعد أن جلس عند

رؤوسنا، فقال: يا فاطمة ما كانت حاجتك أمس عند محمد؟

قال: فخشيت إن لم نجبه أن يقوم.

(١) المناقب: ج ٣ ص ٣٤١ فصل في سيرتها.

قال: فأخرجت رأسي فقلت: أنا والله أخبرك يا رسول الله، إنها استقت
 بالقربة حتى أثرت في صدرها وجرت بالرحى حتى مجلت يداها وكسحت البيت
 حتى اغبرت ثيابها وأوقدت تحت القدر حتى دكنت ثيابها، فقلت لها: لو أتيت
 أباك فسألتيه خادما يكفيك ضر ما أنت فيه من هذا العمل؟
 قال: أفلا أعلمكما ما هو خير لكما من الخادم، إذا أخذتما منامكما فسيحا
 ثلاثا وثلاثين، واحمدا ثلاثا وثلاثين، وكبرا أربعاً وثلاثين، قال: فأخرجت 
 رأسها فقالت: رضيت عن الله ورسوله، ثلاث دفعات»^(١).

(١) بحار الأنوار: ج ٤٣ ص ٨٢-٨٣ ب ٤ ح ٥.

وناطحتهم الأمم وكافحتهم البهم

مناطحة الأمم

مسألة: قد يقال بانصراف كلامها ﷺ : «ناطحتهم الأمم و...» إلى المناطحة العسكرية.

ولكن يحتمل إرادة الأعم من المناطحة في ظرف الحرب والسلام، فيشمل حتى المناطحة بالمجادلة والتي هي أحسن وبالكلمة الطيبة، ويشمل حتى مثل موقف جعفر الطيار ﷺ وسائر المسلمين في الحبشة^(١)، ومثل موقفهم وصمودهم في شعب أبي طالب ﷺ^(٢)، وعلى أي فإن مناطحة الأمم ومكافحة البهم بين واجب ومستحب.

فإذا كان هنالك من فيه الكفاية وقام بالأمر، كانت المناطحة والمكافحة بالنسبة إلى من هو فوق الكفاية مستحبا.

إلى غير ذلك من المسائل الفقهية المذكورة في كتاب الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(٣).

وقد كتب أمير المؤمنين ﷺ في جواب معاوية: «من عبد الله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى معاوية بن أبي سفيان، أما بعد فقد أتانا كتابك بتنويق

(١) راجع بحار الأنوار: ج ١٨ ص ٤١٠ باب الهجرة إلى الحبشة وذكر بعض أحوال جعفر ﷺ والنجاشي ﷺ.

(٢) انظر بحار الأنوار: ج ١٩ ص ١٨-٢٠ ب ٥ ح ١١.

(٣) انظر موسوعة الفقه: ج ٤٧ و ٤٨.

المقال وضرب الأمثال وانتحال الأعمال تصف الحكمة ولست من أهلها وتذكر التقوى وأنت على ضدها» إلى أن قال عليه السلام: «وأما تهديدك لي بالمشارب العربية والموارد المهلكة فأنا عبد الله علي بن أبي طالب أبرز إلي صفحتك كلا ورب البيت ما أنت بأبي عذر عند القتال ولا عند مناطحة الأبطال»^(١).

جعفر بن أبي طالب عليه السلام في الحبشة

وفي (تفسير القمي): «لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى»^(٢)، فإنه كان سبب نزولها أنه لما اشتدت قريش في أذى رسول الله ﷺ وأصحابه الذين آمنوا بمكة قبل الهجرة أمرهم رسول الله ﷺ أن يخرجوا إلى الحبشة وأمر جعفر بن أبي طالب أن يخرج معهم، فخرج جعفر ومعه سبعون رجلاً من المسلمين حتى ركبوا البحر فلما بلغ قريشا خروجهم بعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد إلى النجاشي ليردهم إليهم... فوردوا على النجاشي وقد كانوا حملوا إليه هدايا، فقبلها منهم، فقال عمرو بن العاص: أيها الملك إن قوما منا خالفونا في ديننا وسبوا آلهمتنا وصاروا إليك فردهم إلينا.

فبعث النجاشي إلى جعفر، فجاء فقال: يا جعفر ما يقول هؤلاء؟

فقال جعفر: أيها الملك وما يقولون؟

(١) كنز الفوائد: ج ٢ ص ٤٣-٤٤ جواب أمير المؤمنين عليه السلام.

(٢) سورة المائدة: ٨٢.

قال : يسألون أن أردكم إليهم.

قال : أيها الملك سلهم أعبيد نحن لهم؟

قال عمرو : لا بل أحرار كرام.

قال : فاسألهم ألهم علينا ديون يطالبونا بها؟

فقال : لا ما لنا عليكم ديون.

قال : فلكم في أعناقنا دماء تطالبونا بذحول؟

فقال عمرو : لا.

قال : فما تريدون منا ، أذيتمونا فخرجنا من بلادكم.

فقال عمرو بن العاص : أيها الملك خالفونا في ديننا وسبوا آلهتنا وأفسدوا

شباننا وفرقوا جماعتنا ، فردهم إلينا لنجمع أمرنا.

فقال جعفر : نعم أيها الملك خالفناهم ، بعث الله فينا نبيا أمرنا بخلع

الأنداد وترك الاستقسام بالأزلام وأمرنا بالصلاة والزكاة وحرم الظلم والجور

وسفك الدماء بغير حقها والزنا والربا والميتة والدم وأمرنا ﴿بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ

وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾^(١) ونهانا ﴿عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾^(٢).

فقال النجاشي : بهذا بعث الله عيسى ابن مريم عليه السلام.

ثم قال النجاشي : يا جعفر هل تحفظ مما أنزل الله على نبيك شيئا؟

قال : نعم ، فقرأ عليه سورة مريم ، فلما بلغ إلى قوله : ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ

(١) سورة النحل : ٩٠.

(٢) سورة النحل : ٩٠.

بِجِدْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا^(١).

فلما سمع النجاشي بهذا بكى بكاء شديدا وقال: هذا والله هو الحق.

وقال عمرو بن العاص: أيها الملك إن هذا مخالف لنا فردده إلينا.

فرفع النجاشي يده فضرب بها وجه عمرو ثم قال: اسكت، والله لئن ذكرته بسوء لأفقدنك نفسك.

فقام عمرو بن العاص من عنده والدماء تسيل على وجهه وهو يقول: إن كان هذا كما تقول أيها الملك فإننا لا نتعرض له^(٢).

وفي الخرائج و الجرائح: (روي عن ابن مسعود قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى أرض النجاشي ونحن ثمانون رجلا ومعنا جعفر بن أبي طالب، وبعثت قريش خلفنا عمارة بن الوليد وعمرو بن العاص مع هدايا فأتوه بها فقبلها وسجدوا له فقالوا: إن قوما منا رغبوا عن ديننا وهم في أرضك فبعث إلينا. فقال لنا جعفر: لا يتكلم أحد منكم أنا خطيبكم اليوم.

فانتهينا إلى النجاشي، فقال عمرو وعمارة: إنهم لا يسجدون لك. فلما انتهينا إليه زبرنا الرهبان أن اسجدوا للملك، فقال لهم جعفر: لا نسجد إلا لله.

فقال النجاشي: وما ذلك؟

قال: إن الله بعث فينا رسوله وهو الذي بشر به عيسى اسمه أحمد، فأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئا وأن نقيم الصلاة وأن نؤتي الزكاة وأمرنا بالمعروف

(١) سورة مريم: ٢٥-٢٦.

(٢) بحار الأنوار: ج ١٨ ص ٤١٤-٤١٥ ب ٤ ح ١.

ونهانا عن المنكر.

فأعجب النجاشي قوله.

فلما رأى ذلك عمرو قال: أصلح الله الملك إنهم يخالفونك في ابن مريم.

فقال النجاشي لجعفر: ما يقول صاحبك في ابن مريم؟

قال: يقول فيه قول الله: هو روح الله وكلمته أخرجته من العذراء البتول

التي لم يقربها بشر.

فتناول النجاشي عودا من الأرض فقال: يا معشر القسيسين والرهبان ما

يزيد هؤلاء على ما تقولون في ابن مريم ما يزن هذا.

ثم قال النجاشي لجعفر: أتقرأ شيئا مما جاء به محمد؟

قال: نعم.

قال: اقرأ، وأمر الرهبان أن ينظروا في كتبهم.

فقرأ جعفر ﴿كهيعص﴾^(١) إلى آخر قصة عيسى عليه السلام فكانوا يبكون.

ثم قال النجاشي: مرحبا بكم وبمن جئتم من عنده، فأنا أشهد أن لا إله

إلا الله وأن محمدا رسول الله وأنه الذي بشر به عيسى ابن مريم، ولولا ما أنا فيه

من الملك لأتيته حتى أحمل نعليه اذهبوا أنتم سيوم أي آمنون، وأمر لنا بطعام

وكسوة وقال: ردوا على هذين هديتهما^(٢).

(١) سورة مريم: ١.

(٢) الخرائج والجرائح: ج ١ ص ١٣٣-١٣٤ فذك.

قصة شعب أبي طالب عليه السلام

في البحار: أن في سنة ثمان من نبوة رسول الله ﷺ تعاهد قريش وتقاسمت على معاداة رسول الله ﷺ وذلك أنه لما أسلم حمزة وحمى النجاشي من عنده من المسلمين وحامى رسول الله ﷺ عمه أبو طالب وقامت بنو هاشم وبنو عبد المطلب دونه وأبوا أن يسلموه، فشا الإسلام في القبائل واجتهد المشركون في إخفاء ذلك النور ويأبى الله إلا أن يتم نوره، فعرفت قريش أنه لا سبيل إلى محمد ﷺ، اجتمعوا على أن يكتبوا فيما بينهم على بني هاشم وبني عبد المطلب: أن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم، فكتبوا صحيفة في ذلك وكتب فيها جماعة وعلقوها بالكعبة، ثم عدوا على من أسلم فأوثقوهم وأذوهم واشتد البلاء عليهم وعظمت الفتنة فيهم وزلزلوا زلزالا شديداً، وأبدت قريش لبني عبد المطلب الجفاء وثار بينهم شر وقالوا: لا صلح بيننا وبينكم، ولا رحم إلا على قتل هذا الصابئ.

فعمد أبو طالب فأدخل الشعب ابن أخيه وبني أبيه ومن اتبعهم، فدخلوا شعب أبي طالب.

وآذوا النبي ﷺ والمؤمنين أذى شديدا وضربوهم في كل طريق وحصروهم في شعبهم وقطعوا عنهم المارة من الأسواق، ونادى مناد الوليد بن المغيرة في قريش: أيما رجل منهم وجدتموه عند طعام يشتره فزيدوا عليه.

فبقوا على ذلك ثلاث سنين، حتى بلغ القوم الجهد الشديد، حتى سمعوا أصوات صبيانهم يتضاغون أي يصيحون من الجوع من وراء الشعب، وكان

المشركون يكرهون ما فيه بنو هاشم من البلاء حتى كره عامة قريش ما أصاب بني هاشم وأظهروا كراهيتهم لصحيفتهم القاطعة الظالمة حتى أراد رجال أن يبرؤوا منها.

وكان أبو طالب يخاف أن يغتالوا رسول الله ﷺ ليلاً أو سراً، وكان النبي ﷺ إذا أخذ مضجعه أو رقد جعله أبو طالب بينه وبين بنيه خشية أن يقتلوه.

وكان يصبح قريش وقد سمعوا أصوات صبيان بني هاشم من الليل يتضاغون من الجوع فيجلسون عند الكعبة فيسأل بعضهم بعضاً فيقول الرجل لأصحابه: كيف بات أهلك البارحة؟ فيقولون: بخير، فيقول: لكن إخوانكم هؤلاء الذين في الشعب باتت صبيانهم يتضاغون من الجوع، فمنهم من يعجبه ما يلقي محمد ورهطه ومنهم من يكره ذلك.

فأتى من قريش على ذلك من أمرهم في بني هاشم ستين أو ثلاثاً حتى جهد القوم جهداً شديداً لا يصل إليهم شيء إلا سراً و مستخفى به ممن أراد صلتهم من قريش، حتى روي أن حكيم بن حزام خرج يوماً ومعه إنسان يحمل طعاماً إلى عمته خديجة بنت خويلد وهي تحت رسول الله ﷺ في الشعب إذ لقيه أبو جهل فقال: تذهب بالطعام إلى بني هاشم والله لا تبرح أنت ولا طعامك حتى أفضحك عند قريش، فقال له: أبو البختری بن هشام بن الحارث تمنعه أن يرسل إلى عمته بطعام كان لها عنده، فأبى أبو جهل أن يدعه، فقام إليه أبو البختری بساق بعير فشجه ووطئه ووطئا شديداً وحمزة بن عبد المطلب قريب يرى ذلك، وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله ﷺ وأصحابه فيشتموا بهم.

وحتى روي أن هشام بن عمرو بن ربيعة أدخل على بني هاشم في ليلة ثلاثة أحمال طعام، فعلمت بذلك قريش فمشوا إليه فكلموه في ذلك، فقال: إني غير عائد لشيء يخالفكم، ثم عاد الثانية فأدخل حملاً أو حملين ليلاً وصادفته قريش وهموا به، فقال أبو سفيان: دعوه رجل وصل رحمه، أما إني أحلف بالله لو فعلنا مثل ما فعل كان أجمل بنا ووفق الله هشاماً للإسلام يوم الفتح^(١).

وورد أيضاً: أنه كان من معجزاته عليه السلام أن قريشاً كلهم اجتمعوا وأخرجوا بني هاشم إلى شعب أبي طالب ومكثوا فيه ثلاث سنين إلا شهراً، ثم أنفق أبو طالب وخديجة جميع مالهما ولا يقدرّون على الطعام إلا من موسم إلى موسم، فلقوا من الجوع والعري ما الله أعلم به وأن الله قد بعث على صحيفتهم الأرضة، فأكلت كل ما فيها إلا اسم الله، فذكر ذلك رسول الله ﷺ لأبي طالب، فما راع قريشاً إلا وبني هاشم عنق واحد قد خرجوا من الشعب، فقالوا: الجوع أخرجهم، فجاءوا حتى أتوا الحجر وجلسوا فيه وكان لا يقعد فيه صبيان قريش، فقالوا: يا أبا طالب قد آن لك أن تصالح قومك.

قال: قد جئكم مخبراً، ابعثوا إلى صحيفتكم لعله أن يكون بيننا وبينكم صلح فيها.

فبعثوا إليها وهي عند أم أبي جهل وكانت قبل في الكعبة فخافوا عليها السراق فوضعت بين أيديهم وخواتيمهم عليها.

(١) بحار الأنوار: ج ١٩ ص ١٨-٢٠ ب ٥ ح ١١.

فقال أبو طالب: هل تنكرون منها شيئاً؟

قالوا: لا.

قال: إن ابن أخي حدثني ولم يكذبني قط أن الله قد بعث على هذه الصحيفة الأرضة فأكلت كل قطيعة وإثم وتركت كل اسم هو لله فإن كان صادقاً أقلعتم عن ظلمنا، وإن يكن كاذباً ندفعه إليكم فقتلتموه.

فصاح الناس: أنصفتنا يا أبا طالب.

ففتحت ثم أخرجت فإذا هي مشربة كما قال ﷺ فكبر المسلمون وامتنعت وجوه المشركين.

فقال: أبو طالب أتبين لكم أينأ أولى بالسحر والكهانة.

فأسلم يومئذ عالم من الناس ثم رجع أبو طالب إلى شعبة ثم غيرهم هشام بن عمرو العامري بما صنعوا ببني هاشم^(١).

هذا وقد ذكرت الصديقة الطاهرة (عليها الصلاة والسلام) في خطبتها «الأمم»، لأنهم ناطحوا المشركين واليهود والنصارى والمجوس، حيث كان بعض المجوس في اليمن أيضاً.

والبهم عبارة عن: الشجعان الذين لا يعرف قدر شجاعتهم، ولا يدرى من أين يؤتون؟ أعن اليمين أم عن الشمال أم الأمام أم الخلف؟ كالشيء المبهمة الذي لا يدرى معناه ومغزاه.

قولها ﷺ: «وناطحتم الأمم» حيث شبهتهم (عليها الصلاة والسلام) بالكباش

(١) بحار الأنوار: ج ١٩ ص ١٦-١٧ ب ٥ ح ٨.

الذي يناطح الكباش الآخر، كناية عن شدة المجالدة وظهورها، فإن المناطحة عبارة عن محاربة كبشين بقرونها، وهذا كناية عن محاربة الخصوم بجد واهتمام.

قولها ﷺ: «وكافحتم البهم»، وقد سبق معنى الكفاح.

لا نبرح أو تبرحون

إتباع الرسول وأهل بيته ﷺ

مسألة: من الواجب إتباع الرسول ﷺ وأهل بيته الطاهرين ﷺ وعدم التقدم عليهم والتأخر عنهم.

فإن هذه الجملة في أحد وجوها تفيد نفس المعنى الوارد في أدعية شهر شعبان: «المتقدم لهم مارق والمتأخر عنهم زاهق»^(١). ويمكن أن تكون إخباراً في مقام الإنشاء^(٢).

فالواجب أن يهندس المرء حياته على طبق المخطط الذي وضعه أهل البيت ﷺ للحياة، فإنهم وسائط الفيض والتشريع كما ورد: «إرادة الرب في مقادير أموره تهبط إليكم وتصدر من بيوتكم»^(٣).

فإن من الواجب أو المستحب - كل بحسبه - أن يكون الإنسان طوع أوامرهم المولوية والإرشادية (عليهم الصلاة والسلام)، فكلما تحركوا تحرك، وكلما سكنوا سكن.

قال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٤).

(١) البلد الأمين: ص ١٨٦ شهر شعبان.

(٢) إلا أن يقال إنه لا يكون فيما كان إخباراً عن حال ماضيه فتأمل، ويمكن القول بالملازمة العرفية بين مثل هذا التقرير عن الماضي وبين وجوبه في الحاضر. وكلمة (فتأمل) ربما يكون إشارة إلى أن ذلك وإن كان ممكناً إلا أن الظهور لا يساعد عليه.

(٣) تهذيب الأحكام: ج ٦ ص ٥٤-٥٥ ب ١٨ ح ١.

(٤) سورة النساء: ٦٤.

وقال تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(١)
وهذا نوع من الإِطاعة.

عن أبي محمد العسكري عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن الباقر عليه السلام قال: «أوصى النبي صلى الله عليه وآله إلى علي والحسن والحسين عليهم السلام».

ثم قال في قول الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٢) قال: «الأئمة من ولد علي وفاطمة إلى أن تقوم الساعة»^(٣).

وعن بريد العجلي عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى:
﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾^(٤)
فجعلنا منهم الرسل والأنبياء والأئمة فكيف يقرون في آل إبراهيم وينكرون في آل محمد عليه السلام قلت: فما معنى قوله: ﴿وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ قال: «الملك العظيم أن جعل فيهم أئمة من أطاعهم أطاع الله ومن عصاهم عصى الله فهو الملك العظيم»^(٥).

(١) سورة النساء: ٥٩.

(٢) سورة النساء: ٥٩.

(٣) بحار الأنوار: ج ٢٣ ص ٢٨٦ ب ١٧ ح ٣.

(٤) سورة النساء: ٥٤.

(٥) بصائر الدرجات: ص ٣٦ ب ١٧ ح ٦.

وعن جابر الأنصاري قال: سألت النبي ﷺ عن قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ عرفنا الله ورسوله، فمن أولي الأمر؟ قال: «هم خلفائي يا جابر وأئمة المسلمين بعدي، أولهم علي بن أبي طالب ﷺ ثم الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين ثم محمد بن علي المعروف في التوراة بالباقر وستدركه يا جابر فإذا لقيته فأقرئه مني السلام، ثم الصادق جعفر بن محمد ثم موسى بن جعفر ثم علي بن موسى ثم محمد بن علي ثم علي بن محمد ثم الحسن بن علي ثم سمعي وكني حجة الله في أرضه وبقيته في عبادته ابن الحسن بن علي، الذي يفتح الله على يده مشارق الأرض ومغاربها، ذاك الذي يغيب عن شيعته غيبة لا يثبت على القول بإمامته إلا من امتحن الله قلبه بالإيمان»^(١).

وعن أبان أنه دخل على أبي الحسن الرضا ﷺ قال: فسألته عن قول الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ فقال: «ذلك علي بن أبي طالب صلوات الله عليه» ثم سكت فلما طال سكوته قلت: ثم من؟ قال: «ثم الحسن ﷺ» ثم سكت، فلما طال سكوته قلت: ثم من؟ قال: «الحسين ﷺ» قلت: ثم من؟ قال: «ثم علي بن الحسين ﷺ» وسكت، فلم يزل يسكت عن كل واحد حتى أعيد المسألة فيقول حتى سماهم إلى آخرهم ﷺ^(٢).

(١) المناقب: ج ١ ص ٢٨٢ فصل في الآيات المنزلة فيهم ﷺ.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٣ ص ٢٩٢-٢٩٣ ب ١٧ ح ٢٦.

وعن عمرو بن سعيد قال: سألت أبا الحسن (ع) عن قوله ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ قال: قال: «علي بن أبي طالب والأوصياء من بعده»^(١).

قولها (ع): «فلا نبرح أو تبرحون» (أو) بمعنى: إلا، أي: لا نبرح إلا أن تبرحوا أنتم أيضاً، بمعنى: إنكم تأتمرون بأوامرنا وتزجرون بنواهيها. ومن المحتمل أن يكون معنى «لا نبرح أو تبرحون»: لا نغضب أو تغضبون أي إلا أن تغضبوا أنتم أيضاً.

وبعبارة أخرى: لو كان ماضيه (بَرَحَ) بمعنى زال عن مكانه كان المعنى الأول هو المراد، ولو كان ماضيه (بَرَحَ) كان المعنى الثاني هو المراد، والأول هو الظاهر خاصة بقرينة ما بعده.

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٥٣ من سورة النساء ح ١٧٦.

نأمركم فتأتمرون

عمومية وجوب الإطاعة

مسألة: تجب إطاعة وامثال أهل البيت ﷺ في أوامرهم الوجوبية، إذ قد تكون الأوامر إرشادية أو استحبابية، كما قال رسول الله ﷺ في قصة زواج امرأة حيث سأله: أتأمرني يا رسول الله، فقال: لا إنما أنا شافع.

كما أنه تجب إطاعتهم حتى في الأوامر العادية إذا قالوها على سبيل الطلب والجدّ، وليس غيرهم كذلك، كما إذا طلبوا من أحد السفر أو فتح محل أو بيع أو شراء أو زواج أو ما أشبه ذلك، فهذا من خصائص الولاية.

عن أبي حمزة عن مأمون الرقي قال: كنت عند سيدي الصادق ﷺ إذ دخل سهل بن حسن الخراساني، فسلم عليه ثم جلس فقال له: يا ابن رسول الله لكم الرأفة والرحمة وأنتم أهل بيت الإمامة، ما الذي يمنعك أن يكون لك حق تقعد عنه وأنت تجد من شيعتك مائة ألف يضربون بين يديك بالسيف؟

فقال له ﷺ: «اجلس يا خراساني رعى الله حقك» ثم قال: «يا حنفية اسجري التنور»، فسجرتة حتى صار كالجمرة وابيض علوه، ثم قال: «يا خراساني قم فاجلس في التنور».

فقال الخراساني: يا سيدي يا ابن رسول الله لا تعذبني بالنار، أقلني أقالك

الله.

قال: «قد أقلتك».

فبينما نحن كذلك إذ أقبل هارون المكي ونعله في سبابته ، فقال : السلام عليك يا ابن رسول الله.

فقال له الصادق (ع): «ألق النعل من يدك واجلس في التنور».

قال : فألقى النعل من سبابته ثم جلس في التنور ، وأقبل الإمام يحدث الخراساني حديث خراسان حتى كأنه شاهد لها ، ثم قال : «قم يا خراساني وانظر ما في التنور».

قال : فقممت إليه فرأيتَه متربعا فخرج إلينا وسلم علينا !.

فقال له الإمام (ع): «كم تجد بخراسان مثل هذا»؟

فقلت : والله ولا واحدا.

فقال (ع): «لا والله ولا واحدا ، أما إنا لا نخرج في زمان لا نجد فيه خمسة

معاضدين لنا نحن أعلم بالوقت»^(١).

وعن معمر بن خلاد قال : سألت رجلا فارسي أبا الحسن الرضا (ع) فقال :

طاعتكم مفترضة؟ فقال : «نعم» فقال كطاعة علي بن أبي طالب (ع)؟ فقال : «نعم»^(٢).

وفي زيارة الأئمة بالبقيع (ع): «وأشهد أنكم الأئمة الراشدون المهتدون وأن

طاعتكم مفروضة وأن قولكم الصدق وإنكم دعوتكم فلم تجابوا وأمرتم فلم تطاعوا»^(٣).

(١) المناقب : ج ٤ ص ٢٣٧ فصل في خرق العادات له (ع).

(٢) بحار الأنوار : ج ٢٣ ص ٣٠١ ب ١٧ ح ٥٤.

(٣) الدعاء والزيارة للإمام الشيرازي (ع) : ص ٥٩٠ زيارة الأئمة (ع) بالبقيع.

وأيضاً: «وأعطاكم راية الحق التي من تقدمها ضل ومن تخلف عنها ذل، وفرض طاعتكم ومودتكم على كل أسود وأبيض من عباده»^(١).

وأيضاً: «بأبي أنتم وأمي، لقد رضعتم ثدي الإيمان، وربيتم في حجر الإسلام، واصطفاكم الله على الناس، وورثكم علم الكتاب، وعلمكم فصل الخطاب، وأجرى فيكم موارث النبوة، وفجر بكم ينابيع الحكمة، وألزمكم بحفظ الشريعة، وفرض طاعتكم ومودتكم على الناس»^(٢).

وفي زيارة الجامعة: «وقرن طاعتكم بطاعته»^(٣).

وإنما ذكرت الزهراء عليها السلام في هذا المقطع من خطبتها الشريفة، الأمر دون النهي لأن الأمر في أمثال هذا المقام يشمل النهي أيضاً، كما ألمعنا إلى ذلك في مثله من البنود السابقة.

قولها عليها السلام: «نأمركم فتأتمرون» أي: تقبلون أوامرنا، فلماذا الآن انتكصتم عن مناصرتنا وعن إطاعتنا؟!

(١) بحار الأنوار: ج ٩٧ ص ٢٠٧-٢٠٨ ب ٦ ج ٨.

(٢) بحار الأنوار: ج ٩٧ ص ٢٠٩ ب ٦ ضمن ج ٨.

(٣) تهذيب الأحكام: ج ٦ ص ٩٩ ب ٤٦ ح ١.

حتى إذا دارت بنا ^(١) رحي الإسلام

محورية أهل البيت عليهم السلام

مسألة: لقد دارت بأهل البيت عليهم السلام رحي الإسلام حدوثاً، وهي دائرة بهم عليهم السلام استمراراً أيضاً، وذلك:

أولاً: لأن البقاء فرع الحدوث، والشيء يعلل بأولى علله أيضاً حقيقة.
وثانياً: لأنهم عليهم السلام علل قريبة للبقاء، كما هم عليهم السلام علل بعيدة أيضاً، فإن وجودهم وكلماتهم ومواقفهم وآثارهم ومناهجهم وما تركوه من تراث فكري وأدبي وجهادي - بل حتى قبورهم ومراقدهم الشريفة - لا تزال هي التي تدور عليها وبها رحي الإسلام، وعلى أي حال لولا هم عليهم السلام لم يقم للإسلام عود ولا استقام له عمود.

نعم إن الإسلام كان دين الأنبياء عليهم السلام قبل رسول الله ﷺ لكن ذلك الإسلام شوّهته الجاهلية حتى لم يبق منه إلا كأنوار الحُباب ^(٢) الصغيرة في الليالي المظلمة المدلّمة.

أو يقال: بأن المراد بـ (الإسلام) في كلامها عليها السلام هو الإسلام بالمعنى المصطلح، لا بالمعنى الأعم ^(٣)، فيكون المراد المعنى الحقيقي من (حتى إذا دارت).

(١) وفي بعض النسخ: (حتى دارت لكم بنا رحي الإسلام).

(٢) نار الحباب: النار الخفية يضرب بها المثل في الضعف. والحباب ما تقدحه حوافر الخيل. وأيضاً:

الحباب وأم حُباب: ذباب ذو ألوان يطير في الليل، في ذنبه شعاع كالسراج.

(٣) أي الذي يطلق على مجموعة من الكليات التي آمن بها الرسل عليهم السلام وتشكل القاسم المشترك مع الدين الإسلامي.

قولها ﷺ: «حتى إذا دارت بنا رحى الإسلام» هو كناية عن استقرار الأمر للإسلام وانتظام أموره على يد أهل البيت ﷺ.

عن عبد الله بن جندب أنه كتب إليه الرضا ﷺ: «أما بعد فإن محمدا ﷺ كان أمين الله في خلقه، فلما قبض ﷺ كنا أهل البيت ورثته، فنحن أمناء الله في أرضه، عندنا علم البلايا والمنايا وأنساب العرب ومولد الإسلام»^(١).

وعن أبي عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «الإسلام عريان فلباسه الحياء، وزينته الوقار، ومروءته العمل الصالح، وعماده الورع، ولكل شيء أساس وأساس الإسلام حبنا أهل البيت»^(٢).

وقال أبو جعفر ﷺ: «بني الإسلام على خمس: إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم شهر رمضان والولاية لنا أهل البيت، فجعل في أربع منها رخصة ولم يجعل في الولاية رخصة، من لم يكن له مال لم تكن عليه الزكاة، ومن لم يكن له مال فليس عليه حج، ومن كان مريضا صلى قاعدا وأفطر شهر رمضان، والولاية صحيحا كان أو مريضا أو ذا مال أو لا مال له فهي لازمة»^(٣).

وعن أبي جعفر ﷺ أنه قال: «إن الجنة لتشتاق ويشد ضوءها بمجيء آل محمد ﷺ وشيعتهم، ولو أن عبدا عبد الله بين الركن والمقام حتى تقطع أوصاله وهو لا يدين الله بحبنا وولايتنا أهل البيت ما قبل الله منه»^(٤).

(١) الكافي: ج ١ ص ٢٢٣ باب أن الأئمة ورثوا علم النبي ح ١.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٤٦ باب نسبة الإسلام ح ٢.

(٣) وسائل الشيعة: ج ١ ص ٢٣ ب ١ ح ٢٤.

(٤) دعائم الإسلام: ج ١ ص ٧٤ ذكر مودة الأئمة من آل محمد ﷺ.

ودر حلب الأيام

إنهم (ع) وسائط الفيض

مسألة: قد سبق أنهم (ع) وسائط الفيض، والنعم في أصلها وفي مراتبها ودرجاتها وكمها وكيفها تكون بهم وعبرهم، وهذا كله بإرادة الله وأمره. وقد أشارت (ع) إلى بعض تلك المراتب حيث قالت: «ودر حلب الأيام» أي بنا. فإن البركة المعنوية تتوفر بسببهم (عليهم الصلاة والسلام) فقط، والبركة المادية تكون بسبب مناهجهم التي أوجبت وحدة الأمة وتعاونها وتقدمها في مختلف أبعاد الحياة، كما قالت (ع): «وطاعتنا نظاماً للملة، وإمامتنا أماناً من الفرقة»^(١).

قولها (ع): «ودر حلب الأيام» درّ اللبن عبارة عن جريانه بكثرة، والحلب: استخراج ما في الضرع من اللبن، أي: بسبب إطاعتكم لأوامرنا ظهرت لكم النتائج الحسنة من الخير والنعمة والألفة وغير ذلك. ومن هنا فإن ولايتهم (عليهم أفضل الصلاة والسلام) هي الأساس في كل خير، ولم يبعث الله نبياً إلا بها.

عن أبي عبد الله (ع) قال: «ولايتنا ولاية الله التي لم يبعث نبياً قط إلا بها»^(٢).

(١) بحار الأنوار: ج ٢٩ ص ٢٢٣ فصل نورد فيه خطبة خطبتها سيدة النساء.

(٢) الكافي: ج ١ ص ٤٣٧ باب فيه تنف وجوامع من الرواية في الولاية ح ٣.

وعن عبد الأعلى قال: سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول: «ما من نبي جاء قط إلا بمعرفة حقنا وتفضيلنا على من سوانا»^(١).

وعن أبي جعفر ﷺ قال: سمعته يقول: «والله إن في السماء لسبعين صفا من الملائكة لو اجتمع أهل الأرض كلهم يحصون عدد كل صف منهم ما أحصوهم وإنهم ليدنون بولايتنا»^(٢).

وعن أبي الحسن ﷺ قال: «ولاية علي ﷺ مكتوبة في جميع صحف الأنبياء ولم يبعث الله رسولا إلا بنوة محمد ﷺ ووصيه علي ﷺ»^(٣).

وعن الإمام الصادق ﷺ قال: «قال رسول الله ﷺ: إن الله عز وجل نصب عليا ﷺ علما بينه وبين خلقه فمن عرفه كان مؤمنا، ومن أنكره كان كافرا، ومن جهله كان ضالا، ومن عدل بينه وبين غيره كان مشركا، ومن جاء بولايته دخل الجنة، ومن جاء بعداوته دخل النار»^(٤).

وعن أبي يوسف البزاز قال: تلا أبو عبد الله ﷺ هذه الآية: ﴿فاذكروا آلاء الله﴾^(٥)، قال: «أتدري ما آلاء الله؟ قلت: لا، قال: «هي أعظم نعم الله على خلقه وهي ولايتنا»^(٦).

(١) الكافي: ج ١ ص ٤٣٧ باب فيه تنف وجوامع من الرواية في الولاية ح ٤.

(٢) الكافي: ج ١ ص ٤٣٧ باب فيه تنف وجوامع من الرواية في الولاية ح ٥.

(٣) الصراط المستقيم: ج ١ ص ٢٧٨ الباب الثامن فيما جاء في تعيينه.

(٤) بحار الأنوار: ج ٣٨ ص ١١٩ ب ٦١ ح ٦٣.

(٥) سورة الأعراف: ٦٩.

(٦) الكافي: ج ١ ص ٢١٧ باب أن النعمة التي ذكرها الله عز وجل في كتابه الأئمة ﷺ ح ٣.

وعن أبي حمزة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ خَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(١)، قال: «تفسيرها في بطن القرآن يعني من يكفر بولاية علي عليه السلام وعلي هو الإيمان»^(٢).

وعن زرارة قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام فقال لي رجل من أهل الكوفة: سله عن قول أمير المؤمنين عليه السلام: «سلوني عما شئتم ولا تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم به» قال: فسأله، فقال: «إنه ليس أحد عنده علم شيء إلا خرج من عند أمير المؤمنين عليه السلام فليذهب الناس حيث شاءوا فوالله ليأتين الأمر هنا وأشار بيده إلى صدره»^(٣).

بحث حول الزمن

ولا بأس ههنا بالاستطراد والإشارة، بمناسبة ذكرها عليها السلام للأيام، إلى بحث عابر حول اليوم والساعة والزمن بشكل عام، فنقول:

لقد اختلفوا في الزمان من قديم الأيام أنه ما هو؟

فهل هو مقدار حركة الفلك؟

أم هو أمر اعتباري؟

أم غير ذلك؟

(١) سورة المائدة: ٥.

(٢) بحار الأنوار: ج ٣٥ ص ٣٦٩ ب ١٦ ح ١٤.

(٣) بصائر الدرجات: ص ٥١٨-٥١٩ ب ١٩ ح ١.

وقد عده بعضهم: البعد الرابع للجسم.

وليس الكلام الآن في ذلك، بل الكلام في أنه هل الساعة^(١) - وهي من مصاديق الزمن - خارجة عن الجسم، أو داخله فيه، أو شيء ثالث لم يصل إليه علم البشر؟

فأنصار الأول يقولون: إنه شيء حقيقي لا يختلف فيه نفران يكونان في مكان واحد فرضاً، مثله مثل المكان الذي هو كذلك، وإنما الاختلاف بالحس - بالطول والقصر في المريض والصحيح ونحوهما - وإن كان الواقع شيئاً واحداً مثل يدي الإنسان يدخلهما في إناء ماء فاتر بعد أن يخرج إحدى يديه من ماء حار والأخرى من ماء بارد، حيث تحس اليد الأولى بالبرودة والثانية بالحرارة مع أن الماء واحد، فالاختلاف ليس بالحقيقة وإنما هو في الإحساس، وكذلك اثنان يشاهدان شيئاً واحداً أحدهما يراه شبحاً لضعف عينه والثاني يراه بكامل هيئته لقوتها، وهكذا الحال في كل الحواس الخمس، بل والروح أيضاً حيث إن أحدهما يفرح والآخر يترج بشيء واحد، بل إن هذا يأتي أيضاً في نفر واحد في حالين ولو متقاربي الزمان، فالجائع يلتذ بالطعام التذاذاً كبيراً، وبعد شبعه لا يلتذ بنفس ذلك الطعام بل ربما اشمأز منه.

وأنصار الثاني يقولون: إن الساعة شيء في داخل الإنسان، فإذا أسرع في الحركة رأى الإنسان الزمان قصيراً، وإذا أبطأت رآه طويلاً، فالمريض والصحيح والصغير والكبير ومن في الترح ومن في الفرع ومن ينتظر ومن لا ينتظر

(١) وقد قسموها إلى المستوية والمعوجة، وبمعنى جزء من الزمان.

يرون الزمان بشكل متعاكس طويلاً وقصراً، حيث إن المريض يرى أن ليله لا ينقضي بخلاف الصحيح وهكذا.

وبعض المكاشفات عن حال الأموات دل على نفس هذه الحالة فيهم أيضاً، حيث إن الميت الذي كان في السعادة مرت عليه ألف سنة وكأنها ساعة، والذي كان في الشقاء مرت عليه الساعة وكأنها ألف سنة.

ولعل ما ورد من الدعاء: «يا مبدل الزمان»^(١) يكون إشارة إلى ذلك، وإن كان ظاهره غيره من تبديله حالة إلى حالة.

ونحوه قوله عليه السلام: «إذا تغير السلطان تغير الزمان»^(٢).

وقوله عليه السلام: «إذا فسد الزمان ساد اللئام»^(٣).

وما ورد من أن الله يقضي بسرعة الفلك في ظل حكومة الجائر وبطوله في ظل حكومة العادل، فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن الله عزوجل جعل لمن جعل له سلطاناً مدة من ليالي وأيام وسنين وشهور، فإن عدلوا في الناس أمر الله عزوجل صاحب الفلك أن يبطئ بإدارته فطالت أيامهم ولياليهم وسنوسم وشهورهم، وإن هم جاروا في الناس ولم يعدلوا أمر الله عزوجل صاحب الفلك فأسرع إدارته وأسرع فناء لياليهم وأيامهم وسنينهم وشهورهم، وقد وفى تبارك وتعالى لهم بعدد الليالي والأيام والشهور»^(٤).

(١) مهج الدعوات: ص ٩٠-٩١ ومن ذلك دعاء النبي صلى الله عليه وآله وهو دعاء الفرج.

(٢) غوالي اللآلي: ج ١ ص ٢٨٧ الفصل العاشر ح ١٤٠.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ج ٣ ص ٣٤٧ ذم الحكومة الجائر ح ٨٠٠٩.

(٤) بحار الأنوار: ج ٤ ص ١٠٣ ب ٣ ح ١٦.

ومنه يعرف معنى من معاني قول رسول الله ﷺ : «لا تعادوا الأيام فتعاديكم»^(١) حيث إن عداوة الأيام بمعنى ما في الأيام على سبيل المجاز، فإن نفس الأيام لا تعادي، بل توجب انعكاس العداوة إلى النفس، فالساعة النفسية تمر ثقيلة كالذي في مرض أو ما أشبه ذلك، هذا وقد ورد تأويل الرواية بالمعصومين ﷺ.

عن الصقر بن أبي دلف عن الإمام أبي الحسن الهادي ﷺ قال: قلت: يا سيدي حديث يروى عن النبي ﷺ لا أعرف معناه، فقال: «وما هو؟» قلت: قوله ﷺ: «لا تعادوا الأيام فتعاديكم» ما معناه؟

فقال: «نعم، الأيام نحن ما قامت السماوات والأرض، فالسبت اسم رسول الله ﷺ والأحد اسم أمير المؤمنين ﷺ والاثنين الحسن والحسين ﷺ والثلاثاء علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد ﷺ والأربعاء موسى ابن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وأنا ﷺ والخميس ابني الحسن ﷺ والجمعة ابن ابني ﷺ وإليه يجتمع عصابة الحق وهو الذي يملؤها قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما، وهذا معنى الأيام فلا تعادوهم في الدنيا فيعاديكم في الآخرة»^(٢).

وعن سلمة بن محرز قال: سمعت أبا جعفر ﷺ يقول: «إن من علم ما أوتينا تفسير القرآن وأحكامه وعلم تغير الزمان وحدثانه»^(٣).

(١) مستدرک الوسائل: ج ١٣ ص ٧٧ ب ١١ ح ١٤٨٠٤.

(٢) بحار الأنوار: ج ٣٦ ص ٤١٣-٤١٤ ب ٤٧ ح ٣.

(٣) الكافي: ج ١ ص ٢٢٩ باب أنه لم يجمع القرآن كله ح ٣.

وخضعت نعمة^(١) الشرك

إخضاع الإعلام المضل

مسألة: يجب إخضاع الشرك وإخماده.

وربما يستفاد من كلامها عليها السلام هذا أن من مقاصد الشريعة (ومن الواجبات): إخضاع الإعلام الضال والمضل والدعايات المنحرفة، فإنها من مصاديق نعمة الشرك، فإن الشرك قبل الإسلام كانت له نعمة^(٢) وجلبة وضوضاء وهدير وصخب يغطي الآفاق وفي مختلف أبعاد الحياة، وإنما أخضعها رسول الله ﷺ حيث أسلم الناس ولحق الشرك بزوايا الخمول. فالواجب هو إخماد الشرك كلياً، فإن لم يمكن فلا أقل من إخضاعه وإسكات نعرته وصرخته، فإذا لم يتمكن الإنسان من إخماده وتمكن من إخضاع نعرته وجب عليه ذلك، فإن الشرك كلما كان أقل وكلما كان علو صوته وارتفاعه أخف كان أفضل.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «وأكبر الكبائر الشرك بالله»^(٣).

وقال رسول الله ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات، الشرك بالله» إلى أن قال: «وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»^(٤).

(١) وفي بعض النسخ: ثغرة الشرك.

(٢) نعيم: صاح وصوت بخيشومه، والناعر: الصائح كوامرأة ناعرة أي: صخابة وفحاشة.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ١١ ص ٣٥٥ ب ٤٦ ضمن ح ١٣٢٤٤.

(٤) بحار الأنوار: ج ٧٦ ص ١١٣ ب ٨٣ ح ١٥.

وعن أبي عبد الله ﷺ قال: «كان رسول الله ﷺ يتعوذ في كل يوم من ست، من الشك والشرك والحمية والغضب والبغي والحسد»^(١).

- وعن أبي محمد ﷺ قال: «الشرك في الناس أخفى من ديب النمل على المسح الأسود في الليلة المظلمة»^(٢).

وعن أبي عبد الله ﷺ: «أن رجلاً من خثعم جاء إلى رسول الله ﷺ وقال: أي الأعمال أبغض إلى الله؟ فقال: الشرك بالله، قال: ثم ماذا؟ قال: قطيعة الرحم، قال: ثم ماذا؟ قال: الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف»^(٣).

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر» قيل: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «الرياء» قال: «يقول الله عز وجل يوم القيامة إذا جازى العباد بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا هل تجدون عندهم ثواب أعمالكم»^(٤).

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «قال الله عز وجل: أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري فأنا منه بريء فهو للذي أشرك»^(٥).

وعن المفضل بن عمر الجعفي قال: سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول: «فضل أمير المؤمنين ما جاء به النبي ﷺ اخذ به، وما نهى عنه انتهى عنه، جرى له من

(١) بحار الأنوار: ج ٦٩ ص ١٢٦ ب ١٠٠ ح ٧.

(٢) بحار الأنوار: ج ٦٩ ص ٢٩٨-٢٩٩ ب ١١٦ ح ٣١.

(٣) المحاسن: ج ١ ص ٢٩٥ ب ٤٨ ح ٤٦٠.

(٤) بحار الأنوار: ج ٦٩ ص ٢٦٦ ب ١١٦ ضمن ح ١.

(٥) بحار الأنوار: ج ٦٧ ص ٢٢٢ ب ٥٤.

الفضل ما جرى لمحمد ﷺ ولمحمد الفضل على جميع من خلق الله ، المتعقب عليه في شيء من أحكامه كالمتعقب على الله وعلى رسوله ، والراد عليه في صغيرة أو كبيرة على حد الشرك بالله ، كان أمير المؤمنين باب الله الذي لا يؤتى إلا منه وسبيله الذي من سلك بغيره هلك ، وكذلك جرى على الأئمة الهدى واحدا بعد واحد ، جعلهم الله أركان الأرض أن تميد بأهلها والحجة البالغة من فوق الأرض ومن تحت الثرى»^(١).

وفي بعض النسخ من الخطبة الشريفة : ثغرة ، أي «وخضعت ثغرة الشرك» (وجمعها ثغور) وهي بمعنى : المنفذ والمكان الذي يخاف منه هجوم العدو ، أي قد خضعت الثغرة التي كان منها يدخل الشرك.

أو بمعنى نقرة النحر بين الترقوتين ، فخضوعها كناية عن سقوط الشرك كالحيوان الساقط على الأرض.

وفي بعضها : (نعرة) وهي إما تقرأ (نُعْرَة) على وزن (هُمَزَة) وكذلك (نُعْرَة) ، ومعناها : الخيشوم والكبر والخيلاء.

أو تقرأ (نَعْرَة) فتكون بمعنى فَوْرة الشرك وفورانها ، أو بمعنى : صرخة وهو ما مشينا عليه.

وغير خفي أن كلامهم (عليهم الصلاة والسلام أجمعين) يوزن بالمشاقل ، فإن كل كلمة منه يكمن ورائها سر في انتخابها دون غيرها من الكلمات..

وههنا نجدها (عليها الصلاة والسلام) تقول : «وخضعت ثغرة الشرك» ولم تقل

(١) بصائر الدرجات : ص ٢٠٠-٢٠١ ب ٩ ح ٣.

أزيلت أو أعدمتم بل خضعت فحسب.

وهكذا الجمل اللاحقة «وسكنت فورة الإفك» و«خمدت نيران الكفر»

فإن خمدت النار، بمعنى سكن لهبها ولم يطفأ جمرها..

وما أدقه من تعبير ومن وصف لحالة الكفار والمشركين عندئذ إذ إنهم لم

يفنوا بل استسلموا وخضعوا.

وسكنت فورة الإفك

حرمة الإفك

مسألة: يحرم الإفك ويجب إسكان فورته، فإن الإفك هو الكذب وهو محرّم بمختلف أقسامه، سواء كان كذباً في التوحيد أم النبوة أم المعاد أم غير ذلك، وسواء كان كذباً في الأحكام والأخلاق والآداب ونحوها أم في الشؤون الشخصية، نعم لحرمة مراتب ودرجات.

وإذا لم يتمكن الإنسان من إخماد أصل الإفك وتمكن من إخماد فورته بأن لا يكون له اشتعال وجولان وجب بالقدر الممكن.

قولها (ع): «وسكنت فورة الإفك»، فورته: غليانه، فإن الجاهلية كانت مسرحاً للكذب في العقيدة والعمل، ولما جاء الإسلام تبدل الكذب إلى الصدق في كل شيء.

روي عن أبي الجارود عن أبي جعفر (ع) في قوله تعالى: ﴿إِفْكُ افْتَرَاهُ﴾^(١) قال: «الإفك الكذب»^(٢).

وفي زيارة لمولانا أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه): «السلام عليك يا داحض الإفك ومبطل الشرك ومزيل الشك»^(٣).

(١) سورة الفرقان: ٤.

(٢) بحار الأنوار: ج ٩ ص ٢٢٨ ب ١ ضمن ح ١١٥.

(٣) بحار الأنوار: ج ٩٧ ص ٣٣١ ب ٤ ح ٣٠.

وفي الفرر: «أقبح شيء الإفك»^(١).

وعن أبي جعفر ﷺ قال: «كان علي بن الحسين ﷺ يقول لولده: اتقوا الكذب الصغير منه والكبير، في كل جد وهزل، فإن الرجل إذا كذب في الصغير اجتراً على الكبير، أما علمتم أن رسول الله ﷺ قال: ما يزال العبد يصدق حتى يكتبه الله صديقا، وما يزال العبد يكذب حتى يكتبه الله كذابا»^(٢).

وعن أبي جعفر ﷺ قال: «إن الله عز وجل جعل للشر أقفالا وجعل مفاتيح تلك الأقفال الشراب، والكذب شر من الشراب»^(٣).

وعن أبي جعفر ﷺ قال: «إن الكذب هو خراب الإيمان»^(٤).

وقال ﷺ: «إياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار»^(٥).

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢١٩ ذم الكذب ح ٤٣٦٧.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٣٣٨ باب الكذب ح ٢.

(٣) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٢٤٤ ب ١٣٨ ح ١٦٢٠٦.

(٤) بحار الأنوار: ج ٦٩ ص ٢٤٧ ب ١١٤ ح ٨.

(٥) بحار الأنوار: ج ٦٩ ص ٢٦٣ ب ١١٤ ح ٤٨.

وخمدت نيران الكفر

الكفر ونيرانه

مسألة: يجب إخماد نيران الكفر.

كما أن النار المادية تحرق الأجسام كذلك الكفر هو نار تحرق الماديات والمعنويات، فإن الكفر يسبب تكالب الناس على المادة ويوجب إشعال الحروب والثورات ويؤدي إلى القتل وسفك الدماء وما أشبه ذلك، فالواجب على الإنسان إخماد نيرانه، وإذا تمكن من إزالة أصل الكفر في مكان وجب، وإذا لم يتمكن وتمكن من إخماد نيرانه - ولو بقدر - وجب حسب القدرة.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكِتَابِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾^(١).

قولها عليها السلام: «وخمدت نيران الكفر» خمود النار عبارة عن سكون لهيبها، أي: أن حروب الجاهلية خمدت ببركة الإسلام ونشره.

فمعنى (نيران الكفر) إما النيران التي ولدها الكفر، فتكون الحروب إحدى الأمثلة والمصاديق، أو معناها (نيران هي الكفر) فالمعنى خمود الكفر نفسه، وذلك نظراً لكون الإضافة لامية أو بيانية.

وكان من إرهابات ولادة النبي صلى الله عليه وآله أن خمدت نيران فارس، قال الإمام الصادق عليه السلام: «أصبحت الأصنام على وجوهها، وارتجس إيوان كسرى وسقط

(١) سورة النساء: ١٣٦.

منه أربع عشرة شرافة، وغازت بحيرة ساوة، وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام، ولم يبق سرير لملك إلا أصبح منكوسا والملك مخرسا لا يتكلم يومه ذلك، وانتزع علم الكهنة، وبطل سحر السحرة ولم تبق كاهنة في العرب إلا حجبت عن صاحبها»^(١).

وعن يونس بن عبد الرحمن: أن الرضا ﷺ كان يأمر بالدعاء لصاحب الأمر بهذا الدعاء، إلى أن يقول: «وجدت به ما امتحى من دينك، وبدل من حكمك حتى تعيد دينك به وعلى يديه جديدا غضا محضا صحيحا لا عوج فيه ولا بدعة معه وحتى تنير بعدله ظلم الجور وتطفئ به نيران الكفر»^(٢).

وعن أبي عبد الله ﷺ قال: «ليس بين الإيمان والكفر إلا قلة العقل»^(٣).
وعن أبي عمرو الزيري عن أبي عبد الله ﷺ قال: قلت له: أخبرني عن وجوه الكفر في كتاب الله عز وجل.

قال: «الكفر في كتاب الله على خمسة أوجه: فمنها كفر الجحود، والجحود على وجهين، والكفر بترك ما أمر الله، وكفر البراءة، وكفر النعم، فأما كفر الجحود فهو الجحود بالربوبية وهو قول من يقول لا رب ولا جنة ولا نار، وهو قول صنفين من الزنادقة يقال لهم الدهرية وهم الذين يقولون: ﴿وما يهلكنا إلا الدهر﴾»^(٤)، وهو دين وضعوه لأنفسهم بالاستحسان على غير تثبت

(١) المناقب: ج ١ ص ٣٠ فصل في مولده ﷺ.

(٢) بحار الأنوار: ج ٩٢ ص ٣٣١ ب ١١٥ ح ٤.

(٣) الكافي: ج ١ ص ٢٨ كتاب العقل والجهل ح ٣٣.

(٤) سورة الجاثية: ٢٤.

منهم ولا تحقيق لشيء مما يقولون، قال الله عز وجل: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾^(١) أن ذلك كما يقولون، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٢) يعني بتوحيد الله تعالى، فهذا أحد وجوه الكفر.

وأما الوجه الآخر من الجحود على معرفة وهو أن يجحد الجاحد وهو يعلم أنه حق قد استقر عنده، وقد قال الله عز وجل: ﴿وَجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً﴾^(٣)، وقال الله عز وجل: ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلِ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(٤)، فهذا تفسير وجهي الجحود.

والوجه الثالث من الكفر: كفر النعم، وذلك قوله تعالى يحكي قول سليمان (عليه السلام): ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌ كَرِيمٌ﴾^(٥)، وقال: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد﴾^(٦)، وقال: ﴿فأذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون﴾^(٧).

والوجه الرابع من الكفر: ترك ما أمر الله عز وجل به، وهو قول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تَخْرُجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ

(١) سورة الجاثية: ٢٤.

(٢) سورة البقرة: ٦.

(٣) سورة النمل: ١٤.

(٤) سورة البقرة: ٨٩.

(٥) سورة النمل: ٤٠.

(٦) سورة إبراهيم: ٧.

(٧) سورة البقرة: ١٥٢.

دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون ❁ ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم ﴿١﴾ ، فكفرهم بترك ما أمر الله عزوجل به ونسبهم إلى الإيمان ولم يقبله منهم ولم ينفعهم عنده فقال : ﴿فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون﴾ ﴿٢﴾ .

والوجه الخامس من الكفر : كفر البراءة ، وذلك قوله عزوجل يحكي قول إبراهيم ﷺ : ﴿كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده﴾ ﴿٣﴾ ، يعني تبرأنا منكم ، وقال يذكر إبليس وتبرئته من أوليائه من الإنس يوم القيامة : ﴿إني كفرت بما أشركتمون من قبل﴾ ﴿٤﴾ ، وقال : ﴿إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا﴾ ﴿٥﴾ ، يعني يتبرأ بعضكم من بعض﴾ ﴿٦﴾ .

(١) سورة البقرة : ٨٤-٨٥ .

(٢) سورة البقرة : ٨٥ .

(٣) سورة الممتحنة : ٤ .

(٤) سورة إبراهيم : ٢٢ .

(٥) سورة العنكبوت : ٢٥ .

(٦) الكافي : ج ٢ ص ٣٨٩-٣٩٢ باب وجوه الكفر ح ١ .

وهدأت دعوة الهرج

حرمة الهرج

مسألتان: يحرم الهرج ويجب تهدئة الدعوة له.

وهو عبارة عن الفتنة واختلاط الأمور، وتداخل الحق والباطل، والصحيح والفساد، والصالح والطالح، ونحو ذلك.

قال الفيروزآبادي: (هرج الناس يهرجون: وقعوا في فتنة واختلاط وقتل)^(١).

وقالت عليها السلام في خطبتها لنساء المهاجرين والأنصار وذلك لما اشتد بها العلة وجئن لعيادتها: «ثم طيبوا عن أنفسكم أنفسا وطأمنوا للفتنة جأشا وأبشروا بسيف صارم وهرج شامل واستبداد من الظالمين، يدع فيئكم زهيدا وزرعكم حصيدا، فيا حسرتي لكم وأنى بكم وقد عميت قلوبكم عليكم» الخطبة^(٢).

وفي منية المريد عن الفضل بن عمر قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «اكتب وبث علمك في إخوانك فإن مت فأورث كتبك بنيك، فإنه يأتي على الناس زمان هرج لا يأنسون فيه إلا بكتبهم»^(٣).

وقال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يقوم قائم الحق منا، إذا صارت الدنيا هرجا مرجا، وهو التاسع من صلب الحسين»^(٤).

(١) بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ٨٧ ب ٢٠.

(٢) معاني الأخبار: ص ٣٥٤-٣٥٥ باب معاني قول فاطمة عليها السلام ح ١.

(٣) وسائل الشيعة: ج ٢٧ ص ٨١-٨٢ ب ٨ ح ٣٣٢٦٣.

(٤) الصراط المستقيم: ج ٢ ص ١١٦ ف ٣.

وقال النبي ﷺ لابنته فاطمة ؓ: «سوف يخرج الله من صلب الحسين تسعة من الأئمة أمناء معصومون، ومنا مهدي هذه الأمة، إذا صارت الدنيا هرجا ومرجا، وتظاهرت الفتن وتقطعت السبل، وأغار بعضهم على بعض، فلا كبير يرحم صغيرا ولا صغير يوقر كبيرا، فيبعث الله عز وجل عند ذلك مهدينا، التاسع من صلب الحسين، يفتح حصون الضلالة وقلوبا غفلاء، يقوم بالدين في آخر الزمان كما قمت به في أول الزمان ويملا الأرض عدلا كما ملئت جورا»^(١).

قولها ﷺ: «وهدأت دعوة الهرج» وهذا مما يشمل عامة الناس في حال عدم الأمن والسلامة.

وهدأت أي: سكنت، وقد سبق أنه لعلها (عليها الصلاة والسلام) أشارت بهذه الجمل إلى أن شيئا من تلك الحالة الجاهلية كانت باقية فيهم، وذلك لتعبيرها (صلوات الله عليها) بالخضوع والسكون ونحوهما.

مواصفات المجتمع الجاهلي

مسألة: يلزم الاجتناب عن سيئات المجتمع الجاهلي، حيث تشير الصديقة الكبرى ﷺ في هذا المقطع والذي سبقه إلى مجموعة من مواصفات المجتمع الجاهلي هي:

١: الشرك.

٢: الإفك، وهو الكذب.

(١) بحار الأنوار: ج ٣٦ ص ٣٠٧-٣٠٨ ب ٤١ ح ١٤٦.

٣: الكفر.

٤: الهرج.

وهي مواصفات ترتبط بالعقيدة والسلوك معاً، وتكشف الحالة الفردية والحالة الاجتماعية للناس.

وبعبارة أخرى: ذكرت الصديقة الطاهرة عليها السلام علاقتهم بالخالق وعلاقتهم بالخلق، ففي علاقتهم بالخالق كانوا مشركين وكفاراً، وفي العلاقة بالخلق كان الكذب هو الحاكم في طريقة تعامل بعضهم مع بعض، وكان الهرج هو السيد. وهي صفات مترابطة يؤثر بعضها في البعض الآخر، فإن سيادة الكذب المتبادل في المجتمع من العلل المعدة للهرج (وهو الفتنة، واختلاط الأمور، والقتل) وإن من يشرك بالخالق غيره - وهو من أكبر الأكاذيب - يهون عليه الكذب على المخلوق من أصدقائه ومجتمعه.

في دعائم الإسلام: عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام أنه قال: «خطب رسول الله ﷺ يوم فتح مكة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إن الله قد أذهب نخوة الجاهلية وتفاخرها بآبائها، ألا إنكم من ولد آدم وآدم من طين، ألا إن خير عباد الله عند الله أتقاكم، إن العربية ليست بأب والد ولكنها لسان ناطق، فمن قصر به عمله لم يبلغ به حسبه، ألا إن كل دم في الجاهلية أو إحنة فهي تحت قدمي إلى يوم القيامة»^(١).

(١) دعائم الإسلام: ج ٢ ص ١٩٨-١٩٩ ف ٢ ح ٧٢٩.

من مسؤوليات المؤمن

مسألة: هنالك أربع مسؤوليات - في قبال ما ورد في المسألة السابقة - تقع على عاتق كل مصلح ، وهي :

- ١ : التصدي للشرك ، الجلي والخفي منه .
 - ٢ : التصدي للإفك والكذب .
 - ٣ : التصدي للكفر .
 - ٤ : التصدي للهرج والفتنة .
- فالواجب على كل داعية أن يضع التصدي لهذه الأربعة نصب عينيه دائماً . وقد أشارت الصديقة الطاهرة ﷺ في هذا المقطع إلى سبعة أدوار ومهام :
- ١ : دارت بهم رحى الإسلام .
 - ٢ : در بهم حلب الأيام ، وهذا من مسؤوليات كل مصلح أن يسعى لتقدم وازدهار أمته .

- ٣ : خضعت بهم نعمة الشرك .
- ٤ : سكنت بهم فورة الإفك .
- ٥ : خمدت بهم نيران الكفر .
- ٦ : هدأت بهم دعوة الهرج .
- ٧ : استوسق بهم نظام الدين ، على ما سيأتي .

المصلح ودار الدنيا

مسألة: على المصلح أن يضع في باله أن دار الدنيا حيث كانت دار امتحان وابتلاء، وأسباب ومسيبات، وقانون: ﴿كَلَّا نَمْدُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ﴾^(١)، وقانون: ﴿وَهْدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾^(٢)، لذلك ليس من الممكن عادة أن يقضي الإنسان في فترة قصيرة على كل جذور الفساد (العقدي والعملي) سواء حكم دولة أو أدار عائلة أو أسس منظمة أو نقابة أو حزباً.

وإذا عرف الإنسان ذلك تحلى بالصبر، ولم يمنعه من القيام بواجباته وجود بعض الثغرات والنواقص والأخطاء التي لا يمكنه تجنبها، فإن البعض لا يسعى لقيام دولة إسلامية متعللاً بأنها ربما تقع فيما بعد بأيدي غير أمينة، أو لأننا ربما لا نستطيع من تطبيق الإسلام كاملاً، أو ما أشبه ذلك.

ولكنه يقال: أو ليس الرسول الأعظم ﷺ قد أقام دولة الإسلام وهو يعلم بـ ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾^(٣)؟

أو ليس قد أقامها وهو يعلم بما قام وسيقوم به أمثال خالد في تعديه على أهل اليمن؟

إلى غير ذلك.

(١) سورة الإسراء: ٢٠.

(٢) سورة البلد: ١٠.

(٣) سورة آل عمران: ١٤٤.

ومن البين الفرق بين التقصير في التصدي للمنكرات والنواقص ، وبين اليأس عن العمل لوجود عدد منها قهراً ودون مقدرة للمرء على القضاء عليها.

قال تعالى : ﴿لست عليهم بمصيطر﴾^(١).

وقال سبحانه : ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾^(٢).

وقال تعالى : ﴿ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون﴾^(٣).

وقال سبحانه : ﴿ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وريك أعلم بالمفسدين﴾^(٤).

وقال تعالى : ﴿ومنهم من ينظر إليك أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون﴾^(٥).

(١) سورة الغاشية : ٢٢.

(٢) سورة القصص : ٥٦.

(٣) سورة يونس : ٤٢.

(٤) سورة يونس : ٤٠.

(٥) سورة يونس : ٤٣.

واستوسق نظام الدين

استيساق الدين بالرسول عليه السلام

مسألتان: يجب أن يستوسق نظام الدين، ويجب اتباع أهل البيت عليهم السلام حتى ينتظم ويستوسق أمره، فإن كل دعوى للاستيساق بواسطة غيرهم باطلة، وهي ككل دعوة باستيساق الأمر من دون الأنبياء عليهم السلام ومناهجهم.

والاستيساق بأن تكون شتى الأمور والقضايا الدينية منتظمة ومجموعة ومتكاملة وعلى وئام تام، فإن الدين جملة واحدة لا يصلح بعضها إلا ببعض، وكل نقص في هذا النظام خبال للإنسان وإنحراف عن الإنسانية، فاللازم أن يهتم الإنسان حتى يستوسق هذا النظام بجميع أجزائه وخصوصياته.

قال تعالى: ﴿أَفْتَوْمَنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(١).

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفْرَقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيَقُولُونَ نُوْمَنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾^(٢).

وقولها عليها السلام: «واستوسق نظام الدين» بهم عليهم السلام في كل بعده:

١: النظري عقيدة ومنهاجاً.

(١) سورة البقرة: ٨٥.

(٢) سورة النساء: ١٥٠.

٢ : والعملي : سلوكاً وممارسة.

كما قال تعالى : ﴿اليوم اكملت لكم دينكم﴾^(١).

وقال ﷺ : «لضربة علي يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين»^(٢) ، إلى غير ذلك.

عدم الإفراط والتفريط

مسألة: من مقتضيات استيساق نظام الدين ، عدم الإفراط أو التفريط.

فإن من ترهبين أو أسرف أو ما أشبه ليس نظام دينه مستوسقاً ومتسقاً.

قال تعالى : ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً﴾^(٣).

وعن بريد العجلي قال : سألت أبا عبد الله ﷺ عن قول الله عز وجل :

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾^(٤) فقال : «نحن

الأمة الوسطى ونحن شهداء لله على خلقه وحججه في أرضه»^(٥).

وعن أبي جعفر ﷺ في قول الله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا

لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ قال أبو جعفر ﷺ :

«منا شهيد على كل زمان ، علي بن أبي طالب ﷺ في زمانه ، والحسن ﷺ في

(١) سورة المائدة : ٣.

(٢) إقبال الأعمال : ص ٤٦٧ فصل فيما نذكره في جواب من سأل عما في يوم الغدير من الفضل...

(٣) سورة البقرة : ١٤٣.

(٤) سورة البقرة : ١٤٣.

(٥) تفسير العياشي : ج ١ ص ٦٢ من سورة البقرة.

زمانه، والحسين (ع) في زمانه، وكل من يدعو منا إلى أمر الله»^(١).

وعن عمر بن حنظلة قال: قلت لأبي عبد الله (ع): «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ» قال: «هم الأئمة (ع)»^(٢).

وعن أبي بصير قال: سمعت أبا جعفر (ع) يقول: «نحن نمط الحجاز» فقلت: وما نمط الحجاز؟ قال: «أوسط الأنماط، إن الله يقول: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا» قال ثم قال: إلينا يرجع الغالي وبنا يلحق المقصر»^(٣).

وقال رسول الله (ص): «إن الله لم يكتب علينا الرهبانية إنما رهبانية أمتي الجهاد في سبيل الله»^(٤).

وفي الحديث: «لا رهبانية في الإسلام»^(٥).

وعن علي (ع) قال: قال رسول الله (ص): «ليس في أمتي رهبانية ولا سياحة ولا زم يعني سكوت»^(٦).

(١) بحار الأنوار: ج ٢٣ ص ٣٣٧ ب ٢٠ ح ٧.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٣ ص ٣٤٣ ب ٢٠ ح ٢٨.

(٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ٦٣ من سورة البقرة: ح ١١١.

(٤) مستدرک الوسائل: ج ٢ ص ٤٠١ ب ٦٠ ضمن ح ٢٣٠٣.

(٥) دعائم الإسلام: ج ٢ ص ١٩٣ فصل ١ ضمن ح ٧٠١.

(٦) بحار الأنوار: ج ٦٧ ص ١١٥ ب ٥١ ح ٢.

فأنى حرتم^(١) بعد البيان

الحيرة والشك من المحرمات

مسألة: يحرم الحيرة بعد البيان ووصول الحجة، خاصة فيما يرتبط بهم وبحقوقهم ﷺ، فإنه من الحيرة والشك في أصول الدين وما يرتبط بأصول الدين، ومن الواضح أن ذلك من أشد المحرمات.

أما الحيرة في فروع الدين فإنها وإن كانت محرمة، إلا أنها ليست بتلك المنزلة، فالفرق بينهما هو الفرق بين أصول الدين وفروعه، وقد قال أمير المؤمنين علي (عليه الصلاة والسلام): «لا ترتابوا فتشكوا ولا تشكوا فتكفروا»^(٢).

والريب هو: أول مراتب الشك، والشك هو عبارة عن: الإيغال في التردد، ومن أوغل في التردد لا بد وأن ينتهي به الأمر إلى الكفر.

لا يقال: الحيرة والشك أمر غير اختياري.

إذ يقال: كثير من موارده اختياري، والكثير منها اختياري باختيارية المقدمات وبعد ذلك لا بد من صرف الذهن ورفع الشك والحيرة.

وربما يكون (حرتم) في قولها ﷺ: «فأنى حرتم بعد البيان» إشارة إلى الحيرة العملية، أي إنما سلبتكم سلوك الحائر وإن لم تكونوا حيارى حقيقة.

هذا كله على نسخة (حرتم)، وفي بعض النسخ (جُرمتم) من الجور أي كيف

(١) وفي بعض النسخ: حرتم، وفي بعضها: جرمتم.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٣٩٩ باب الشك ح ٢.

ولماذا جرتم وظلمتمونا بعد أن بان حقنا لكم؟

عن الحسين بن الحكم قال: كتبت إلى العبد الصالح (عليه السلام) أخبره أنني شاك وقد قال إبراهيم (عليه السلام) رب أرني كيف تحيي الموتى وأنا أحب أن تريني شيئاً، فكتب (عليه السلام): «إن إبراهيم كان مؤمناً وأحب أن يزداد إيماناً وأنت شاك والشاك لا خير فيه» وكتب: «إنما الشك ما لم يأت اليقين فإذا جاء اليقين لم يجز الشك، وكتب إن الله عز وجل يقول: ﴿وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين﴾^(١) قال: نزلت في الشاك»^(٢).

وعن محمد بن مسلم قال: كنت عند أبي عبد الله (عليه السلام) جالسا عن يساره ووزارة عن يمينه فدخل عليه أبو بصير فقال: يا أبا عبد الله ما تقول فيمن شك في الله؟ فقال: «كافر يا أبا محمد» قال: فشك في رسول الله؟ فقال: «كافر» قال: ثم التفت إلى وزارة فقال: «إنما يكفر إذا جحد»^(٣).

وعن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله عز وجل: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾^(٤)، قال: «بشك»^(٥).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «إن الشك والمعصية في النار ليسا منا ولا إلينا»^(٦).

(١) سورة الأعراف: ١٠٢.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٣٩٩ باب الشك ح ١.

(٣) وسائل الشيعة: ج ٢٨ ص ٣٥٦ ب ١٠ ح ٣٤٩٥٩.

(٤) سورة الأنعام: ٨٢.

(٥) الكافي: ج ٢ ص ٣٩٩ باب الشك ح ٤.

(٦) الكافي: ج ٢ ص ٤٠٠ باب الشك ح ٥.

وقال النبي ﷺ: «الرب كفر»^(١).

وعن أبي جعفر ﷺ قال: «لا ينفع مع الشك والجحود عمل»^(٢).

وقال أبو عبد الله ﷺ: «من شك أو ظن فأقام على أحدهما أحبط الله عمله إن حجة الله هي الحجة الواضحة»^(٣).

وعن محمد بن مسلم عن أحدهما ﷺ قال: قلت: إنا لنرى الرجل له عبادة واجتهاد وخشوع ولا يقول بالحق فهل ينفعه ذلك شيئا؟ فقال: «يا محمد إنما مثل أهل البيت مثل أهل بيت كانوا في بني إسرائيل كان لا يجتهد أحد منهم أربعين ليلة إلا دعا فأجيب، وإن رجلا منهم اجتهد أربعين ليلة ثم دعا فلم يستجب له، فأتى عيسى ابن مريم ﷺ يشكوا إليه ما هو فيه ويسأله الدعاء له، قال: فتطهر عيسى وصلى ركعتين ثم دعا الله عز وجل، فأوحى الله عز وجل إليه: يا عيسى إن عبدي أتاني من غير الباب الذي أوتى منه، إنه دعاني وفي قلبه شك منك، فلو دعاني حتى ينقطع عنقه وتنتثر أنامله ما استجبت له، قال: فالتفت إليه عيسى ﷺ فقال: تدعورك وأنت في شك من نبيه، فقال: يا روح الله وكلمته قد كان والله ما قلت، فادع الله لي أن يذهب به عني، قال: فدعا له عيسى ﷺ فتاب الله عليه وقبل منه وصار في حد أهل بيته»^(٤).

(١) مستدرک الوسائل: ج ١٨ ص ١٧٩ ب ٨ ح ٢٢٤٤١.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٤٠٠ باب الشك ح ٧.

(٣) وسائل الشيعة: ج ٢٧ ص ١٥٦ ب ١٢ ح ٣٣٤٧٠.

(٤) بحار الأنوار: ج ١٤ ص ٢٧٨-٢٧٩ ب ٢٠ ح ١٠.

وفي تفسير العياشي عن زرارة عن أبي جعفر (عليه السلام): «وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم»^(١). يقول: «شكا إلى شكهم»^(٢). وعن الصادق (عليه السلام) عن أبيه (عليه السلام) قال: «إن الله عز وجل جعل علما بينه وبين خلقه ليس بينه وبينهم علم غيره، فمن تبعه كان مؤمنا ومن جحده كان كافرا، ومن شك فيه كان مشركا»^(٣).

وروي: «إذا خطر ببالك في عظمته وجبروته أو بعض صفاته شيء من الأشياء فقل: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، وعلي أمير المؤمنين، إذا قلت ذلك عدت إلى محض الإيمان»^(٤).

(١) سورة التوبة: ١٢٥.

(٢) تفسير العياشي: ج ٢ ص ١١٨ من سورة البراءة ح ١٦٤.

(٣) بحار الأنوار: ج ٦٩ ص ١٢٧ ب ١٠٠ ح ١٢.

(٤) فقه الرضا (عليه السلام): ص ٣٨٥ ب ١٠٨.

وأسررتم بعد الإعلان

الجهر بالحق

مسألة: يحرم الإسرار بعد الإعلان في الجملة، خاصة فيما يرتبط بهم وبحقوقهم ﷺ.

فإن الواجب على الإنسان أن يصدع بالحق إذا لم تكن هناك تقية ملزمة، وهؤلاء كانوا صادعين بالحق ثم أسروا طمعاً في الدنيا، ولم تكن تقية توجب ذلك، لأنه كانت فيهم القوة والمنعة والعدد والعدة، وإنما رغبوا إلى الدنيا، ولذا أسروا الواقع وأعلنوا نقيضه.

ثم إنه حتى لو لم تكن فيهم القوة والمنعة والعدد والعدة، فإن التقية كانت منهم محرمة مع وجود أمر الإمام ﷺ المفترض الطاعة بعدمها وبضرورة رفع الراية والمطالبة بالحق، ولذلك كان منها ﷺ العتاب أيضاً^(١).

ثم إنه لا كلام في أن هذا (الإسرار) محرم مطلقاً^(٢)، إنما الكلام في أن ذكرها ﷺ الإسرار بعد الإعلان هل هو من باب كونه مصداقاً من مصاديقه الخارجية التي وقعت إذ كانوا كذلك، أم تخصيصه بالذكر لأنه أشد حرمة من الإسرار بما هو هو؟

(١) أي عتابها ﷺ كان على الإسرار رغم القوة، وعلى الإسرار رغم وجود أمر الإمام ﷺ المفترض الطاعة بالجهر.

(٢) أي سواء كان قبل الإعلان أو بعده.

لا يبعد الثاني ، خاصة في مثل المقام.

قال تعالى : ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾^(١).

وعن جابر عن أبي جعفر (ع) : قال : قال رسول الله ﷺ : «من كتم شهادة أو شهد بها ليهدر لها بها دم امرئ مسلم أو ليزوي مال امرئ مسلم أتى يوم القيامة ولوجهه ظلمة مد البصر وفي وجهه كدوح تعرفه الخلائق باسمه ونسبه ، ومن شهد شهادة حق ليحيي بها حق امرئ مسلم أتى يوم القيامة ولوجهه نور مد البصر تعرفه الخلائق باسمه ونسبه» ثم قال أبو جعفر (ع) : «ألا ترى أن الله تبارك وتعالى يقول : ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾^(٢) ،»^(٣).

وقال أمير المؤمنين (ع) : «عليكم بلزوم العفة والأمانة ، فإنهما أشرف ما أسررتما وأحسن ما أعلنتما وأفضل ما ادخرتما»^(٤).

وقال (ع) : «إن التقوى منتهى رضى الله من عباده وحاجته من خلقه ، فاتقوا الله الذي إن أسررتما علمه وإن أعلنتما كتبه»^(٥).

(١) سورة البقرة : ٢٨٣.

(٢) سورة الطلاق : ٢.

(٣) الكافي : ج ٧ ص ٣٨٠-٣٨١ باب كتمان الشهادة ح ١.

(٤) مستدرک الوسائل : ج ١١ ص ٢٧٥ ب ٢٢ ضمن ح ١٢٩٨٧.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم : ص ٢٦٩ فضيلتهما والترغيب فيهما - أي التقوى والورع - ح ٥٨٥٨.

ونكصتم بعد الإقدام

النكوص والتراجع

مسألة: يحرم النكص بعد الإقدام في الجملة، خاصة فيما يرتبط بهم وبحقوقهم ﷺ.

فإن اللازم على الإنسان أن يكون مقداماً، لا أن يكون ناكصاً على عقبيه. النكوص: الإحجام والرجوع عن الشيء، نكص أي رجع القهقري. وهؤلاء توقفوا عن التقدم بل رجعوا القهقري، فبينما كانوا لا يبالون بالحياة ويتقدمون إلى سوح الجهاد، ويبذلون كل شيء في سبيل الله سبحانه وتعالى، صاروا يرجعون إلى الخفض والدعة والعيش الرغيد، ولذا تركوا مناصرة الحق وانساقوا مع التيار المنحرف. ولا يبعد القول بأشدية حرمة النكوص بعد الإقدام من النكوص الابتدائي نظراً لما يحدثه من الوهن ولغير ذلك.

قال تعالى: ﴿فكنتم على أعقابكم تنكصون﴾^(١).

قال أمير المؤمنين في نهج البلاغة: «اللهم أيما عبد من عبادك سمع مقالتنا العادلة غير الجائرة، والمصلحة في الدين والدنيا غير المفسدة، فأبى بعد سمعه لها إلا النكوص عن نصرتك، والإبطاء عن إعزاز دينك، فإننا نستشهدك عليه يا أكبر الشاهدين شهادة، ونستشهد عليه جميع من أسكنته أرضك وسماواتك، ثم أنت بعد، المغني عن نصره والآخذ له بذنبه»^(٢).

(١) سورة المؤمنون: ٦٦.

(٢) نهج البلاغة، الخطب: ٢١٢ كان يستنهض بها أصحابه إلى جهاد أهل الشام في زمانه.

وأشركتم بعد الإيمان

إنكار الإمامة شرك

مسألة: يحرم الشرك بعد الإيمان.

والمراد بالشرك هنا: الشرك الخفي، لا الشرك الجلي، لأنهم لم يتخذوا وثناً ولا صنماً ولا ناراً شريكاً لله سبحانه، وإنما رفضوا أحكام الله سبحانه وصاروا بذلك مشركين شركاً خفياً.

وبتعبير آخر: مقتضى المقابلة في كلامها عليها السلام بين الشرك والإيمان أنهم لم يكونوا - بعدها - مؤمنين، وإن كانوا مسلمين، إذ لم تقل عليها السلام أشركتم بعد الإسلام.

فإن الإسلام يتحقق بالشهادتين وهم أنكروا الشهادة الثالثة - ولو عملياً - فكانوا مشركين وغير مؤمنين عملياً، ونظرياً أيضاً إذا أنكروا مضافاً إلى ذلك أدلة الإمامة، فكان شركهم بالقياس إلى أصل الإمامة وأيضاً بلحاظ إنكار بعض أحكام الله ومنها إرث الزهراء عليها السلام من أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله.

عن جميل بن دراج قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾^(١)، فقال لي: «ألا ترى أن الإيمان غير الإسلام»^(٢).

(١) سورة الحجرات: ١٤.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٢٤ باب أن الإسلام يحقن به الدم وتؤدي به الأمانة ح ٣.

وعن سفيان بن السمط قال: سأل رجل أبا عبد الله ﷺ عن الإسلام والإيمان ما الفرق بينهما؟ فلم يجبه، ثم سأله فلم يجبه، ثم التقيا في الطريق وقد أذف من الرجل الرحيل، فقال له أبو عبد الله ﷺ: «كأنه قد أذف منك رحيل» فقال: نعم، فقال: «فالقني في البيت» فلقيه فسأله عن الإسلام والإيمان ما الفرق بينهما؟ فقال: «الإسلام هو الظاهر الذي عليه الناس: شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصيام شهر رمضان فهذا الإسلام» وقال: «الإيمان هذا الأمر مع هذا، فإن أقربها ولم يعرف هذا الأمر كان مسلما وكان ضالا»^(١).

وقال أبو عبد الله ﷺ: «الإسلام يحقن به الدم وتؤدي به الأمانة وتستحل به الفروج والثواب على الإيمان»^(٢).

وعن سماعة قال: قلت لأبي عبد الله ﷺ: أخبرني عن الإسلام والإيمان أهما مختلفان؟ فقال: «إن الإيمان يشارك الإسلام، والإسلام لا يشارك الإيمان» فقلت: فصفهما لي؟ فقال: «الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله والتصديق برسول الله ﷺ، به حققت الدماء وعليه جرت المناكح والمواثيق، وعلى ظاهره جماعة الناس، والإيمان الهدى وما يثبت في القلوب من صفة الإسلام وما ظهر من العمل به، والإيمان أرفع من الإسلام بدرجة، إن الإيمان يشارك الإسلام في الظاهر والإسلام لا يشارك الإيمان في الباطن وإن اجتمعا في القول والصفة»^(٣).

(١) بحار الأنوار: ج ٦٥ ص ٢٤٦-٢٤٧ الأخبار ح ٦.

(٢) وسائل الشيعة: ج ٢٠ ص ٥٥٦ ب ١١ ح ٢٦٣٣٧.

(٣) بحار الأنوار: ج ٦٥ ص ٢٤٨ الأخبار ح ٨.

وعن عبد الرحيم القصير قال: كتبت مع عبد الملك بن أعين إلى أبي عبد الله عليه السلام أسأله عن الإيمان ما هو؟ فكتب إلي مع عبد الملك بن أعين: «سألت رحمك الله عن الإيمان، والإيمان هو الإقرار باللسان وعقد في القلب وعمل بالأركان، والإيمان بعضه من بعض، وهو دار وكذلك الإسلام دار، والكفر دار، فقد يكون العبد مسلماً قبل أن يكون مؤمناً، ولا يكون مؤمناً حتى يكون مسلماً، فالإسلام قبل الإيمان وهو يشارك الإيمان، فإذا أتى العبد كبيرة من كبائر المعاصي أو صغيرة من صفائر المعاصي التي نهى الله عز وجل عنها كان خارجاً من الإيمان، ساقطاً عنه اسم الإيمان، وثابتاً عليه اسم الإسلام، فإن تاب واستغفر عاد إلى دار الإيمان، ولا يخرج به إلى الكفر إلا الجحود والاستحلال أن يقول للحلال هذا حرام وللحرام هذا حلال ودان بذلك، فعندها يكون خارجاً من الإسلام والإيمان داخل في الكفر، وكان بمنزلة من دخل الحرم ثم دخل الكعبة وأحدث في الكعبة حدثاً فأخرج عن الكعبة وعن الحرم فضربت عنقه وصار إلى النار»^(١).

وعن سماعة بن مهران قال: سألته عن الإيمان والإسلام، قلت له: أفرق بين الإسلام والإيمان؟ قال: «فأضرب لك مثله» قال: قلت: أورد ذلك، قال: «مثل الإيمان والإسلام مثل الكعبة الحرام من الحرم، قد يكون في الحرم ولا يكون في الكعبة، ولا يكون في الكعبة حتى يكون في الحرم، وقد يكون مسلماً ولا يكون مؤمناً، ولا يكون مؤمناً حتى يكون مسلماً»^(٢).

(١) الكافي: ج ٢ ص ٢٧-٢٨ باب آخر منه وفيه أن الإسلام قبل الإيمان ح ١.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٢٨ باب آخر منه وفيه أن الإسلام قبل الإيمان ح ٢.

إثارة الشبهات والحيرة

مسألة: يمكن استفادة سنة من سنن الله في المجتمع وقاعدة اجتماعية ونفسية من كلامها (صلوات الله عليها) وهي: إن الحيرة والكتمان والنكوص والشرك حقائق أربع متلازمة، بل فوق ذلك: إن الحيرة بعد البيان هي عادة منشأ الشرور اللاحقة، فإنها هي منشأ النكوص بعد الإقدام، والإسرار بعد الإعلان، والشرك بعد الإيمان.

وهذا ما يلاحظ بالوجدان، ويظهر من ابتدائها ﷺ بالحيرة بعد البيان. فتلزم محاربة الحيرة أشد الحرب، فإنها المنفذ الذي ينفذ منه الشيطان، والمدخل الذي يدخل منه أعداء الدين وقوى الاستعمار لتحطيم عزم الأمة وإرادتها.

وهكذا فإن إثارة الشبهات تعد من هذا المنظار من أشد المحرمات، وفي المقابل إجابة الشبهات وتثبيت الإيمان من أكبر الطاعات: وقد ورد في زيارة الإمام الحسين ﷺ: «وبذل مهجته فيك ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة»^(١).

وعن معاوية بن عمار قال: قلت لأبي عبد الله ﷺ رجل راوية لحديثكم يث ذلك في الناس ويشدده في قلوبهم وقلوب شيعتكم ولعل عابداً من شيعتكم ليست له هذه الرواية، أيهما أفضل؟ قال: «الراوية لحديثنا يشد به قلوب شيعتنا

(١) الدعاء والزيارة، للإمام الشيرازي رحمه الله: ص ٧٠٢، الزيارة المطلقة للإمام الحسين ﷺ.

أفضل من ألف عابد»^(١).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «من كان من شيعتنا عالما بشريعتنا فأخرج ضعفاء شيعتنا من ظلمة جهلهم إلى نور العلم الذي حبوناه به، جاء يوم القيامة وعلى رأسه تاج من نور، يضيء لأهل جميع العرصات، وعليه حلة لا يقوم لأقل سلك منها الدنيا بحذافيرها، ثم ينادي مناد: يا عباد الله هذا عالم من تلامذة بعض علماء آل محمد، ألا فمن أخرجته في الدنيا من حيرة جهله فليتشبث بنوره ليخرجه من حيرة ظلمة هذه العرصات إلى نزه الجنان، فيخرج كل من كان علمه في الدنيا خيرا، أو فتح عن قلبه من الجهل قفلا، أو أوضح له عن شبهة»^(٢).

وقال علي عليه السلام: «من قوى مسكينا في دينه، ضعيفا في معرفته، على ناصب مخالف فأفحمه، لقنه الله يوم يدلى في قبره أن يقول: الله ربي ومحمد نبي وعلي وليي والكعبة قبلتي والقرآن بهجتي وعدتي والمؤمنون إخواني، فيقول الله: أدليت بالحجة فوجبت لك أعالي درجات الجنة فعند ذلك يتحول عليه قبره أنزه رياض الجنة»^(٣).

وقالت فاطمة الزهراء عليها السلام وقد اختصم إليها امرأتان، فتنازعتا في شيء من أمر الدين، إحداهما معاندة والأخرى مؤمنة، ففتحت على المؤمنة حجتها فاستظهرت على المعاندة ففرحت فرحا شديدا، فقالت فاطمة عليها السلام: «إن فرح الملائكة باستظهارك عليها أشد من فرحك، وإن حزن الشيطان ومردته بحزنها

(١) الكافي: ج ١ ص ٣٣ باب صفة العلم ح ٩.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢ ص ٢ ب ٨ ح ٢.

(٣) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٣٤٦.

أشد من حزنها، وإن الله تعالى قال لملائكته: أوجبوا لفاطمة بما فتحت على هذه المسكينة الأسيرة من الجنان ألف ألف ضعف مما كنت أعددت لها واجعلوا هذه سنة في كل من يفتح على أسير مسكين فيغلب معاندا مثل ألف ألف ما كان معدا له من الجنان»^(١).

وقال أبو محمد العسكري ﷺ: «حضرت امرأة عند الصديقة فاطمة الزهراء ﷺ فقالت: إن لي والدة ضعيفة وقد لبس عليها في أمر صلاتها شيء وقد بعثني إليك أسألك، فأجابتها فاطمة ﷺ عن ذلك، فثنت فأجابت، ثم ثلثت إلى أن عشرت فأجابت، ثم خجلت من الكثرة، فقالت: لا أشق عليك يا ابنة رسول الله.

قالت فاطمة ﷺ: هاتي وسبلي عما بدا لك، أرايت من اكثري يوما يصعد إلى سطح بحمل ثقيل وكراه مائة ألف دينار يثقل عليه؟
فقالت: لا.

فقالت: اكثريت أنا لكل مسألة بأكثر من ملء ما بين الثرى إلى العرش لؤلؤا، فأحرى أن لا يثقل عليّ، سمعت أبي ﷺ يقول: إن علماء شيعتنا يحشرون فيخلع عليهم من خلع الكرامات على قدر كثرة علومهم وجدهم في إرشاد عباد الله حتى يخلع على الواحد منهم ألف ألف حلة من نور، ثم ينادي منادي ربنا عزو جل: أيها الكافلون لأيتام آل محمد ﷺ الناعشون لهم عند انقطاعهم عن آبائهم الذين هم أئمتهم هؤلاء تلامذتكم والأيتام الذين

(١) بحار الأنوار: ج ٢ ص ٨ ب ٨ ح ١٥.

كفلتموهم ونعشتموهم فاخلعوا عليهم خلع العلوم في الدنيا، فيخلعون على كل واحد من أولئك الأيتام على قدر ما أخذوا عنهم من العلوم، حتى إن فيهم يعني في الأيتام لمن يخلع عليه مائة ألف خلعة، وكذلك يخلع هؤلاء الأيتام على من تعلم منهم، ثم إن الله تعالى يقول: أعيدوا على هؤلاء العلماء الكافلين للأيتام حتى تتموا لهم خلعتهم وتضعفوها لهم، فيتم لهم ما كان لهم قبل أن يخلعوا عليهم ويضاعف لهم وكذلك من يليهم ممن خلع على من يليهم، وقالت فاطمة عليها السلام: يا أمة الله إن سلكة من تلك الخلع لأفضل مما طلعت عليه الشمس ألف ألف مرة وما فضل فإنه مشوب بالتنغيص والكدر»^(١).

وقال الحسن بن علي عليه السلام: «فضل كافل يتيم آل محمد عليه السلام المنقطع عن مواليه الناشب في رتبة الجهل يخرج من جهله ويوضح له ما اشتبه عليه، على فضل كافل يتيم يطعمه ويسقيه كفضل الشمس على السها»^(٢).

وقال الحسين بن علي عليه السلام: «من كفل لنا يتيما قطعت عنا محنتنا باستتارنا فواساه من علومنا التي سقطت إليه حتى أرشده قال الله عز وجل: أيها العبد الكريم المواسي أنا أولى بالكرم، اجعلوا له يا ملائكتي في الجنان بعدد كل حرف علمه ألف ألف قصر وضموا إليها ما يليق بها من سائر النعم»^(٣).

وقال محمد بن علي الباقر عليه السلام: «العالم كمن معه شمعة تضيء للناس، فكل من أبصر شمعته دجا له بخير، كذلك العالم مع شمعة تزيل ظلمة الجهل

(١) بحار الأنوار: ج ٢ ص ٣ ب ٨ ح ٣.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ١٧ ص ٣١٨ ب ١١ ح ٢١٤٦١.

(٣) الصراط المستقيم: ج ٣ ص ٥٥.

والحيرة فكل من أضاءت له فخرج بها من حيرة أو نجا بها من جهل فهو من عتقائه من النار، والله يعوضه عن ذلك بكل شرة لمن أعتقه ما هو أفضل له من الصدقة بمائة ألف قنطار على غير الوجه الذي أمر الله عز وجل به، بل تلك الصدقة وبال على صاحبها لكن يعطيه الله ما هو أفضل من مائة ألف ركعة بين يدي الكعبة»^(١).

وقال جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «علماء شيعتنا مرابطون بالثغر الذي يلي إبليس وعفاريته يمنعونهم عن الخروج على ضعفاء شيعتنا وعن أن يتسلط عليهم إبليس وشيعته النواصب، ألا فمن انتصب لذلك من شيعتنا كان أفضل ممن جاهد الروم والترك والخزر ألف ألف مرة، لأنه يدفع عن أديان محبينا وذلك يدفع عن أبدانهم»^(٢).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «من كان همه في كسر النواصب عن المساكين من شيعتنا الموالين لنا أهل البيت يكسرهم عنهم ويكشف عن مخازيهم ويبين عوراتهم ويفخم أمر محمد وآله (صلوات الله عليهم) جعل الله همه أملاك الجنان في بناء قصوره ودوره يستعمل بكل جرف من حروف حججه على أعداء الله أكثر من عدد أهل الدنيا أملاكاً، قوة كل واحد تفضل عن حمل السماوات والأرض، فكم من بناء وكم من نعمة وكم من قصور لا يعرف قدرها إلا رب العالمين»^(٣).

(١) بحار الأنوار: ج ٢ ص ٤ ب ٨ ح ٧.

(٢) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٣٤٣ في أن النبي الحقيقي هو المنقطع عن...

(٣) بحار الأنوار: ج ٢ ص ١٠ ب ٨ ح ١٩.

وقال موسى بن جعفر عليه السلام: «فقيه واحد ينقذ يتيما من أيتامنا المنقطعين عنا وعن مشاهدتنا بتعليم ما هو محتاج إليه أشد على إبليس من ألف عابد، لأن العابد همه ذات نفسه فقط وهذا همه مع ذات نفسه ذات عباد الله وإيمائه لينقذهم من يد إبليس ومردته، فذلك هو أفضل عند الله من ألف ألف عابد وألف ألف عابدة»^(١).

وقال الإمام الكاظم عليه السلام: «من أعان محبا لنا على عدو لنا فقواه وشجعه حتى يخرج الحق الدال على فضلنا بأحسن صورته ويخرج الباطل الذي يروم به أعداؤنا ودفع حقنا في أقبح صورة حتى ينبه الغافلين ويستبصر المتعلمون ويزداد في بصائرهم العالمون بعثه الله تعالى يوم القيامة في أعلى منازل الجنان ويقول: يا عبدي الكاسر لأعدائي الناصر لأوليائي المصرح بتفضيل محمد خير أنبيائي وبتشريف علي أفضل أوليائي ويناوي من ناواهما ويسمي بأسمائهما وأسماء خلفائهما ويلقب بألقابهم فيقول ذلك ويبلغ الله جميع أهل العرصات فلا يبقى كافر ولا جبار ولا شيطان إلا صلى على هذا الكاسر لأعداء محمد عليه السلام ولعن الذين كانوا يناصرونه في الدنيا من النواصب لمحمد وعلي صلوات الله عليهما»^(٢).

وقال علي بن موسى الرضا عليه السلام: «يقال للعابد يوم القيامة نعم الرجل كنت، همتك ذات نفسك وكفيت الناس مئونتك فادخل الجنة، ألا إن الفقيه من أفاض على الناس خيره وأنقذهم من أعدائهم ووفر عليهم نعم جنان الله وحصل

(١) الاحتجاج: ج ٢ ص ١٧ فصل في ذكر طرف مما أمر الله في كتاب.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢ ص ١٠-١١ ب ٨ ح ٢٠.

لهم رضوان الله تعالى ويقال للفقيه : يا أيها الكافل لأيتام آل محمد الهادي لضعفاء محبيهم ومواليهم قف حتى تشفع لكل من أخذ عنك أو تعلم منك ، فيقف فيدخل الجنة ومعه فثاما وفثاما وفثاما حتى قال عشرا وهم الذين أخذوا عنه علومه وأخذوا عمن أخذ عنه وعمن أخذ عمن أخذ عنه إلى يوم القيامة فانظروا كم فرق بين المنزلتين»^(١).

وقال محمد بن علي الجواد عليه السلام : «من تكفل بأيتام آل محمد المنقطعين عن إمامهم المتحيرين في جهلهم الأسراء في أيدي شياطينهم وفي أيدي النواصب من أعدائنا فاستنقذهم منهم وأخرجهم من حيرتهم وقهر الشياطين برد وسأوسهم وقهر الناصبين بحجج ربهم ودليل أئمتهم ليفضلون عند الله تعالى على العباد بأفضل المواقع بأكثر من فضل السماء على الأرض والعرش والكرسي والحجب على السماء ، وفضلهم على هذا العابد كفضل القمر ليلة البدر على أخفى كوكب في السماء»^(٢).

وقال علي بن محمد عليه السلام : «لولا من يبقى بعد غيبة قائمكم ﷺ من العلماء الداعين إليه والدالين عليه والذابين عن دينه بحجج الله والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومردته ومن فخاخ النواصب لما بقي أحد إلا ارتد عن دين الله ولكنهم الذين يمسون أزمة قلوب ضعفاء الشيعة كما يمسك صاحب السفينة سكانها أولئك هم الأفضلون عند الله عز وجل»^(٣).

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام : ص ٣٤٤

(٢) بحار الأنوار: ج ٢ ص ٦ ب ٨ ح ١١.

(٣) الاحتجاج: ج ١ ص ١٨ فصل في ذكر ظرف مما أمر الله في كتاب...

وعن أبي محمد عن أبيه عليه السلام قال: «تأتي علماء شيعتنا القوامون بضعفاء محبيننا وأهل ولايتنا يوم القيامة والأنوار تسطع من تيجانهم على رأس كل واحد منهم تاج بهاء قد انبثت تلك الأنوار في عرصات القيامة ودورها مسيرة ثلاثمائة ألف سنة فشعاع تيجانهم ينبث فيها كلها فلا يبقى هناك يتيم قد كفله ومن ظلمة الجهل أنقذوه ومن حيرة التيه أخرجوه إلا تعلق بشعبة من أنوارهم فرفعتهم إلى العلو حتى يحاذي بهم فوق الجنان ثم ينزلهم على منازلهم المعدة في جوار أستاذيهم ومعلميهم وبحضرة أئمتهم الذين كانوا يدعون إليهم ولا يبقى ناصب من النواصب يصيبه من شعاع تلك التيجان إلا عميت عينه وصمت أذنه وأخرس لسانه وتحول عليه أشد من لهب النيران فيتحملهم حتى يدفعهم إلى الزبانية فتدعوهم إلى سواء الجحيم»^(١).

إلى غيرها من الروايات.

(١) بحار الأنوار: ج ٢ ص ٦-٧ ب ٨ ح ١٣.

ألا تقاتلوا قوماً^(١) نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم

مقاتلة ناكثي البيعة

مسألة: يستفاد من كلامها ﷺ جواز وربما وجوب مقاتلة أولئك القوم الذين خرجوا على إمام زمانهم ونقضوا البيعة ونصبوا غير من نصبه الله ورسوله ﷺ.

بل كلامها ﷺ تحريض أكيد على مقاتلتهم: «ألا تقاتلون قوماً...». ومنه يعلم بضميمة الحديث المتفق عليه بين الفريقين: «إن الله يرضى لرضى فاطمة ويغضب لغضبها»^(٢): أن رضى الله كان في مقاتلتهم وسخطه كان في الخذلان.

وهل يستفاد من كلامها ﷺ عمومية جواز مقاتلة القوم الذين نقضوا أيمانهم، أم هو مختص بالمقام، فتأمل. وفي بعض النسخ: «بؤساً لقوم».

ومن الجلي أن (البؤس) أعم من البؤس الأخروي والديني، فهم بنقض البيعة خسروا دنياهم وآخرتهم، والبؤس هو الشدة والفقر، أي اشتداد الحاجة والافتقار، والشدة أعم من الشدة الأمنية والسياسية والإدارية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها.

(١) وفي بعض النسخ: (بؤساً لقوم).

(٢) راجع بحار الأنوار: ج ٢٧ ص ٦٢ ب ١ ح ٢١.

فالمستفاد من كلامها عليها السلام أن نكثهم الأيمان بالنسبة إلى ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام نجم عنه كل ما حدث من الحروب والمحن والمشاكل والأزمات.

وكلامها عليها السلام إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَوُكُمْ أَوْلَ مَرَّةٍ اتَّخَشَوْنَهُمْ فَأَلَّهٗ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(١).

قال سبحانه: ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَتِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٣).

وعن موسى بن جعفر عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من نكث بيعة أو رفع لواء ضلالة أو كتم علما أو اعتقل مالا ظلما أو أعان ظلما على ظلمه وهو يعلم أنه ظالم فقد برئ من الإسلام»^(٤).

وقال علي عليه السلام: «من نكث بيعته لقي الله وهو أجذم لا يد له»^(٥).

(١) سورة التوبة: ١٣.

(٢) سورة التوبة: ١٢.

(٣) سورة الفتح: ١٠.

(٤) بحار الأنوار: ج ٢ ص ٦٧ ب ١٣ ح ١١.

(٥) دعائم الإسلام: ج ٢ ص ٩٥ فصل ١ ح ٢٩٦.

وعن علي بن جعفر عن أخيه موسى عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله ﷺ : «من فارق جماعة المسلمين فقد خلع ربة الإسلام من عنقه ، قيل : يا رسول الله وما جماعة المسلمين؟ قال : جماعة أهل الحق وإن قلوا»^(١).

قال النبي ﷺ : «ثلاث موبقات ، نكث الصفقة وترك السنة وفراق الجماعة ، وثلاث منجيات تكف لسانك وتبكي على خطيئتك وتلزم بيتك»^(٢).

قال سلمان وعبد الله بن العباس قالا : «توفي رسول الله ﷺ يوم توفي فلم يوضع في حفرته حتى نكث الناس وارتدوا وأجمعوا على الخلاف ، واشتغل علي عليه السلام برسول الله ﷺ حتى فرغ من غسله وتكفينه وتحنيطه ووضعه في حفرته»^(٣).

وعن العالم موسى بن جعفر عليه السلام في حديث : «وإذا قيل لهؤلاء الناكثين للبيعة في يوم الغدير ﴿لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بإظهار نكث البيعة لعباد الله المستضعفين فتشوشون عليهم دينهم ، و تحيرونهم في مذاهبهم»^(٤).

(١) بحار الأنوار : ج ٢٧ ص ٦٧ ب ٣ ح ١.

(٢) الخصال : ج ١ ص ٨٥ ثلاث درجات وثلاث كفارات ح ١٣.

(٣) بحار الأنوار : ج ٤٣ ص ١٩٧ ب ٧ ح ٢٩.

(٤) بحار الأنوار : ج ٣٧ ص ١٤٦ ب ٥٢ ضمن أخبار الغدير

نكث البيعة وأسلوبها

مسألة: من أكبر المحرمات وأشدها نكث بيعة الله وبيعة الرسول ﷺ وبيعة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

فإن القوم كانوا قد حلفوا وعاهدوا بالاستمرار مع الرسول ﷺ وبإيعوه على ذلك، وكانت تلك مبايعة مع الله عز وجل، فإن يد الله فوق أيديهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِنْ أَجْرٍ عَظِيمٍ﴾ (١).

وربما تكون إحدى الوجوه في قوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ (٢) أن أسلوب البيعة كان عبارة عن أن الرسول ﷺ يرفع يده إلى أعلى، وكانوا يَمْرُون يدهم بيده ﷺ أخذاً من الأصابع وانتهاءً إلى آخر الكف، وذلك على ما يظهر من التواريخ.

ونكث البيعة كان بالعكس من ذلك، بأن يمر المبايع يده من آخر الكف طرف الزند إلى الأصابع نكثاً للبيعة وكأنه تخلص عن البيعة وتفرغ عنها. والمحتمل في هذا المقطع من كلامها (صلوات الله عليها) في القوم الذين نكثوا أيمانهم أمران:

(١) سورة الفتح: ١٠.

(٢) سورة الفتح: ١٠.

الأول: أنهم حكماً هم اليهود الذين نقضوا عهدهم مع الرسول ﷺ وعاضدوا الأحزاب وهموا بإخراج الرسول ﷺ من المدينة.

الثاني: أنهم حكماً هم مشركو قريش وكفار مكة قبل الهجرة وبعدها أيضاً^(١)، وهذا أظهر بلحاظ انطباق كلامها ﷺ بكامله عليهم، فهي ﷺ تحرض الناس على قادة الانقلاب ضد النبي ﷺ ومخططي السقيفة، فإنهم نقضوا أيمانهم من بعد عهدهم، وهموا بإخراج الرسول ﷺ من قبل، وهم قد بدؤوكم - أيها المسلمون - أول مرة، أي زمن النبي ﷺ في قضايا عديدة منها قضية (ودباب دحرجوها)^(٢) في العقبة.

أو إنهم قد بدؤوكم - أيها الأوس والخزرج - أول مرة عندما جاؤوا للمدينة لمقاتلتكم.

وهذه المرة الثانية حيث تعرضوا لوصي النبي ﷺ، ف (أول مرة) بلحاظ الصنف لا العدد^(٣).

عن بكير بن عبيد الله الطويل وعمار بن أبي معاوية قالا: حدثنا أبو عثمان البجلي مؤذن بني قصي، قال بكير: أذن لنا أربعين سنة، قال: سمعت علياً عليه السلام يقول يوم الجمل: ﴿وَأِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ

(١) أما قبل الهجرة فبنقضهم عهدهم مع الرسول ﷺ أن لا يعينوا أعداءهم عليهم فأعانوا عليهم بني بكر على خزاعة وراموا إخراج الرسول ﷺ من مكة في مؤتمرهم بدار الندوة، وأما بعد الهجرة فيوم بدر.

(٢) راجع الإقصة كاملة في بحار الأنوار: ج ٨٢ ص ٢٦٦-٢٦٧ ب ٣٣.

(٣) أي بدؤوكم أول مرة بلحاظ كونها موجهة ضد شخص النبي الأعظم ﷺ وإن كانت مراراً عديدة وهذه ثاني مرة ضد وصيه ﷺ.

فَقَاتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴿١﴾ ثم حلف حين قرأها أنه ما قوتل أهلها منذ نزلت حتى اليوم، قال بكير: فسألت عنها أبا جعفر (ع)، فقال: «صدق الشيخ هكذا قال علي (ع) هكذا كان»^(١).

ومن كلام أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) حين دخل البصرة وجمع أصحابه فحرضهم على الجهاد وكان مما قال: «عباد الله انهدوا إلى هؤلاء القوم، منشرحة صدوركم بقتالهم، فإنهم نكثوا بيعتي وأخرجوا ابن حنيف عاملي بعد الضرب المبرح والعقوبة الشديدة وقتلوا السبابة ومثلوا بحكيم بن جبلة العبدى وقتلوا رجالا صالحين ثم تتبعوا منهم من نجا يأخذونهم في كل حائط وتحت كل رابية ثم يأتون بهم فيضربون رقابهم صبرا، ما لهم قاتلهم الله أنى يؤفكون، انهدوا إليهم وكونوا أشداء عليهم والقوهم صابرين محتسبين تعلمون أنكم منازلوهم ومقاتلوهم ولقد وطنتم أنفسكم على الطعن الدعسي والضرب الطلحفي ومبارزة الأقران، وأي امرئ أحس من نفسه رباطة جأش عند اللقاء ورأى من أحد من إخوانه فشلا فليذب عن أخيه الذي فضل عليه كما يذب عن نفسه فلو شاء الله لجعله مثله»^(٢).

وعن الإمام الصادق (ع) في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿٣﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٣)، قال:

(١) بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٢٠٣ ب ٣ ح ١٥٦.

(٢) بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ١٧١-١٧٢ ب ٣ ح ١٣١.

(٣) سورة البقرة: ١١-١٢.

«ما قوتل أهل هذه يعني البصرة إلا بهذه الآية، وقرأ أمير المؤمنين يوم البصرة: ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾^(١).

ثم قال: لقد عهد إليّ رسول الله ﷺ وقال: يا علي لتقاتلن الفئة الناكثة والفئة الباغية والفرقة المارقة، إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون»^(٢).

قالت فمن قاتل الأقوام إذ نكثوا فقلت تفسيره في وقعة الجمل

(١) سورة التوبة: ١٢.

(٢) بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٢٨٢-٢٨٣ ب ٦ ضمن ح ٢٣٢.

وهو بإخراج الرسول ﷺ

إخراج الرسول ﷺ

مسألة: يحرم إخراج الرسول ﷺ، فإن إخراجهم عليهم السلام من أشد المحرمات، كما فعله المشركون من أهل مكة.

بل يحرم إخراج كل أحد عن وطنه وملكه.

قال أبو عبد الله عليه السلام: «لما بويع أبوبكر واستقام له الأمر على جميع المهاجرين والأنصار بعث إلى فذك من أخرج وكيل فاطمة بنت رسول الله ﷺ منها»^(١).

كما يحرم إخراج المسلم عن أي من البلاد الإسلامية، إذ لا حدود جغرافية في الإسلام، والبلاد الإسلامية بلد واحد، والمسلم حر في أن يعيش في أي منها، فلا جواز ولا إقامة ولا تأشيرة ولا غيرها من بدع الاستعمار.

قال المفسرون في قوله تعالى ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ﴾^(٢): (إنها نزلت في قصة دار الندوة وذلك أن نفرا من قريش اجتمعوا فيها وهي دار قصي بن كلاب وتأمروا في أمر النبي ﷺ فقال عروة بن هشام: ﴿نَتَرِيصُ بِهِ رَبِّبَ الْمَنُونِ﴾^(٣).

وقال أبو البختري: أخرجوه عنكم تستريحوا من أذاه.

(١) الاحتجاج: ج ١ ص ٩٠ احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على أبي بكر.

(٢) سورة الأنفال: ٣٠.

(٣) سورة الطور: ٣٠.

وقال أبو جهل : ما هذا برأي ، ولكن اقتلوه بأن يجتمع عليه من كل بطن رجل فيضربوه بأسيا فهم ضربة رجل واحد فترضى حينئذ بنو هاشم بالدية .
فصوب إبليس هذا الرأي وكان قد جاءهم في صورة شيخ كبير من أهل نجد وخطأ الأولين .

فاتفقوا على هذا الرأي وأعدوا الرجال والسلاح ، وجاء جبرئيل فأخبر رسول الله ﷺ فخرج إلى الغار وأمر عليا عليه السلام فبات على فراشه ، فلما أصبحوا وفتشوا عن الفراش وجدوا عليا وقد رد الله مكرهم وقالوا : أين محمد؟ قال : لا أدري ، فاقتصوا أثره وأرسلوا في طلبه ، فلما بلغوا الجبل ومروا بالغار رأوا على بابه نسج العنكبوت ، فقالوا : لو كان هاهنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه ، فمكث ﷺ فيه ثلاثة أيام ثم قدم المدينة^(١) .

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال : «من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبرا من الأرض استوجب الجنة وكان رفيق أبيه إبراهيم ونبيه محمد ﷺ»^(٢) .

(١) بحار الأنوار: ج ١٩ ص ٣١ ب ٦ .

(٢) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ١ ص ٣٣ باب السفر والسير والفراق والقدوم والوداع .

حرمة الهم بذلك

مسألة: يحرم الهم بإخراج الرسول ﷺ.

والهم بالشيء هو العزم عليه وقصده وإرادته.

فإن الهم بإخراج الرسول ﷺ يرتبط بأصول الدين والمعتقدات، والنية فيما يخالف أصول الدين محرمة، حتى إذا لم نقل في باب النية بحرمة مطلق نية الحرام، فإن النية فيما يخالف الأحكام الشرعية الفرعية - بدون الإتيان بها - ليست من المجرمات وإن كانت مذمومة، كما ذكر في بحث التجري في الأصول^(١).

وهناك بعض الفرق بين النية وبين الهم بالشيء، فإن الهم بالشيء: العزم عليه وقصده وإرادته فتأمل.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من هم بخير فليعجله ولا يؤخره، فإن العبد ربما عمل العمل فيقول الله تبارك وتعالى: قد غفرت لك ولا أكتب عليك شيئاً أبداً، ومن هم بسيئة فلا يعملها، فإنه ربما عمل العبد السيئة فيراه الله سبحانه فيقول: لا وعزتي وجلالي لا أغفر لك بعدها أبداً»^(٢).

(١) قال الإمام الشيرازي رحمته الله في بحث التجري: (والحاصل: قد ظهر مما تقدم قرب قول الشيخ رحمته الله فلا عقاب لا على الفعل ولا على العزم وإن اختاره الكفاية وحيث يراه غير اختياري انتهى الأمر إلى الشقاوة الذاتية، مع وضوح أن كل ما بالغير ينتهي إلى ما بالذات، وإلا لزم التسلسل، فغيره اختياري به). الأصول: ج ٢ ص ١٧ ط ٥ دار العلوم، بيروت.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ١٤٢-١٤٣ باب تعجيل فعل الخير ح ٦.

قال أبو عبد الله ﷺ: «ملعون من ترأس ملعون من همّ بها ملعون من حدث نفسه بها»^(١).

وعن زرارة عن أحدهما ﷺ قال: «إن الله تبارك وتعالى جعل لآدم في ذريته من همّ بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة، ومن هم بحسنة وعملها كتبت له بها عشرة، ومن هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه سيئة، ومن هم بها وعملها كتبت عليه سيئة»^(٢).

وعن أبي بصير عن أبي عبد الله ﷺ قال: «إن المؤمن ليهم بالحسنة ولا يعمل بها فتكتب له حسنة، وإن هو عملها كتبت له عشر حسنات، وإن المؤمن ليهم بالسيئة أن يعملها فلا يعملها فلا تكتب عليه»^(٣).

وعن بكير عن أبي عبد الله ﷺ أو عن أبي جعفر ﷺ: «إن الله تعالى قال لآدم ﷺ: يا آدم جعلت لك أن من هم من ذريتك بسيئة لم تكتب عليه، فإن عملها كتبت عليه سيئة، ومن هم منهم بحسنة فإن لم يعملها كتبت له حسنة، وإن هو عملها كتبت له عشرة»^(٤)، الحديث.

وعن أبي عبد الله ﷺ قال: «إذا همّ العبد بالسيئة لم تكتب عليه وإذا همّ بحسنة كتبت له»^(٥).

(١) وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ٣٥ ب ٥٠ ح ٢٠٧١٢.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٤٢٨ باب من يهمّ بالحسنة أو السيئة ح ١.

(٣) وسائل الشيعة: ج ١ ص ٥١ ب ٦ ح ٩٩.

(٤) وسائل الشيعة: ج ١ ص ٥١-٥٢ ب ٦ ح ١٠٠.

(٥) وسائل الشيعة: ج ١ ص ٥٢ ب ٦ ح ١٠٢.

مقاتلة من همّ بذلك

مسألة: يجوز مقاتلة من همّ بإخراج الرسول ﷺ، والجواز بالمعنى الأعم. وإنما قلنا بالجواز بالمعنى الأعم، لأنه قد يكون واجباً، وقد يكون مستحباً، كل في مورده، حسب ما ألعنا إليه في بحوث آنفة، وتفصيل الكلام في كتاب الجهاد^(١).

عن أبي عبد الله (ع) قال: «الجهاد أفضل الأشياء بعد الفرائض»^(٢). وعن أبي عبد الرحمن السلمي قال: قال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): «أما بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه وسوغهم كرامة منه لهم ونعمة ذخرها، والجهاد هو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل وشمله البلاء وفارق الرضا وديث بالصغار والقماء، وضرب على قلبه بالأسداد وأدبل الحق منه بتضييع الجهاد وسيم الخسف ومنع النصف، ألا وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً وسراً وإعلاناً وقلت لكم اغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غزي قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا فتواكلتم وتخاذلتم حتى شنت عليكم الغارات وملكتم عليكم الأوطان، هذا أخو غامد قد وردت خيله الأنبار وقتل حسان بن حسان البكري وأزال خيلكم عن مسالحها وقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة فينتزع حجلها وقلبها وقلائدها ورعاها

(١) راجع موسوعة الفقه: ج ٤٧ و ٤٨ كتاب الجهاد.

(٢) تهذيب الأحكام: ج ٦ ص ١٢١ ب ٥٤ ح ٢.

ما تمنع منه إلا بالاسترجاع والاسترحام ثم انصرفوا وافرين ما نال رجلا منهم كلم ولا أريق له دم، فلو أن امرأ مسلما مات من بعد هذا أسفا ما كان به ملوما بل كان عندي به جديرا، فيا عجبا عجبا والله يميث القلب ويجلب الهم من اجتماع هؤلاء على باطلهم وتفرقكم عن حقكم، فقبحا لكم وترحا حين صرتم غرضا يرمى يغار عليكم ولا تغيرون وتغزون ولا تغزون ويعصى الله وترضون، فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحر قلت هذه حمارة القيظ أمهلنا حتى يسبخ عنا الحر، وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء قلت هذه صبارة القر أمهلنا حتى ينسلخ عنا البرد، كل هذا فرارا من الحر والقر، فإذا كنتم من الحر والقر تفرون فأنتم والله من السيف أفر، يا أشباه الرجال ولا رجال، حلوم الأطفال وعقول ربات الحجال، لوددت أني لم أركم ولم أعرفكم معرفة والله جرت ندما وأعقت ذما، قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قيحا وشحنتم صدري غيظا وجرعتموني نغب التهمام أنفاسا وأفسدتم علي رأيي بالعصيان والخذلان حتى لقد قالت قريش إن ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب، لله أبوهم وهل أحد منهم أشد لها مراسا وأقدم فيها مقاما مني لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين وها أنا قد ذرفت على الستين ولكن لا رأي لمن لا يطاع»^(١).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «إن الله فرض الجهاد وعظمه وجعله نصره وناصره، والله ما صلحت دنيا ولا دين إلا به»^(٢).

هذا وقد قال رسول الله ﷺ: «من خرج على علي عليه السلام فهو في النار»^(٣).

(١) الكافي: ج ٥ ص ٤-٦ باب فضل الجهاد ح ٦.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ١٥ ب ١ ح ١٩٩١٥.

(٣) الصراط المستقيم: ج ٣ ص ١٦٢ فصل في أم الشرور.

وهم بدءوكم أول مرة

البدء بالقتال

مسألة: يجوز مقاتلة ومقابلة من بدأ بالقتال أول مرة، أما مقاتلة من لم يبدأ بقتال فهي مشروطة بما ذكر في كتاب الجهاد^(١) في إطار قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ﴾^(٢).

والإسلام - كما هو واضح في حروب الرسول ﷺ وحروب أمير المؤمنين علي والإمام الحسن والإمام الحسين (صلوات الله عليهم أجمعين) - يؤكد على أن لا يبدأ بقتال الكفار والمشركين ومن أشبههم، وذلك حتى تكون عليهم الحجة البالغة، فإن البادي بالقتال هو الذي قد تسقط حجته ببذئه بالقتال.

وقد بعث رسول الله ﷺ في وقعة بدر إلى قريش وقال: «يا معاشر قريش إني أكره أن أبدأكم فخلوني والعرب وارجعوا»^(٣).

وقال ﷺ لأصحابه: «لا تبدوهم بالقتال»^(٤).

وقد ورد في وقعة الجمل: أنه لما تواقف الجمعان قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «لا تقاتلوا القوم حتى يبدأوكم، فإنكم بحمد الله على حجة وكفكم عنهم حتى يبدأوكم حجة أخرى، وإذا قاتلتموهم فلا تجهزوا على جريح، فإذا

(١) موسوعة الفقه: ج ٤٧-٤٨ كتاب الجهاد.

(٢) سورة النساء: ٧٥.

(٣) بحار الأنوار: ج ١٩ ص ٢٢٤ ب ١٠ غزوة بدر الكبرى.

(٤) تفسير القمي: ج ١ ص ٢٦٢ خوف قريش.

هزمتموهم فلا تتبعوا مدبرا ولا تكشفوا عورة ولا تمثلوا بقتيل وإذا وصلتكم إلى رجال القوم فلا تهتكوا سترا ولا تدخلوا دارا ولا تأخذوا من أموالهم شيئا ولا تهيجوا امرأة بأذى وإن شتمن أعراضكم وسبين أمراءكم وصلحاءكم فإنهن ضعفاء القوى والأنفس والعقول ، ولقد كنا نؤمر بالكف عنهن وإنهن لمشركات وإن كان الرجل ليتناول المرأة بالهراوة والجريدة فيعير بها وعقبه من بعده»^(١).

وورد في قتال الخوارج أنه : لما واقفهم علي ﷺ بالنهروان قال : «لا تبدءوهم بقتال حتى يبدءوكم ، فحمل منهم رجل على صف علي ﷺ فقتل منهم ثلاثة ، فخرج إليه ﷺ فضربه فقتله»^(٢).

وفي الكافي : عن عبد الرحمن بن جندب عن أبيه : أن أمير المؤمنين ﷺ كان يأمر في كل موطن لقينا فيه عدونا فيقول : «لا تقاتلوا القوم حتى يبدءوكم فإنكم بحمد الله على حجة وترككم إياهم حتى يبدءوكم حجة لكم أخرى ، فإذا هزمتموهم فلا تقتلوا لهم مدبرا ولا تهجزوا على جريح ولا تكشفوا عورة ولا تمثلوا بقتيل»^(٣).

وفي نهج البلاغة : من وصيته ﷺ لعسكره قبل لقاء العدو بصفين : «لا تقاتلوهم حتى يبدءوكم ، فإنكم بحمد الله على حجة وترككم إياهم حتى يبدءوكم حجة أخرى لكم عليهم ، فإذا كانت الهزيمة بإذن الله فلا تقتلوا مدبرا

(١) بحار الأنوار : ج ٣٢ ص ٢١٢-٢١٣ ب ٣ ضمن ح ١٦٧.

(٢) بحار الأنوار : ج ٣٣ ص ٣٤٨ ب ٢٣ باب قتال الخوارج.

(٣) الكافي : ج ٥ ص ٣٨ باب ما كان يوصي أمير المؤمنين ﷺ ح ٣.

ولا تصيبوا معورا ولا تجهزوا على جريح ولا تهيجوا النساء بأذى وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم فإنهن ضعيفات القوى والأنفس والعقول، إنا كنا لنؤمر بالكف عنهن وإنهن لمشركات وإن كان الرجل ليتناول المرأة في الجاهلية بالفهر أو الهراوة فيعير بها و عقبه من بعده»^(١).

وعن حبة العرني قال: لما انتهينا إليهم رمونا، فقلنا لعلي (عليه السلام): يا أمير المؤمنين قد رمونا، فقال: «كفوا» ثم رمونا فقال لنا (عليه السلام): «كفوا»، ثم الثالثة فقال: «الآن طاب القتال احملوا عليهم»^(٢).

وفي أخبار يوم الجمل روى أبو مخنف قال: «لما تراحف الناس يوم الجمل والتقوا قال علي (عليه السلام) لأصحابه: لا يرمين رجل منكم بسهم ولا يطعن أحدكم فيهم برمح حتى أحدث إليكم وحتى يبدءوكم بالقتال وبالقتل»^(٣).

وقال الشيخ المفيد: وروي عن علي بن الحسين (عليه السلام) أنه قال: «لما أصبحت الخيل تقبل على الحسين (عليه السلام) رفع يديه وقال: (اللهم أنت ثقتي في كل كرب ورجائي في كل شدة وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقة وعدة، كم من كرب يضعف عنه الفؤاد وتقل فيه الحيلة ويخذل فيه الصديق ويشمت فيه العدو أنزلته بك وشكوته إليك رغبة مني إليك عمن سواك ففرجته وكشفته، فأنت ولي كل نعمة وصاحب كل حسنة ومنتهى كل رغبة) قال: فأقبل القوم يجولون حول بيت الحسين (عليه السلام) فيرون الخندق في ظهورهم والنار تضطرم في الحطب والقصب

(١) نهج البلاغة، الوصايا: ١٤ ومن وصية له (عليه السلام) لعسكره قبل لقاء العدو بصفين.

(٢) بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٣٤٧ ب ٢٣ باب قتال الخوارج.

(٣) شرح نهج البلاغة: ج ٩ ص ١١١ من أخبار يوم الجمل.

الذي كان ألقى فيه ، فنادى شمر بن ذي الجوشن بأعلى صوته : يا حسين أتعجلت بالنار قبل يوم القيامة ؟ فقال الحسين ﷺ : من هذا كأنه شمر بن ذي الجوشن ، فقالوا : نعم ، فقال له : يا ابن راعية المعزى أنت أولى بها صلياً ، ورام مسلم بن عوسجة أن يرميه بسهم فمنعه الحسين ﷺ من ذلك ، فقال له : دعني حتى أرميه فإن الفاسق من أعداء الله وعظماء الجبارين وقد أمكن الله منه ، فقال له الحسين ﷺ : لا ترمه فإني أكره أن أبدأهم بقتال»^(١).

(١) بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ٤-٥ ب ٣٧ سائر ما جرى عليه.

أتخشونهم

الخوف من الأعداء

مسألة: يحرم الخوف من أعداء الله تعالى في الجملة.

والمراد به: الخوف المنتهي إلى الجبن والتقاعس عن العمل، أما الخوف القلبي - الخارج عن الاختيار - فليس حراماً، كما هو واضح.

أو المراد به: الخوف الناتج عن الشرك، أي الخوف من منطلق رؤية قدرة بإزاء الله تعالى.

ومن هنا كان الفرار عن الزحف محرماً.

قال أمير المؤمنين (ع): «الفرار من الزحف من الكبائر»^(١).

وفي كتاب صفين: أن علياً (ع) لما رأى ميمنته يوم صفين قد عادت إلى مواقعها ومصافها وكشف من بإزائها حتى ضاربوهم في مواقعهم ومراكزهم أقبل حتى انتهى إليهم فقال: «إني قد رأيت جولتكم وانحيازكم عن صفوفكم تحوزكم الجفاة الطغاة وأعراب أهل الشام وأنتم لهاميم العرب والسنام الأعظم وعمار الليل بتلاوة القرآن وأهل دعوة الحق إذا ضل الخاطئون فلولا إقبالكم بعد إدباركم وركركم بعد انحيازكم وجب عليكم ما وجب على المولي يوم الزحف دبره وكنتم فيما أرى من الهالكين، ولقد هون علي بعض وجدي وشفأ بعض هياج صدري أني رأيتمكم بأخرة حزتموهم كما حازوكم وأزلموهم عن مصافهم

(١) دعائم الإسلام: ج ١ ص ٣٧٠ ذكر الأفعال التي ينبغي فعلها قبل القتال.

كما أزالوكم تحوزونهم بالسيوف ليركب أولهم آخرهم كالإبل المطردة الهيم فالآن فاصبروا أنزلت عليكم السكينة وثبتكم الله باليقين وليعلم المنهزم أنه مسخط لربه وموبق لنفسه ، وفي الفرار موجدة الله عليه والذل اللازم وفساد العيش وأن الفار لا يزيد في عمره ولا يرضي ربه ، فموت الرجل محققا قبل إتيان هذه الخصال خير من الرضى بالتلبس بها والإقرار عليها»^(١).

وعن أبي الحسن عليه السلام في قوله تعالى ﴿إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة﴾^(٢) ، قال : «متطردا يريد الكرة عليهم ، ومتحيزا يعني متأخرا إلى أصحابه من غير هزيمة ، فمن انهزم حتى يجوز صف أصحابه فقد باء بغضب من الله»^(٣).

وفي احتجاجات أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) قال : «لقد علم المستحفظون من أصحاب النبي محمد عليه السلام أنه ليس فيهم رجل له منقبة إلا وقد شركته فيها وفضلته ، ولي سبعون منقبة لم يشركني فيها أحد منهم» إلى أن قال : «وأما الثانية والستون فإني كنت مع رسول الله عليه السلام في جميع المواطن والحروب وكانت رايته معي ، وأما الثالثة والستون فإني لم أفر من الزحف قط ، ولم يبارزني أحد إلا سقيت الأرض من دمه» الحديث.^(٤)

وفي علل الشرائع عن محمد بن سنان : أن الرضا عليه السلام كتب إليه فيما كتب

(١) مستدرك الوسائل : ج ١١ ص ٧١-٧٢ ب ٢٧ ح ١٢٤٥٥.

(٢) سورة الأنفال : ١٦.

(٣) مستدرك الوسائل : ج ١١ ص ٧٢ ب ٢٧ ح ١٢٤٥٧.

(٤) بحار الأنوار : ج ٣١ ص ٤٣٢-٤٤٥ ب ٢٧.

عن جواب مسأله: «حرم الله عز وجل الفرار من الزحف لما فيه من الوهن في الدين والاستخفاف بالرسول والأئمة العادلة وترك نصرتهم على الأعداء والعقوبة لهم على إنكار ما دعوا إليه من الإقرار بالربوبية وإظهار العدل وترك الجور وإماتة الفساد، ولما في ذلك من جرأة العدو على المسلمين، وما يكون في ذلك من السبي والقتل وإبطال دين الله تعالى وغيره من الفساد»^(١).

وروى العياشي عن أبي الحسن الرضا (ع) أنه ذكر في قول الله تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾^(٢)، عبادة الأوثان وشرب الخمر وقتل النفس وعقوق الوالدين وقذف المحصنات والفرار من الزحف وأكل مال اليتيم»^(٣).

وعن أبي عبد الله (ع) قال سمعته يقول: «الكبائر سبع، قتل المؤمن متعمدا وقذف المحصنة والفرار من الزحف والتعرب بعد الهجرة وأكل مال اليتيم ظلما وأكل الربا بعد البينة وكل ما أوجب الله عز وجل عليها النار» وقال: «إن أكبر الكبائر الشرك بالله»^(٤).

وعن أبي عبد الله (ع) في حديث قال: «وأما الفرار من الزحف فقد أعطوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) على البيعة طائعين غير كارهين ثم فروا عنه وخذلوهم»^(٥).

(١) علل الشرائع: ج ٢ ص ٤٨١ ب ٢٣٣ ح ١.

(٢) سورة النساء: ٣١.

(٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٣٨ ح ١٠٧ من سورة النساء.

(٤) بحار الأنوار: ج ٨٥ ص ٢٦ بيان تحقيق مهم.

(٥) تفسير فرات لكوفي: ص ١٠٢-١٠٣ ومن سورة النساء.

وعن عمران بن حصين قال : لما تفرق الناس عن رسول الله ﷺ في يوم أحد جاء علي عليه السلام متقلدا سيفه حتى قام بين يديه ، فرفع رسول الله ﷺ رأسه فقال له : « ما بالك لم تفر مع الناس » فقال : « يا رسول الله أرجع كافرا بعد إسلامي » الخبر^(١).

وفيه نزل جبرائيل قائلا : لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي ، وقال للنبي ﷺ : « يا رسول الله لقد عجبت الملائكة من حسن مواساة علي لك بنفسه » فقال النبي ﷺ : « ما يمنعه من ذلك وهو مني وأنا منه » ورجع بعض الناس لثبات علي عليه السلام ورجع عثمان بعد ثلاثة أيام فقال النبي ﷺ : « لقد ذهبت بها عريضا »^(٢).

الشجاعة

مسألة: ينبغي للإنسان أن يكون شجاعاً ، فإذا لم يكن لقن نفسه بذلك ، فإن من الثابت في علم النفس التأثير الكبير للإيحاء النفسي على الإنسان ، سواء كان في الخير أم الشر ، وسواء كان عدالة أم ظلماً ، كرماً أم بخلاً ، شجاعة أم جبناً ، أم غير ذلك من الصفات ، وتأثير التلقين والإيحاء لا يقتصر على القلب والجوانح ، بل يشمل الجوارح أيضاً^(٣).

(١) مستدرك الوسائل : ج ١١ ص ٧٢ ب ٢٧ ح ١٢٤٥٨.

(٢) نهج الحق : ص ٢٤٩ المطلب الثاني في الجهاد.

(٣) وقد ثبت علمياً ذلك ومن أمثلته تأثر الإيحاء الذاتي على شفاء المرضى ، كما تعارف عند بعض الأطباء في عالم اليوم.

ولعل من أسباب تكرار الصلاة كل يوم خمس مرات بركوعها وسجودها وسائر أجزائها وشرائطها، استمرار الإيحاء النفسي حتى تلتون النفس باللون الذي يرتضيه الله عز وجل، قال تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾^(١).

عن عبد الله بن عباس قال قام رسول الله ﷺ فينا خطيباً فقال في آخر خطبته: «جمع الله لنا عشر خصال لم يجتمعن لأحد قبلنا ولا تكون لأحد غيرنا، العلم والحلم والحكم واللب والنبوة والفتوة والشجاعة والصدق والصبر والطهارة والعفاف، فنحن كلمة التقوى وسبيل الهدى والمثل الأعلى والحجة العظمى والعروة الوثقى والحق الذي أمر الله في المودة ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾»^(٢) ^(٣).

وقال النبي ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى اصطفاني واختارني وجعلني رسولا وأنزل علي سيد الكتب، فقلت: إلهي وسيدي إنك أرسلت موسى إلى فرعون فسألك أن تجعل معه أخاه هارون وزيرا تشد به عضده وتصدق به قوله، وإنني أسألك يا سيدي وإلهي أن تجعل لي من أهلي وزيرا تشد به عضدي، فجعل الله لي عليا وزيرا وأخا وجعل الشجاعة في قلبه وألبسه الهيبة على عدوه وهو أول من آمن بي وصدقني وأول من وحد الله معي وإنني سألت ذلك ربي

(١) سورة البقرة: ١٣٨.

(٢) سورة يونس: ٣٢.

(٣) تفسير فرات الكوفي: ص ٣٠٥-٣٠٨ ومن سورة الشعراء.

عز وجل فأعطانيه ، فهو سيد الأوصياء ، اللحق به سعادة والموت في طاعته شهادة واسمه في التوراة مقرون إلى اسمي وزوجته الصديقة الكبرى ابنتي وابناء سيدا شباب أهل الجنة ابناي وهو وهما والأئمة بعدهم حجج الله على خلقه بعد النبيين وهم أبواب العلم في أمتي من تبعهم نجا من النار ومن اقتدى بهم ﴿هُدًى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(١) ، لم يهب الله عز وجل محبتهم لعبد إلا أدخله الله الجنة^(٢).

وقال النبي ﷺ : «اعلم أن الله عز وجل يحب الشجاعة ولو على قتل حية»^(٣).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال : أتى النبي ﷺ بأسارى فأمر بقتلهم خلا رجلا من بينهم ، فقال الرجل : بأبي أنت وأمي يا محمد كيف أطلقت عني من بينهم؟ فقال : أخبرني جبرئيل عن الله عز وجل أن فيك خمس خصال يحبها الله عز وجل ورسوله الغيرة الشديدة على حرمك والسخاء وحسن الخلق وصدق اللسان والشجاعة ، فلما سمعها الرجل أسلم وحسن إسلامه وقاتل مع رسول الله ﷺ قتالا شديدا حتى استشهد^(٤).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : «الشجاعة زين»^(٥).

(١) سورة آل عمران : ١٠١.

(٢) الأمالي للصدوق : ص ٢١-٢٢ المجلس السادس.

(٣) مستدرک الوسائل : ج ٨ ص ٢٩٧ ب ٣٩ ح ٩٤٩٠.

(٤) بحار الأنوار : ج ٦٦ ص ٣٨٣ ب ٣٨ ح ٤٥.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم : ص ٢٥٩ ق ٣ ب ٢ ف ٢ ح ٥٥٢٤.

وقال ﷺ: «الشجاعة عز حاضر»^(١).

وقال ﷺ: «زكاة الشجاعة الجهاد في سبيل الله»^(٢).

وفي الشعر المنسوب إليه ﷺ قال:

أنا الصقر الذي حدثت عنه	عتاق الطير تنجذل انجذالا
وقاسيت الحروب أنا ابن سبع	فلمّا شبت أفنيت الرجالا
فلم تدع السيوف لنا عدواً	ولم يدع السخاء لديّ مالا ^(٣)

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٥٩ ق ٣ ب ٢ ف ٢ ح ٥٥٢٥.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٣ ق ٤ ب ١ ف ٣ ح ٧٦٦٦.

(٣) بحار الأنوار: ج ٣٤ ص ٤٣٣ الباب السادس والثلاثون ومنه في إظهار الشجاعة.

فالله أحق أن تخشوه

الخشية من الله

مسألة: تجب الخشية من الله تعالى ، وقد تكون واجباً نفسياً لا صرف المقدمة فتأمل.

ولا يخفى أن الأصل في الخطابات القرآنية كونها للعموم ، وإن كانت موجهة حين نزولها لأفراد أو فئات خاصة فإنها عادة من باب أظهر المصاديق وما أشبه ، والمقام من هذا القبيل.

وإذا لم تكن الخشية من الله موجودة أو متمكنة في قلب الإنسان فاللزام إيجاد تلك الخشية في قلبه بتذكر عقاب الله سبحانه وتعالى ، وشدة بأسه لمن يعصيه ، حتى تتلون نفسه بالخشية.

قال سبحانه : ﴿يَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً﴾^(١).

وقال تعالى : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٢).

وقال جل ثناؤه : ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَخْشَوُا اللَّهَ﴾^(٣).

وفي الحديث القدسي : «يا موسى اجعلني حرزك وضع عندي كنزك من الصالحات وخفني ولا تخف غيري إليّ المصير»^(٤).

(١) سورة الأنبياء : ٩٠.

(٢) سورة فاطر : ٢٨.

(٣) سورة المائدة : ٤٤.

(٤) بحار الأنوار : ج ١٣ ص ٣٣٥ ب ١١ ضمن ح ١٣.

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «إن من العبادة شدة الخوف من الله»^(١).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «يا إسحاق خف الله كأنك تراه وإن كنت لا تراه فإنه يراك، وإن كنت ترى أنه لا يراك فقد كفرت، وإن كنت تعلم أنه يراك ثم برزت له بالمعصية فقد جعلته من أهون الناظرين عليك»^(٢).

وعن الهيثم بن واقد قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «من خاف الله أخاف الله منه كل شيء، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء»^(٣).
وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «المؤمن لا يخاف غير الله ولا يقول عليه إلا الحق»^(٤).

وعن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر يقول الله تعالى: لا أجمع على عبي خوفين ولا أجمع له أمين، فإذا أمني أخفته يوم القيامة وإذا خافني آمنت يوم القيامة، يا أبا ذر لو أن رجلا كان له مثل عمل سبعين نبيا لاحتقره وخشي أن لا ينجو من شر يوم القيامة» إلى أن قال: قال: «يا أبا ذر إن لله ملائكة قياما في خيفته ما يرفعون رءوسهم حتى ينفخ في الصور النفخة الأخيرة فيقولون جميعا سبحانك وبحمدك ما عبدناك كما ينبغي لك أن تعبد فلو كان لرجل عمل سبعين صديقا لاستقل عمله من شدة ما يرى يومئذ»^(٥).

(١) الكافي: ج ٢ ص ٦٩ باب الخوف والرجاء ح ٧.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ٢٢٠ ب ١٤ ح ٢٠٣٢٤.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٦٨ باب الخوف والرجاء ح ٣.

(٤) مستدرک الوسائل: ج ١١ ص ٢٢٨ ب ١٤ ح ١٢٨١٩.

(٥) مستدرک الوسائل: ج ١١ ص ٢٢٨ ب ١٤ ح ١٢٨١٨.

وعن أبي عبد الله ﷺ قال: «من عرف الله خافه، ومن خاف الله حثه الخوف من الله على العمل بطاعته والأخذ بتأديبه، فبشر المطيعين المتأدبين بأدب الله والآخذين عن الله أنه حق على الله أن ينجيه من مضلات الفتن»^(١).
إلى غير ذلك من الآيات والروايات الكثيرة بهذا الصدد.

(١) بحار الأنوار: ج ٦٧ ص ٤٠٠ ب ٥٩ ح ٧٣.

إن كنتم مؤمنين

من لوازم الإيمان

مسألة: ينبغي بيان أن الخشية من الله تعالى من شرائط الإيمان ولوازمه، كما قالت (سلام الله عليها): «إن كنتم مؤمنين».

فإن من الواضح أن غير المؤمن لا يخشى منه عز وجل، وإلا لآمن به وأحلّ حلاله وحرّم حرامه، فإن الصفات القلبية تظهر آثارها على الجوارح، قال أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام): «ما أضمر أحدكم شيئاً إلا وأظهره الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه»^(١).

ولا يخفى أن ما ذكره (صلوات الله عليه) إنما هو من باب المثال أو أظهر المصاديق وأجلها، وإلا فالنوايا تظهر أيضاً على الجوارح الأخرى كاليد والرجل وإشارات العين، وما أشبه ذلك.

قولها : «ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم...» إشارة إلى أن الأنصار^(٢) قد حاربوا كفار مكة من قبل والمتوقع منهم أن يقوموا اليوم بمحاربة المنافقين ويدافعوا عن خلافة رسول الله ﷺ وخليفته، وعن فدك وابنته ﷺ، وقد نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم، فإنهم جمعوا بين شيئين النكث للأيمان ونقض العهد، كما هموا بإخراج الرسول ﷺ من مكة المكرمة.

(١) بحار الأنوار: ج ٦٥ ص ٣١٦ ب ٢٥ نسبة الإسلام.

(٢) بناء على أن الخطاب لا يزال لبني قيلة كما هو ظاهر مساق الكلام.

قولها ﷺ: «وهم بدؤوكم أول مرة» لأن أهل مكة هم الذين جاؤوا إلى المدينة ليحاربوا المسلمين.

قولها ﷺ: «أتخشونهم» أي لخوفكم منهم لا تقدمون على محاربتهم واسترداد الحق منهم.

قولها ﷺ: «فالله أحق أن تخشوه»، ومعنى أحق: أصل الحق لا التفضيل، إذ لا يخاف من البشر ولا يُخشى من سائر الممكنات أبداً في قبال الله عزوجل، لأن أزمة الأمور طرأ بيده سبحانه وتعالى، فالتفضيل هنا جرد عن معناه، كما في غيرها من الآيات والروايات التي ورد فيها شبه ذلك، قال سبحانه: ﴿أولى لك فأولى﴾ (١) ثم أولى لك فأولى (١).

وقال عزوجل: ﴿قل الله يهدي للحق، أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدي فما لكم كيف تحكمون﴾ (٢).



سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

قم المقدسة
محمد الشيرازي

(١) سورة القيامة: ٣٤-٣٥.

(٢) سورة يونس: ٣٥.

إلى هنا تم بحمد الله تعالى
المجلد الرابع من كتاب (من فقه الزهراء (ع))
وقد اشتمل على القسم الثالث من الخطبة الشريفة
وسيأتي بعده المجلد الخامس وهو (تتمة الخطبة) و(خطبة الدار)
ويبتدئ بقولها (ع): «ألا وقد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض»
إن شاء الله تعالى

الفهرس

٧	كلمة الناشر.....
١١	المقدمة.....
١٣	لماذا الاستنصار؟.....
١٥	نصرة المظلوم واجب عقلي.....
١٩	التعجب الاستنكاري.....
٢٢	مواجهة الحاكم.....
٢٤	الاستدلال المنطقي.....
٢٩	الأصل هو المساواة.....
٣٠	بين الحاكم والرعية.....
٣٢	الافتراء على الله.....
٣٣	شهادة المعصوم ﷺ.....
٣٥	حرمة الافتراء والكذب مطلقا.....
٣٨	مما يجب إعلام الناس به.....
٣٩	التعمد في الأمر.....
٤١	الساكت على الظلم.....
٤٣	تراكم الأدلة.....
٤٤	عند نقل الآيات الشريفة.....

- ٤٥ فلسفة الإرث
- ٤٨ شبهة وإجابة
- ٥٤ المطالبة بالإرث
- ٥٥ حرمة القول بالباطل
- ٥٦ حرمة القول بعدم إرثها 
- ٥٨ منع النساء من الإرث
- ٦٢ نفي الرحم وإثباتها
- ٦٤ تخصيص الآيات دون مخصص
- ٦٥ أحكام أهل ملتين
- ٦٧ مما يحرم الاعتقاد به
- ٦٨ لا اجتهاد مقابل النص
- ٧٠ الاجتهاد وموارده
- ٧١ معاني العلمية
- ٧٢ الأعلم بالقرآن
- ٧٣ شمولية أعلميتهما 
- ٧٤ أهل البيت  هم المرجع
- ٧٨ تهديد الظالم
- ٨٢ جزاء هذه المظلمة
- ٨٤ تجسم الأعمال
- ٨٦ حكم نهى المعاند
- ٨٨ الله الحاكم
- ٩٠ التنبيه بحكمة الله وزعامة النبي 
- ٩١ التوكل على الله
- ٩٥ بين الحق وتوحيد الكلمة

- ٩٩ دور الرسول ﷺ في الآخرة
- ١٠٢ درجات النهي عن المنكر
- ١٠٦ بين الدنيا والآخرة
- ١٠٨ هل الندم نافع
- ١١٦ فاطمة ؓ في يوم القيامة
- ١٢٠ الأخبار المستقبلية ومحل الاستقرار
- ١٢١ من ينقلب على عقبيه
- ١٢٣ حدود النظر
- ١٢٣ التعددية زمن الرسول ﷺ
- ١٣١ توجيه الخطاب لفئة خاصة
- ١٣٧ العقل والعاطفة
- ١٤١ المشتق بلحاظ حال التلبس
- ١٤٣ نصرة الإسلام
- ١٤٨ الغمز من قناة الحق
- ١٥٢ الحق القديم
- ١٥٣ التواني في ظلامتها ؓ
- ١٥٦ الاستشهاد بكلام المعصوم ؓ
- ١٥٨ يحفظ المرء في ولده
- ١٦٢ الولد يشمل الذكر والأنثى
- ١٦٣ حق الأجيال القادمة
- ١٦٥ مصدرية الخطبة
- ١٦٧ الإحداث في الدين
- ١٦٩ حفظ واستخدام الأمثال
- ١٧٢ نصرة أهل البيت ؓ

١٧٤	العصيان المدني
١٧٦	بين القوة والطاقة
١٨٠	تبرير التقاعس
١٨٣	عدالة الصحابة
١٨٦	أدلة الخصم
١٩١	عند أمن الإضلال
١٩٤	لا تقاعس بموت القائد
١٩٧	آثار وفاة الرسول ﷺ
١٩٩	الخطب الجليل
٢٠١	تخليد ذكرى الرسول ﷺ
٢٠٣	الأمم ومسيرة الانحطاط
٢٠٥	امتداد النبوة
٢٠٩	لجان الرصد العلمي
٢١١	صلة الأرحام والآثار التكوينية
٢١٢	بكاء الأرض على المؤمن
٢١٢	الكون في قتل الحسين عليه السلام
٢١٥	ظلمة الأرض
٢١٧	أمل الكون
٢٢٣	من خسائر فقد النبي ﷺ
٢٢٧	الحرمة والحريم
٢٢٩	حق أم حكم
٢٣١	إعادة ما أضيع
٢٣٢	من مستثنيات كراهة القسم
٢٣٤	النازلة الكبرى

٢٤٠	ذكر الحقيقة
٢٤٢	رحمة للعالمين
٢٤٦	النكرة في سياق النفي
٢٤٩	يوم عاشوراء
٢٥٢	علاقة القرآن والعرة
٢٥٦	الرسول الأعظم ﷺ والقرآن الكريم
٢٦٤	لفظ الجلالة
٢٦٩	التكرار مساءً وصباحاً
٢٧٣	تلاوة القرآن وألحانه
٢٧٥	من أدعية الصباح والمساء
٢٧٩	الهتاف والصراخ
٢٨٣	استصحاب الشرائع السابقة
٢٨٥	أحوال الأنبياء والرسل ﷺ
٢٩١	الأشباه والنظائر
٢٩٤	الموت حكم فصل
٢٩٨	حكمة الموت
٢٩٨	ذكر الموت
٣٠١	عند موت إبراهيم عليه السلام
٣٠١	شباب من الأنصار
٣٠٣	القضاء والقدر
٣٠٥	حرمة الانقلاب عن الحق
٣٠٨	من هو الرجعي؟
٣١٠	الحصر الإضافي
٣١١	الشاكرون

- ٣١٣ النسبة للأم
- ٣١٨ التخصيص بعد التعميم
- ٣١٩ تكرار الطلب
- ٣٢١ اشتداد الحرمة
- ٣٢٢ أكل الإرث
- ٣٢٤ شحذ الهمم
- ٣٢٧ خذلان المظلوم
- ٣٢٨ السماع بالظلم
- ٣٣٣ المسؤولية المضاعفة للتجمعات
- ٣٣٥ عذر مدّعي القصور
- ٣٣٧ محاسبة المسؤولين
- ٣٤٠ مسؤولية أكبر
- ٣٤٢ تأهيل الأمة
- ٣٤٥ من السنن الاجتماعية
- ٣٤٨ إشهار السلاح بوجه الحاكم
- ٣٥٠ الدفاع باليد
- ٣٥٤ إجابة المظلوم
- ٣٥٧ حرمة خذلان المعصومين 
- ٣٦٠ عدم إغاثة المظلوم
- ٣٦٣ من المحرمات الكبيرة
- ٣٦٤ استمرارية الدعوة
- ٣٦٦ مدح المؤمنين
- ٣٦٧ من طرق التحريض
- ٣٧٠ الدقة في التعبير

- ٣٧٢ الاتصاف في ظرف الإسناد
- ٣٧٣ الاتصاف بالكفاح
- ٣٧٤ أقسام الشهرة
- ٣٧٨ السعي للتفوق
- ٣٨١ مقاتلة المشركين
- ٣٨٣ تحمل الكد والتعب
- ٣٨٧ مناطق الأمم
- ٣٨٨ جعفر بن أبي طالب ﷺ في الحبشة
- ٣٩٢ قصة شعب أبي طالب ﷺ
- ٣٩٧ إتباع الرسول وأهل بيته ﷺ
- ٤٠١ عمومية وجوب الإطاعة
- ٤٠٤ محورية أهل البيت ﷺ
- ٤٠٦ إنهم ﷺ وسائط الفيض
- ٤٠٨ بحث حول الزمن
- ٥١٢ إخضاع الإعلام المضل
- ٤١٦ حرمة الإفك
- ٤١٨ الكفر ونيرانه
- ٤٢٢ حرمة الهرج
- ٤٢٣ مواصفات المجتمع الجاهلي
- ٤٢٥ من مسؤوليات المؤمن
- ٤٢٦ المصلح ودار الدنيا
- ٤٢٨ استيساق الدين بالرسول ﷺ
- ٤٢٩ عدم الإفراط والتفريط
- ٤٣١ الحيرة والشك من المحرمات

- ٤٣٥ الجهر بالحق
- ٤٣٧ النكوص والتراجع
- ٤٣٨ إنكار الإمامة شرك
- ٤٤١ إثارة الشبهات والخيرة
- ٤٤٩ مقاتلة ناكثي البيعة
- ٤٥٢ نكث البيعة وأسلوبها
- ٤٥٦ إخراج الرسول ﷺ
- ٤٦٢ البدء بالقتال
- ٤٦٦ الخوف من الأعداء
- ٤٦٩ الشجاعة
- ٤٧٣ الخشية من الله
- ٤٧٦ من لوازم الإيمان

